

مرآة الحسناء



فرنسيس فتح الله مَرَّاش

مرآة الحسناء

تأليف

فرنسيس فتح الله مَرَّاش



هنداوي

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إن مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وفاء سعيد

الترقيم الدولي: ٩ ١٤٢٦ ١٥٢٧٣ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٨٧٢.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٨.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٩	قافية الألف
١٧	قافية الباءِ
٤٥	قافية التاءِ
٥١	قافية الثا
٥٣	قافية الجيم
٥٩	قافية الحا
٦٣	قافية الخا
٦٥	قافية الدال
٩٥	قافية الذال
٩٧	قافية الراء
١٢٣	قافية الزاي
١٢٥	قافية السين
١٣٣	قافية الشين
١٣٥	قافية الصاد
١٣٧	قافية الضاد
١٣٩	قافية الطاءِ
١٤١	قافية الظاء
١٤٣	قافية العين
١٥٥	قافية الغين
١٥٧	قافية الفاءِ

١٦٥	قافية القاف
١٧٣	قافية الكاف
١٧٩	قافية اللام
١٩٩	قافية الميم
٢٢٧	قافية النون
٢٤٩	قافية الهاء
٢٦٧	قافية الواو
٢٧١	قافية اللام ألف
٢٧٩	قافية الياء

بسم الله الحي الصمد الرافع السماء بلا عَمَد

الحمد لله الذي ألبس الشعر جمالاً وجلالاً، وجعل فيه البيان سحرًا حلاً؛ فطابت النفوس في جنات أزهاره، ورقصت الألباب بكئوس عُقَارِهِ. أما بعد؛ فيقول العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير فرنسيس ولد فتح الله مراش: هذا ما قصدت إثباته من الشعر الذي تمخضت عنه قريحة الشباب، ولقنتني إياه ألسنة الأسباب. وقد رتبته على حروف الهجاء، متجردًا عن المدح والهجاء؛ فإن المدح إطرأ ورياء، والقدح حسدٌ وعياء. فما أحوجني الله إلى بيع ماء الحيا في سوق الشعر، وأبى الله أن أردَّ الدرَّ إلى القعر. ولكنني قد مدحتُ بعض العلماء والأخلاء الكرام؛ تبيانًا لفضل العلم وحفظ الزمام. وحال ذلك لم أذكر من الأسماء إلا اليسير الخطير، مخافة أن يفرَّ القلبُ ويطير. فواغبن شاعرٍ سوّدَ بالمدائح بياضَ القرطاس، وباع كرايم الشعر وذهبهُ في سوق الزجاج والنحاس. والله إن تلك إلا تجارة خاسرة، وهمّة قاصرة. هذا وأرجو من كل مطالع أن يسبل غطاء المغفرة والمعذرة على ما يراه من الهفوات والعيوب؛ فإن العصمة لله وحده، وهو غفار الذنوب.

قافية الألف

قال:

بيت الهوى

وعلى هواك تنعمي وشقائي
ولعُ العيون ولوعة الأحشاء
والسخط قلتُ: البدر ذو الأضواء
أجلي فذا صبحي وذاك مسائي
ممزوجة لكن بماء حياء
أسيافها قلبي لصب دمائي
يقدحَن زند العشق في الحوباء
لخجلن منك وهن في العلياء
تجلى وما عيني سوى الحرباء
هأم الدُمي في هيكَل الأهواء
نُضحت بكل دم جرى كالماء
ب وزخرفته ألسن الشعراء
بالطائفين سواحر الدنيا
يلهو عليها معشرُ الأدباء
والكلُّ منها في قلَى وجفاء

بهواك عشتُ وفي هواك فنائي
يا ربَّه الحسن الذي هو في الهوى
لك طلعة لولا التبسم والرضا
فرق وفرعُ منك بينهما جرى
ولواحظُ يُترعن كاسات الهوى
هذي هي المقل التي يصبو إلى
من لي بذى الحور التي أحداقها
يا هندُ للأقمار حسنك لو بدا
ما أنت إلا الشمس في كبد السما
صنم الجمال له تخر سواجدا
هذا هو البيت الذي أعتابه
قد شيدت أركانه دولُ الشبا
بيتُ الهوى فيه تظل نوافثا
ما هذه الدنيا سوى مجموعة
كل يراها عادة ترعى الوفا

لَكِنَّهَا نِعَمٌ لَدَى الْجُهْلَاءِ
سَيِّئَانِ كُلُّ أَسَى وَكُلُّ هَنَاءٍ
رُسُلُ الرَّدَى وَطَلَائِعُ الْأَسْوَاءِ
إِنَّ التَّفَرُّدَ آمَنُ الْعُشْرَاءِ
أَعْدَاهُمْ مَا لِي وَلِلْأَعْدَاءِ

نِقَمٌ هِيَ الدُّنْيَا لَدَى أَهْلِ النِّهْيِ
مَا فَازَ بِالنُّعْمَى سِوَى مَنْ عِنْدَهُ
وَلَقَدْ خَبِرْتُ الطَّيِّبَاتِ فَكُلُّهَا
حَتَّى انْفَرَدْتُ عَنِ الْوَرَى فَأَمَنْتَهُمْ
مَا لِي وَلِلنَّاسِ الَّذِينَ أَوْدَهُمْ

وقال:

ذَاتُ دَلٍّ تُبْدِي نِفَارَ الظُّبَاءِ
رُ اسْتَحَى مِنْ طُلُوعِهِ فِي السَّمَاءِ
بَيْنَ ضُلُوعِي رُغْبُوبَةٍ نَهْدَاءِ
عَنْصَرُ اللَّطْفِ قَدْ نَمَا وَالْحَيَاءِ
مَنْ عَقُودًا مِنَ السَّنَا وَالْبَهَاءِ
غَرَسَتْهُ الْأَشْوَاقُ فِي أَحْشَائِي
عَنْبَرًا فِي حَدِيقَةِ غَنَاءِ
لَوْ: بِمَ جُنَّ؟ قُلْتُ: بِالسَّوْدَاءِ
قَ زَرْتُهُ بِالْغَرَّةِ الْغُرَاءِ
كَحْسَامٍ وَصَعْدَةٍ سَمْرَاءِ
رَ كَحْمَلِ الزَّجَاجِ لِلْكَهْرِبَاءِ
لِلْهُوَى مِنْ جَبِينِهَا ذِي الْجَلَاءِ
وإِلَيْهَا الْعَيُونَ كَالْحَرِبَاءِ
كَيْفَ أَشْكُو لَصَعْدَةِ صَمَاءِ
نَهْدِيهَا، فَكَانَ التَّأْثِيرُ بِالْحَوْبَاءِ
وَيَ كَمَالًا مَجْرَدًا عَنْ سُوءِ
بَ وَمَنْ لَا يَطِيبُ بِالصَّهْبَاءِ
لَا، وَلَوْ أَنَّهَا لَوَتْ عَنْ وَلائِي
أَدْبَرْتُ بِالْجَفَاءِ وَالْبَغْضَاءِ
وَيَحِقُّ الدَّلَالُ لِلْحَسَنَاءِ

غَازَلْتَنِي بِأَعْيُنٍ كَالظُّبَاءِ
غَادَةً لَوْ رَأَى مُحَاسِنَهَا الْبَدَ
أَفْتَدِيهَا مِنْ ظُبِيَّةٍ تَرْتَعِي
وَجْهَهَا مَعْدِنُ الْجَمَالِ وَفِيهِ
ذَاتُ جَيِّدٍ كَالرَّيْمِ أَلْبَسَهُ الْحَسَ
يَنْثَنِي تَحْتَ ثَوْبِهَا غَصْنُ بَانَ
وَعَلَى الْخَدِّ خَالَهَا قَامَ يَحْكِي
فِي هَوَى عَيْنِهَا جُنُنْتُ فَإِنْ قَا
كَلِمَا لَاحَ كَوَكَبُ الصَّبْحِ فِي الْأَفْ
سَبَبَتِ الْعَقْلَ إِذْ رَنْتُ وَتَثْنَتُ
جَذَبْتَنِي بِأَعْيُنٍ تَحْمِلُ السَّحْ
قَدْ دَعَتْ عِنْدَ فِتْرَةِ الْجَفْنِ رِسْلًا
فِي سَمَاءِ الْجَمَالِ كَالشَّمْسِ لَاحَتْ
لَسْتُ أَشْكُو لِقَدُّهَا مِنْ عَذَابِي
كَوَكَبُ الظَّرْفِ حَلٌّ مِيزَانَ
كَمْ بَذَنِي قَدْ لَاحَ تَمَثَّالُهَا الْحَا
إِنَّ قَلْبِي بِرَشْفِ رِيْقَتِهَا طَا
لَسْتُ أَلُوِي عَنْ حَبِهَا طَوْلَ عَمْرِي
وَإِذَا مَا قَابَلْتَهَا بِوَفَائِي
ثَمَرُ الدَّلِّ كَالْحَيَاءِ صَدُودُ

أقبلت بعد بعدها فأدارتُ
 سترتُ فجر فرقها بالثريا
 فوق طور الأشواق بتُ أناجي
 إنَّ سكري بطرفها لا بكاسٍ
 أهيفُ رقتِ الشمائل منه
 لاح نور الجمال من وجهه الباهي
 وعلى خدِّه المنير قد امتدَّ
 إن يرنحُ أعطافه التيه أزرى
 نافر أنس عبوس بشوش
 لنبال الأحداق منه فؤادي
 هو دائي ومحنتي وعنائي
 بهواه قد جئتُ في غزلِ ذي
 إنما الشعور للنفوس رياضُ
 ثمر العلم والحجا الشعور لكنْ
 كلُّ مَنْ يستمُ العلوم ويهوى
 ذكرُ أهل العلوم خلَّد في الدنيا
 ربُّ نلِّ لراحة ذات ملءٍ
 ولقد يحملُ الصغار قوَى لم
 أكبر المراثيات يرسمُ في أعـ
 إنَّ فخر الفتى بثوب النهى لا
 من يكن عاريًا عن العقل لم ير
 كم فقير أمسى غنيًا وكم من
 ليس حالٌ تدومُ ثابتةً ما
 كان للشمس دارةً الحملِ الأشـ
 نقطة الاعتدال ترجعُ في دا
 تمدحُ الأغنياء منّا شفاهُ

لي كئوس اللقاءُ البرحاءِ
 خجلةً مذ دنت عقيبَ التناي
 مهجتي عن ظهور نور اللقاءِ
 قام يسعى بها غزال الفلاءِ
 فغدت كالشُمُول للندماءِ
 ففاق الأقمار في الظلّماءِ
 عذارُ كالفيء في الأضواءِ
 بقضيبٍ تثنيه ريحُ الصباءِ
 ظالمٌ عادلٌ عجيبُ المضاءِ
 هدفُ ما عداه من أخطاءِ
 وهنائي ومنحتي ودوائي
 رقةً بين حكمةٍ وثناءِ
 غرستها قرائحُ الأدباءِ
 قطفهُ لا يُباح للأغبياءِ
 كثرة المال ذا من الحمقاءِ
 وقد باد ذكرُ أهل الثراءِ
 وفخارٍ لراحة صفراءِ
 يستطعها أكابرُ الكبراءِ
 يننا وهي أصغرُ الأعضاءِ
 بثيابٍ صنّعن في صنعاءِ
 بخُ فخارًا إذا اكتسى بفراءِ
 ذي غنى عاد أفقر الفقراءِ!
 دام سيرُ الأقلاك للانتهاهِ
 رِف واليومَ دارةُ الجوزاءِ
 ثرة الأرض دايماً للوراءِ
 ومديحُ القلوب للعقلاءِ

وقال:

أَوْ تَثَنَّتْ فَبَانَةٌ فِي نَقَاءِ
 بَنَابِلٍ مِنْ مُقْلَةٍ كَحَلَاءِ
 فِ وَقَدْ كَالصَّعْدَةِ السَّمَرَاءِ
 مِنْ لَجِينٍ يَبْعَثُنْ نَوْرَ الْبَهَاءِ
 قَدْ سَبَتْنِي وَأَتْلَفْتُ أَحْشَائِي
 سَمِ يَسْبِي إِذْ لَاحَ عَقْلُ الرَّائِي
 نِ التَّتَامِ الْأَنْوَارِ بِالْكَهْرِبَاءِ
 فَمَنْ الثُّغْرَ مِنْبِذُ الصَّهْبَاءِ
 هِيَ وَأَضْحَى مَبْرَقًا بِالْحَيَاءِ
 رُهُ ذَاكَ الْجَمَالَ ذِي الْأَضْوَاءِ
 لَوْ دَلَالِ الرَّعْبُوبَةِ الْحَسَنَاءِ!
 تَتَّى اسْتَحَالَتْ إِلَى الْغَرَامِ دُمَائِي
 بَبْعَادٍ، وَاحْسَرْتِي وَجَفَاءِي!
 لَتَّ بِبَرْجِ الْمَشْيِبِ شَمْسُ الصَّبَاءِ
 قَمَرًا فَوْقَ قَامَةِ هَيْفَاءِ
 قَدْ رَوَتْهُ صَبْحًا نَسِيمُ الصَّبَاءِ
 يَسْتَمِيلُ الْعِذْرَاءَ ذَاتَ الْخَبَاءِ
 مِنْ خِلَالِ الظُّلُمَاءِ كَالرَّقَبَاءِ
 خَصَّ فِينَا بَعِينَهُ الْحَمَرَاءِ
 ظَلَزُ دُخَانَ الْمَجْرَّةِ الرَّقِطَاءِ
 يَدْفُقُ النُّورُ مِنْ فَمِ الظُّلُمَاءِ
 كُنْتُ أَجْنِي بِهَا ثَمَارَ الْلِقَاءِ!
 فِي فَوَادٍ الْمَحَبِّ كُلِّ عَنَاءِ
 نَحْوَ مَنْ بِالنَّوَى أَطَالَتْ بِكَائِي
 تَذَكَّرُ الْعَهْدَ، وَالْوَصَالَ النَّائِي
 عَنْ مُحَبِّ لَمْ يَأُلْ عَهْدَ الْوَلَاءِ

إِنْ تَبَدَّتْ فَكُوكَبٌ فِي سَمَاءِ
 غَادَةً غَادَرَتْ فَوَادِي قَتِيلًا
 ذَاتُ طَرْفٍ أَقْوَى مَضَاءً مِنَ السَّيِّ
 وَنَهْوِدٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومُ
 فَبِنَهْدٍ وَمَعْصَمٍ وَجَفُونِ
 إِنَّ بَرَقَ الْجَمَالَ مِنْ ثَغْرِهَا الْبَا
 قَدْ أَدَارَتْ لَحْظًا بِهِ التَّامَ الْحَسَا
 إِنْ يَكُنْ جِيدُهَا زَجَاجَةٌ خَمْرُ
 سَرَقَ الْحَسَنُ كُلَّهُ وَجْهَهَا الزَّا
 فَعَلَى لَوْحٍ مَهْجَتِي طُبِعَتْ صَو
 وَحَوَتْ أَعْذَبَ الدَّلَالِ، وَكَمْ يَحْ
 أَرْضَعْتَنِي الْغَرَامَ أَلْحَظَهَا حَتَّى
 إِنْ رَجَوْتُ الْلِقَاءَ وَالْوَصَلَ جَاءَتْ
 شَبْتُ مِمَّا قَاسَيْتُ وَجْدًا وَمَا حَلَّ
 رَبِّ لَيْلٍ قَدْ بَتُّ فِيهِ أَنَا جِي
 وَأَدِيرُ الْحَدِيثَ مِنْ كُلِّ مَعْنَى
 نَتَعَاطَى نَجْوَى الْهَوَى بَعْتَابِ
 وَنَجُومِ الْأَفْلَاقِ تَرْنُو إِلَيْنَا
 وَكَأَنَّ الْمَرِيخَ ذُو حَسَدٍ يَشْ
 وَالِدَرَارِي جَنْدُ تَثِيرٍ وَغَى فَا نْ
 لَمْ نَزَلْ نَسْتَنِيرُ بِالْكَاسِ حَتَّى
 وَاحْنِينِي إِلَى الرَّبُوعِ الَّتِي قَدْ
 قَدْ تَقَضَّى ذَاكَ الزَّمَانُ وَأَبْقَى
 يَا نَسِيمَ الرِّيَاضِ، بِاللَّهِ سِيرِي
 وَاحْمَلِي نَفْحَةَ السَّلَامِ عَسَاهَا
 لَيْتَ شَعْرِي مِنَ الَّذِي قَدْ ثَنَاهَا

هل رمتها يدُ الشبيبة قهراً
والهوى يُوقع الأكارمَ رَغْماً
فمتى يا سُلْمَى يشاءُ الولا أن
يا منائي على الوفا والجفا هل
هل نُضاهي الغربان عقبان صيدٍ
وإذا ما الزمان أعلى لئيمًا
ما رأت مقلّتي أعظم خطي
كيف تأتي النعمى إلى رجلٍ كا
وفعالُ اللئام أشقى وأدهى
لا سقى الغيثُ تربَ أرض أتتنا
لو يكون الإنسان يفكر بالمو
لا خلودٌ للمرء في هذه الدن
ومسيرُ الأيام في العمر يحكي
ليس يُرجى للناس أمنٌ من الأيـ
كيف يُبدي الزمان للمرء صفوا
زمنٌ يخفض العليّ إلى القا
أيها المبتغي هناءً على الأر

في هوى الغير، فانشئتُ عن وفائي؟
بحبال اللئام والسفلاء
نتنادى في هجعة خلياء؟
تبدلين الفصيح بالفأفاء؟
أو تُباهي الحَصَباءُ شُهَبَ السماء؟
فهو بين الورى من الأدنياء
من دنّي يختال بالعلياء
نَ رضيعَ البؤسى من الأثداء؟
من دواهي زمانهم ذي الشقاء
بصغارٍ تعلو على الكُبراء
ت لكان انثنى عن الكبرياء
يا؛ فكلُّ مصيره للفناء
عَجَلات البخار في البيداء
ـيام، إن الأيّام كالأعداء
وهو بدءُ الأكدار والأرزاء؟
عِ ويُعلي الدنيّ للجوزاء
ضِ تأملُ تلقَ الأسى في الهناء

حادثة

لا تنظري يوم النزال إلى الظُّبى
فإذا نظرتِ إلى السيوف تتلّمت

منّا بتلك المقلّة الكحلّاء
خجلًا فنحذرُ سطوة الأعداء

وقال:

قامت تعاطيني المُدامَ مليحةً
فلثمت وجنتها فسكري كان بالـ

تُغني بمقلتها عن الصهباء
حمرّاء والسوداء والصفرّاء

إلى أحد أصدقائه:

التعزية

ماذا استفادت قبلك الخنساء
أننى تجيبك صخرة صماء
لبكى الجميع معاً، فكم إرزاء
بل لانجلاء العين حين تُساء
يردُّ الأسى، والعقل ليس يشاء
غلبَ التعقلُ تبرُّزُ السَّراء
سرَّاءُ قل: هذه هي الضراءُ
فرحٌ، ولكن تُبدلُ الأشياءُ
كالشمس تمضي حسبَ حالِ زمانهم
وهم، فصبحُ ينقضي ومساء
هذا الوجود؟ وما هي الدنيا؟
لمعاتُ برق بعده الظلماءُ
للموت شُنَّتْ غارةُ شعواءُ
فبه لكلِّ ذوي الحياةِ غذاءُ
فالحسنُ يُطوى فيه والحسناءُ
منك الملوكةُ تُطأُ والعظماءُ
حسنٌ تقوم وراءهُ الأسواءُ
كيف العيونُ تغورُ والعيناءُ!
أين البها والطلعةُ الغراءُ؟
تعلو عليه بشرةُ صفراءُ
تضجر، فأفكارُ الفتى نُدماءُ
فالناسُ في حكم المصابِ سواءُ
كالفخِّ، والأصحابُ هم أعداءُ
يرعى ذمامك إن دهاك بلاءُ

لا ينفعنك في الحتوف بكاءُ
حتامَ تدعو المَيِّتَ من جوفِ الثرى
ولو الدموعُ نفعنَ في الرزءِ الفتى
لم يخلق الله المدامعَ للبكا
والحزن تطلبه الطبيعةُ عندما
يتحاربان على المدى حتى إذا
ما في الوجود مسرةٌ فإذا بدت
لو كان في الدنيا ثباتٌ كان لي
والناس تمضي حسبَ حالِ زمانهم
أننى تملِّقني الحياةَ وكلُّها
ما العمرُ؟ ما الأفراح؟ ما النعمى؟ وما
رَبَّاتُ صوتٍ في الهواءِ تروحُ أو
لا خلدَ في الدنيا لنا، فعلى الملا
والموتُ للحيوانِ ضربةٌ لازِبُ
يا مولعاً بالحسن، قبلَ ذا الثرى
وتوقَّ إن تطأَ الترابَ فربُّما
إن الحياةَ على المحيَّا برقعُ
يا أعين العينِ الملاح، تأملي
أين المحاسنُ؟ أين أنوارُ الصِّبا
لا عاد يظهر غيرُ وجهِ جامدٍ
كن يا أخا الأحزان منفرداً ولا
ودع المعزِّي أن يعزِّي نفسه
لا تأمن الإنسان فهو مكيدةُ
ومن العجائب أن ترى لك صاحباً

فارقته، فلذاك حُقَّ رثاءُ
من لا تزعزع وُدُّه البأساءُ
ناحت على أغصانها الورقاءُ
إن كان يدفُق من حشاؤه الماءُ
ولتنزفن مع الدموع دماءُ
خلٌ وفِيّ، والبكاءُ وفاءُ
ويغيبُ عنه رونقُ وبهاءُ
لولا التصبُّرُ تزهِقَ الحوباءُ
درعاً به تستقبلُ البلواءُ
صبرُ العلاج به يقوم شفاءُ!
وإلى التراب تعيدنا الأدواءُ

هيهات ما كلُّ شبيهاً للذي
ذاك الوديعُ أخو اللطافة ذو الوفا
فليندبن النادبات عليه ما
وليزرف الصخر الأصم مدامعاً
دعني أطلُّ على ثراه عبرتي
إن كان مَيْتُكَ — ذا — أخالُك فهو لي
كلُّ سِيدرس تحت أقدام الفنا
فالصبرُ في هذي الخطوب يَلْدُ، إذ
ولربما كان التصبُّرُ للفتى
كم تزحمُ الأبدانُ أمراضُ وكم
ومن التراب الطبُّ يهدينا الدوا

وقال في جزاء الدهر:

وعجَّت للنوى بعد اللقاءِ
وزاغت فيه عن سبل الولاءِ
سيثبت كالنقوش على الصفاءِ
يلوُّحُ وأحرفُ في لوح ماءِ
وهنُّ عليه أطيش من هواءِ
درى كيف السُّمومُ من الصِّباءِ
مبادلةً الوهاد صدى النداءِ
نظيرَ الآل يقرب وهو ناءِ
ذرتها في الفضا ريحُ القضاءِ
فأصبحَ ربُّعها عبرَ البلاءِ
هناك مع الغواصي والسما
عفت بعدي وصارت كالهباءِ!
لسكَّانِ الهنا سكرَ الفناءِ
فضاع وعاضه وحشُ الفلاءِ

أضجَّت بالجفا بعدَ الوفاءِ
وزاغت بالسوى وجداً وجداً
وكنْتُ أظنُّ أنَّ صفا هواها
إذا هو خطُّ برقي في جهامِ
فهل يُرجى رسوخُ هوى الغواني
ومن عشقَ الغواني في صباهُ
يبادلنَّ المحبَّ ندى التصابي
ويخطرَنَ الدنوّ ولا دنوّ
قفا بي صاحبي على طولِ
طول سعادٍ من أبلت عهودي
رسومُ فاندباها وابكياها
فوا أسف الزمان على ديارِ
وأضحت بعدما كانت فناءً
وكان بها غزال الأُنس يرعى

دع الذكرى وبألغ بالرثاءِ	فيا راثي الديارِ ديارِ سعدى
سعادَ؛ فذنبها داعي الجزاءِ	ولا تعتبْ جزاءَ الدهرِ لكنْ
بل اعجبْ إن بقيتْ على البقاءِ	ولا تعجبْ إذا أغربتْ عنها
لذاك سلوتْ خائنةَ الولاءِ	أنا أرعى الولا في كل شوطِ
إليها لا ومن يدري خفائي	سلوتْ ولستُ أرجع طول عمري
فطبعُ الخائنات على البكاءِ	ولو بكت المدى ندمًا وندبًا

قافية الباء

وقال إلى أحد أصحابه:

وإن أدبرت يغويك جنح الذوائب
رماك بنبل الغنج عن قوس حاجب
وتبدي دنوًا وهي في خطو هارب
فملنا ولم يبق فتى غير شارب
فكم قد أَرانا فتنَةً في الكواكب
فشاهدتُ فجراً شق سَجَفَ غياهب
غصون وترنو عن ظباء ربارب
لهنَّ بقلب الصبِّ وقُع قواضب
صَحاحِ مراضِ ذابلاتِ سِوالِبِ
طلبتُ النوى أحظى بضدِّ مطالبي
تمننى لما جاء الهوى بمصاعب
ووصل محاطٌ بالعيون الرواقِبِ
ولا يمكن المجذوبَ دفعُ الجوازِبِ
فقلتُ لهم: إنني قبولُ مصائبِ
ففي مدح شهم القوم خيرُ المكاسبِ
علا ذروة المجد الرفيع الجوانِبِ
سدَى، ولخير الغير أوجب واجب
إذا ما أجاش الدهرُ جيشَ نوائِبِ

إذا أقبلتُ يهديك صبحُ الترائبِ
رداحُ لها طرفُ كحيلٍ إذا رنا
تريك نفارِ الطَّبِي وهي أنيسةُ
أدارت كئوسَ الحبِّ من حانِ حسنِها
رعى الله ذِيَّاك الجمالَ فديتُهُ
تبدَّت وقد أرخت غدائرَ فرعِها
يلاعبها ريعُ الصِّبا فتميسُ عن
تغازلني وهي الغزالِ بأعينِ
غوازِ نَعاسٍ فاتكاتِ فواتِرِ
طلبتُ اللقا منها فولَّت وليتني
ولو يدرك الصبُّ المتيم كل ما
فحالُ الهوى قربُ ببعيدٍ منعَصُ
لقد جذبتني قوةُ الحسن للهوى
يقولون: دع ذا الحبِّ فهو مصيبةُ
إذا ما خسرت العقلَ في الحب والقوى
هو الفاضلُ المفضالُ ذو الشرف الذي
همامٌ يرى ما آل يومًا لخيره
أخو همةٍ حرَّاءَ تحسدها الطُّبَى

وللناس إحسانٌ ومنحةٌ واهبٌ كريمٌ، حميدُ الفعل، عالي المراتبِ لديه؛ فمن آت إليه وذاهبٍ شكورين منه، باتفاقٍ مناسبٍ فقام له الشكرانُ من كل خاطبٍ دليلُ جمال العقل حسن المناقبِ ويغدو بفكرٍ يخطفُ البرقَ صائبٍ ولكنَّ عنه الفخرَ ليس براغبٍ يديه يفيضُ البذل فيضٌ سحائبٍ ومن دأبه ألا يرى كبخ طالبٍ ففاق مقامًا فوق كل الأصاحبِ وأحمقٌ من لم يفتكر بالعواقبِ ومن أين للأوعال وخذ النجائبِ؟ كرور شجاعٍ في صفوف الكتائبِ؟ فما هو إلا مثلُ ضحكة ناحبٍ إذا قلتُ شعراً أصبح الدهرُ صاحبي لأعجزُ عن إيفائه وهو واجبي عهدتكم كم كان لي من أطائبٍ أجلُّ شهابٍ باثق النور ثاقبٍ فشتتني دهرٌ كثيرُ الملاعبِ فطيفكم عن أعيني غيرُ غائبٍ

وذو الهمة القعساءِ للدهر محنةٌ فهيمٌ، فريدُ العقل، عالي المناقبِ جميعُ أمور المشكلات مصيرُها فما جاءه خصمان إلا وأصبحا لقد شاع ما بين الأنام بجوده وجود الفتى يُبقي له الذكر خالدًا يروخ بعقلٍ ينطحُ الشهب ثاقبٍ له عن طلابِ الفخر نفسٌ رغبةٌ تلوحُ بروقِ البشر من وجهه ومن خيمه أن يرغبَ الخير للورى تفرد في حسن التصرف شخصه فأين المباري فهو يُعقبُ خجلةً لكل امرئٍ فعلٌ على قدر عزمه وهل لجبان أن يكر مغازياً إذا لم يكن فعلُ الفتى سيمهً له ألا يا أولي الأفضال أنى بمدحكم مديحكم دينٌ عليّ وإنني سقى الله تسكاب الحيا زمناً به زماناً على الشهباء والقطر كنتم ألا إنني هُنْتُ حولاً بشملكم لئن غبتُم عني رعى الله أنسكم

وقال إلى أحد أصحابه:

نفيرُ الشوق

حين انجلت كالشمس لكن في خبا
إلا وقلبي بالغرام لها صبا

أخذت بنا نفحات هند مع الصبا
غيداء ما لاحت بأنوار البها

زهرَ الجمال ففاق أزهارَ الربى
عجباً؛ فإنَّ الحسنَ مثلُ الكهربا
«صلاً»؛ فبعضُ النجم يُدعى عقربا
ترقي الأراقم طائراً متقرباً
إلا وألعبَ بي الهوى أيدي سبا
واستمطرت دمعي صبايات الصِّبا
يذرُّ المحبُّ على اللضا متقلِّباً
لحظاتها، وأبى الهوى أن يُحجبا
وعلى محيَّاهَا الحياءُ تلهَّبا
في وجهها الباهي لكنتُ مكذباً
ما دمتُ برجاً، لا فقدتُ الكوكبا
وأضاعني بين الأسنةِ والظُّبا
أحدٍ ولا أدري المقامَ الأنسبا
قلقُ السريرة، لا أصادفُ مأرباً
ليلَ الهواجس هائماً متعذباً
رشدُ، فليستُ أصيبُ فكرياً صيباً
فكأنَّ لي فوق المجرة منصبا
رأسي ولكن لا تشا أن تقربا
عني يميل، فأنتنني متغضِّبا
روضُ بزهر النُّور أصبحَ مخصبا
مَلِكاً له، غدت الداراي موكباً
أبغى سوى هجسي أخا لي أو أبا
عن أهله وصحابه متغرباً
عن حسنكِ الأسنى عناهُ تسبِّبا
قد صرتُ أخشى الهجرَ إذ لن يحسبا
بفتوره، وهو الوفا لي قد حبا
سبباً به أجْدُ العتابَ الطيبا

وربيبةُ أبدى الجمالُ بوجهها
ترنو فيرتعدُ الفؤادُ وليس ذا
لا بدع إن دُعيت ضفيرةً فرعها
بأبي غداً قد رقت قلبي كما
ما أوقعتُ نظري عليها صبوتي
واستغرقت قلبي تباريحُ الجوى
ويلاهُ من جور الجمال فإنه
غازلتها فبدا شعاع الشوق من
وغدت تطارحني عبارات الولا
لو لم يكن معنى العباثر بادياً
يا قلبُ، حاصرك الجوى فاثبت له
هَجَّ الهوى في عالم الأشجان بي
وأعادني حيران لا ألوي على
متشردِّ الأفكار، مسلوب القوى
غرقان في بحر الهوادر خائضاً
متوحِّداً ألهو بفكري حيث لا
أتوسَّمُ الأوجَ الوسيمَ وشهبه
وأرى النجومَ تهْمُ أن تهوي على
وإخالُ بدرَ العشر وجهَ غزالتني
وكأنما جَلَدُ السماءِ بزهره
والبدرُ ذو الأنوار أمسى والدُّجى
أنا في الهوى أصبحتُ معتزلاً فلا
والعشق أبعدُ منزلٍ يدع الفتى
يا من أذابتُ مهجتي، رفقا بمن
عظمت بي الأشواقُ حتى إنني
كم طرفك الوسنانُ أوهمني الجفا
فأعودُ في غضبٍ كأني طالبُ

نفسى، ويا من عشقها لن يذهب
حباً فودي لم يشأ أن أغضبا
صلفٍ تقوم، وذاك في دعة ربا
نعم وإن أك في هواه مجرباً
حتى عدا وجهي، فعاد مقطباً
شرف، ولا تدعى السنا متحجّبا
ما عاش إلا كالفقير مخيّبا
كاساته تملأ وإن لا يشربا
يوماً، ولو يعطى الكواكب مكسبا
رب الغنى في بخله متعذباً
ويقول: إنّي قد فعلت المطربا
يوماً يحاول أن يكون مطوباً
شيئاً بها لذوي النهى مُستعذباً
تركت لديه كل شيء متعباً
خفق، فكل العمر يذهب مكرباً
نلقاه للموت الزعوم مركّباً
حتى يتيح لها الفناء المرعباً
حلّت حياة الجزء كي تتركّباً
نهجته حكمة قدرة لن تُسلباً
أعني به البين المقيم تغرباً
عني، وقد جعلوا الثبوت تقلباً
وأنا جريت على القفار مشبها
لأعاديكم نحوى وسد المنديبا
أنتم لصفق بهجة واسترحبا
فوق الجبال لكي تنادي: مرحبا
بمثلث الأسنان يحمي المركبا
زبد المسير وللقا مترقباً

يا ربّة الدلّ الذي ذلّت له
إن كان أغضبني عليك تحيّرني
ليس المحبة كالوداد؛ فتلك في
كوني بمجد جمالك الزاهي على
ما زال وجهك يستعيد قطوبه
لا تبخلي بظهور حسنك لي فذا
فإذا الغني أضاق بخلأ عيشه
يقضي الليالي وهو يجهد أن يرى
لم يقنع الإنسان قط بمكسب
والضيم يُعذب للفقير إذا رأى
كم يفعل ابنُ الجهل ما هو مكرب
والمرء قد يغدو ذميماً في الورى
عظم الشقا في ذي الحياة فلا نرى
ولرب ساعة راحة للمرء قد
ما دام جنح الموت فوق الكلّ ذا
فإذا بسطنا الجسم في تشريحه
كلّ الوجود محارب أجزاءه
فحياة كليّ الطبيعة طالما
هذا هو المجرى الطبيعي الذي
لكنما للناس موتٌ غيرُ ذا
يا أيها القوم الذين تغربوا
أنتم ركبتم ظهر قفر سائل
لو كان يدري البحر ندبي والبكا
أولو درى أن الذين عليه هم
ولكانت الأمواج ترفع هامها
سيروا قرب البحر يمحو الموج إذ
ودعوا أليفكم القديم مراقباً

سودا ولو لبست وشاحاً أشهباً
مينَ الحياة فرامَ أن يترهباً
سقطتُ على شَرِكِ فرامت مهرباً
والقلبُ لم يفهم سوى حاءٍ وبا
بلهيب أشواق أبْت أن تُحسباً
كالحرش من أدغاله تبدو ظبا
ولبلعهنَّ اعتاد يدعو المغرباً
غاصت تعير الأفق ثوباً مُذهبا
سارت فلاح الشعرُ والوجه اختبا
لا تسمحنَّ لنجمة أن تغرباً
إذ أنظرُ الكونَ العجيبَ المرهباً
بقوى السموِّ فلم تغادرُ مذهباً
إلا كطفلٍ للقرع تطلَّباً
ترجيحَ أفكارٍ شردنَ تعجُّباً
لوصال أبكار القرائح في الخبا
سير الحقائق؛ كي أنال ترطباً
طاقت لهيب الشمس، بل كانت هبا
وبها لقلبي ذكرٌ صحبي عذباً
والجوُّ أزيدَ بالسحاب وضبضبا
صاحت تزلزلت الشوامخ والربى
م، وإن نفذنَ بعثنَ ريحاً قلبا
ترمي صواعقها لتفني الغيهبا
ضاعت، وأضحى الكونُ هولاً مرعباً
سُحِبَ الدجى سلى القلوب وطبباً
تُجلى وتقصد أن تزيح تنقباً
وغدا به كف السماء مخضباً
وبه جبينُ الأفق لاح معصباً
بين السما والأرض فليتطبباً

يرنو إلى الشهباً فينظرها غدت
وكأنَّ قصرَكُم أخو عقلٍ رأى
وكأنَّ قلبي بعدكم عصفورة
ولربَّ ليلٍ بتُّ أقرأ آية
أصبو إليكم والحشا مضرومة
ليلٌ تلوحُ من الغمام نجومه
والشرقُ من شفتيه يطرح أنجماً
والشمسُ في لجج المغارب كلِّما
تحكي رداً ذات شعرٍ أشقر
لكنَّ أفاق الشمال لحرصها
فيثورُ في أقصى الدماغ تعجبي
حيثُ الطبيعة قد حمت أسرارها
فمن ابتغى إدراك ذلك لم يكن
حتى هرعنَّ إلى التفرد قاصداً
فالكتبُ تدعوني بالسنة الهدى
وإذا توقدَ خاطري أصبو إلى
والأرض لولا سيرها الدورين ما
يا ليلة البين التي قد أظلمتُ
جُنَّ الدجى، والأفق عبَّس وجهه
حيثُ الصواعق كالقنابر، كلما
خضنَ الفضاء، وغصن في لجج الغما
خوفَ الظلام عرى الطبيعة فانبرت
ظلمَ بهنَّ الأرض في جوف السما
حتى إذا ما البدرُ لاح مبدداً
كمليحة برزت بثوبٍ أسودٍ
فإذا أفاض الفجرُ ماءً نضاره
والصبحُ مدَّ على الجبال لجينهُ
تستبشر الدنيا بسلمٍ جدَّ ما

وقال:

يحاولُ الشتمَ قل: هذا بلا أدبٍ
وهل يقومُ بنصر الغمر غيرُ غبي؟!

إذا رأيتَ أديبًا في مجادلةٍ
فما دعاهُ «أديبًا» غيرُ ناصرِه

وقال إلى صديقٍ له:

أثر النوى

ومهجةً في لهيب الشوق تلتهبُ
والروح والقلب ذي تهفو وذا يجبُ
جمر الغضا مذ بهم قد سارت النجبُ
واغتال شمسَ الهنا حتى بدا الكربُ
كآبةٍ حينَ شمسُ الكون تحتجبُ
رؤيا الأحبة؟ قل لي أيها الغضبُ!
أغمضتَ جفنك، لكن تحتَهُ اللمهْبُ
سمعي حديثَ بكاء «سلمى» فأنتحبُ
فإنها عن فؤادي ليس تغتربُ
بها بكت لفراقي والنوى نوبُ
قلبُ شج تحت حملِ الشوق مضطربُ
كذاك أبدت له ما فيه يكتئبُ
تأتي ومنه لنا الأمراض والعطبُ
جواذبًا نحوها الأرواح تنجذبُ
كلُّ يُحبُّ فما بين الدما نسبُ
يبدو من البعدِ قربُ كله طربُ
يلدُ من فمها عند اللقاء العتبُ
غابت عن العين فهي السؤل والأربُ
هذا القيام؟ وما الدنيا؟ وما الحقبُ؟
شكل الوجود ظهورًا كله عجبُ

لي في يدِ البين قلبُ راح يضطربُ
بينُ به مقلتي تُحيي الدُجى أرقًا
ومعشرٍ خلَّفوني في البعاد على
بعدُ أعاد نهارَ القرب ليل نوى
وكم يلوحُ على وجه الطبيعة من
يا أيها الدهرُ، هل عيني تعودُ إلى
صممتَ أذنك، لكن عن بكائي وقد
لو كنت تصغى لما قصَّ الحمامُ على
رعبوبةٍ إن تكن عن ناظري اغتربت
وظبيةً مذ رأيت عيسَ النوى ظعنُ
وجهُ لها يحملُ الحسنَ البديع، ولي
ألقت محبَّتُها في القلب كلَّ هنأ
مثلُ الهواء الذي منه الحياة لنا
يا طلعةً أطلعت فيها الطبيعة لي
كلُّ من الجوهر الأصلي قام وما
إن كان أبعدُها عني النوى فعسى
والبعدُ يخلقُ عتبًا في اللقاء فكم
هيهات يحسنُ لي طيبُ الحياة إذا
فما الحياة؟ وما هذي الجسومُ؟ وما
طبيعةً تحت لمح الوهم تظهرُ في

أو المعادن تحت الالتئام ترى
فمن جوامد لا تهوى الحياة ومن
وللوجود قوى تدعو عناصره
وما العناصر من حيث الكيان سوى
ليس الفضاء بخال فهو منشغل
هناك أصل «الهيولى» قام منتشراً
أين العذوبة — يا ذا الحي، قل لي — في
توحي الحياة إلى جسمي فيطلب من
فما رفعت يدي بالخبز نحو فمي
قد أهدق الضيم بالدنيا فحيث بدت
بئس الحياة التي أغرت بنا فمشى
يسعى الفتى في سبيل العمر مندفعاً
مثلت صورة ذي الدنيا مجردة
لو الجنين درى ماذا يُعدُّ له
وليس يدري الفتى: ماذا يجيء به
فلو علمت بأنَّ القرب غايته
وا شوق قلبي لأحباب نأوا! فأتى
زُموا الرجال غداة البين وارتفعوا
وقد أساروا مطيَّ البعد مثقلة
يا أيها الصحب، قد أودى التبرح بي
ما حمل الله نفساً فوق طاقتها
أنتم خسفتُم رشادي بالرحيل كذا
لا يخسف البدْر في قوس الحضيض ولا
فها ترون رءوس السرو في حلب
كذاك قلعتنا العجباء باسطة
حصن أقام بجوف الأرض أرجله
فكم على صدمات الدهر قد صبرت

مقسّمت إلى ما ليس ينحسب
نوي حياة، ومن نبت لها يحب
إلى اجتماع به الأجسام تكتسب
روح الفراغ، وهذا مذهبي الذهب
بما إليه قيام الكون ينتسب
أصل تفرّع منه العالم العذب
هذا الوجود؟! ففيه البؤس ينسكب
يد التراب غداة، بئس ذا الطلب!
إلا وأزهق روحي ذلك التعب
مسرة كان فيها يكمن الحرب
كل امرئ في ليالٍ ما لها شهب
إثر المنون، وتجري خلفه النوب
للذهن فارتسمت في وجهها النكب
في الأرض، لم يخل رحماً فيه يحتجب
حكم القضاء؛ فعلم الغيب مغترب
هذا النوى كنت كل القرب أجتنب
لدرّ دمعي لصُ البين ينتهب
على قويق، فعاد الغم ينتصب
فراح قلبي نحو الركب ينجذب
وقد أضاع احتمالي ذلك الوصب
فكيف أحمل ما يعفو به العصب؟
حاد لكم مسني من شذوه العطب
في الأوج، بل للخسوف الراس والذنب
تدعو تقربكم ما الريح تنتشب
لقربكم ساعديها وهي ترتقب
إن قد أحاطت بعالي راسه السحب
أسواره حيث لم يصدع لها جنب

مثلَ الشهابِ وها فيك ازدهت حلبُ
راياتِ حربٍ ولم يَنْجَحْ لهم نصبُ
عادِ التمرولنكُ في الخيَّباتِ ينتحبُ
لما أتاكَ صلاحُ الدينِ والعربُ
يومًا سواكَ فلا أُرْدَاكَ منقلبُ
حوادثًا لم يخامرَ نصها الكذبُ
بدرٌ على هالةِ جوفاءٍ منتصبُ
يدعو الرثاءَ وتشويهاً بهِ الكربُ
بين الورى لم يقم ما بينهم شغبُ
يهوى الخرابَ وكم فوق الثرى خربُ
عقلٍ كذا لم يطقْ لمع السنا كلبُ
خوفٍ وذو الأنس لا يلوي بهِ الهربُ
مذ غاب عني من أمثالهُ الشهبُ
إلا بهِ فهو عندي الأنس والطربُ
يدور قربك؟ قل لي أيها القطبُ!
حتّامَ عن مُقلِّ الأصحابِ تغربُ؟

ها أنتِ يا قلعةَ الشهباءِ لُحِتِ لنا
فكم عليك ملوكُ الأرضِ قد نصبت
كأنَّ عنوانَ يَوَابٍ وقاكِ لذا
كذا لوت بالصليبيين قهقرةُ
لم يبقَ من أثرٍ تزهو بهِ حلبُ
على جبينك أيدي الدهرِ قد كتبت
كأنها حين تبدو ضمنَ خندقها
أبقى على وجهها صدمُ الوغى أثرًا
لولا اختلافُ نواميس الشريعة ما
يا طالما عضدت أيدي الجهالةِ مَنْ
ذو الجهلِ يألَفُ ذا جهلٍ ويأنفُ ذا
وكل وحشٍ عن الإنسانِ يهرب من
فكيف عني صار الأنسُ منهزمًا
نعم أنا لا أرى أنسًا ولا طربًا
بالله قل لي أيا نجلِ الكرام: متى
وارحم أخًا كاد هذا البين يقتلهُ

وقال:

فلم تدع قلبَ صبٍّ غير ملتهبٍ
وظبيّةٌ إن رأتها الأسدُ تضطربُ
وريقها بفمي أحلى من الضربِ
والموتُ لي بالهوى إن ترضهُ يطبُ
لكن بها قد نما غرس الهوى ورَبِي
وكم صبرتُ على تعذيبها العذبُ
بك القلوبُ بلا بيضٍ ولا يلبُ
بعد العذابِ بلا ذنبٍ ولا سببُ
يا عاشقونَ فليس الصبرُ من أَرْبُ
دعاهُ بوقٌ جميل الصبرِ لم يجبُ

أبدت لنا الطلعة الغرا من الحجبِ
هيفاءُ تزري غصونَ البانِ قامتها
ضربُ من الزنبقِ العطريّ نفحتها
رامت مماتي بسيفٍ من محاجرها
أزوت غصونَ اصطباري نارٍ وجنتها
يا طالما عذبتني بالهوى ظلمًا
بالله يا لحظها الزنجيَّ كم أُسرَت
أستودعُ الله روحًا بالهوى قتلت
لا تحسبوا أنَّ لي بالحبِ مصطبرًا
بوقُ الهوى مذ دعا قلبي أجاب ومذ

بلوى الغرام

وتجلَّد فكلُّ آتٍ قريبُ
بعد هجرٍ تعجُّ فيه الكربُ
غير شوقٍ منه فناني لهيبُ!
آه لولا سفحُ الدموع أذوبُ!
فخيالُ لولا اللظى محجوبُ
فكأنني إلى الضنا موهوبُ
وبروض الجمال عيني تطيبُ
يا لطوِّ قد زلزلته الخطوبُ!
نَ الهوى ليس فيه شيءٌ عجيبُ
وسهادٌ ومدمعٌ مسكوبُ
مَ ورأسًا من الهوى لا يشيبُ!
فأنا لستُ للعدولِ أُجيبُ
بِ فيها إنني المريضُ الغريبُ
والهوى فوق جبهتي مكتوبُ
إن تثنَّت لها يخرُّ القضيبُ
نَ قوامًا فذاك ليس يصيبُ
وبقلبي العليل روحٌ وطيبُ
ما خلا الصبرَ بالضنا أيوبُ

أَعِد الصبرَ إنَّ يَعِدَكَ الحبيبُ
لا يَلدُ الوصالُ للصَبِّ إلَّا
أين صبري ولم يعد من وجودي
أسفحُ الدمعَ كلما هَمْتُ وَجَدًا
عبث الضيمُ والسقامُ بجسمي
أي عضوٍ لم يولهِ الحبُّ سقمًا
بلهيب الهوى فؤادي يفنى
زلزل الوجْدُ في الهوى طود صبري
منظري بالضنى نذيرٌ لمن ظنَّ
زفرةً تتلفُ الحشا بلظاهها
يا لحا الله عاشقًا يألفُ النو
أيها العاذلُ اجتنب عنك نصحي
أمرضتني الجفون في بلد الحبِّ
كيف أخفي الهوى عن الناس يومًا
حللتُ بالجمال قتلي خوْدُ
من يُقسها بالبدر وجهًا وبالغص
بفمي الريقُ منها راحٌ وشهدُ
أُلفَ الجسمَ حبها فكأنني

دهشة الهوى

ورنت فغادرت الجنان مصابا
تسبي البدور وتسلب الألبابا
ثمّن الغصون إذا انثنت إعجابا
فرقت على قمر السماء جنابا
هذا غدا برقاً وذاك سحابا
وتدِيرُ من خمر الهوى أكوابا

ماسست فأورثتِ الفؤاد عذابا
غيداء قام بها الجمالُ فإن بدت
ما قيمة الأنوار إن لاحت وما
رقت لطافتها وراق بهاؤها
طرفي ومبسمها أقاما نسبةً
مذ أقبلت تختالُ تحت قراطقٍ

وعانقتُ غصنًا مائسًا من قدّها
 وهممتُ ألثمُ خدّها وعيونها
 تحنو عليّ فلم تدع حركاتها
 لما أدارت لي الكئوس وثغرها
 لم أدِر هل سكري بخمرة كاسها
 تدنوا فيلويها الدلالُ فتننني
 ولقد سقتني من شمول وصالها
 عطفت عليّ فصيرت مني الحشا
 وشدت فأغنتنا عن المغنى الذي
 مذ بات عشاق السماع بشدوها
 تمشي وميلاتُ القوام تزينها
 فإذا اكتست حلّ الحيا عند اللقا
 حكمت على تلفي فقامت بطوعها
 إن أنكرت قتلي بسيفٍ لحاظها
 وإذا أردت عتابها فيصدّني
 يا عاذلي كرّر بلومي ذكرها
 فهي التي سلبت بطلعة حسنّها
 يا من بدت فجلت بداجي فرعها
 بالذلّ جئت مؤملًا وصلًا فلا
 إن ترتضي موتي بحبك فاحكمي
 لا تحسبي إن شبتُ شاب معي الهوى
 لا عادت الأبصار تبصر حالتي
 شذب الهوى جسمي وأوهن أعظمي
 يا ليلة بالوصل هل من عودة
 وصل وهجر للمحب وإنما
 يا قامة الغصن النضير ترفقي
 إن غبت عن عيني أيا قمري فعن

ونشقتُ من أنفاسها أطيابا
 فلتثمتُ لكن جمرّة وحرابا
 في القلب إلا صبوّة ولهابا
 يسقي النديم عن المدام رضابا
 أم من لماها قد شربت شرابا؟
 عجبًا فتبقي في العقول عجابا
 كأسًا بسلسال العناق مشابا
 نارًا وكان من الصدود ترابا
 قد ضمّ عودًا مطربًا وربابا
 متحيرين نوت لهم أغرابا
 وتهزّ خصرًا حاملًا أتعابا
 فأنا اكتسيّت من الغرام ثيابا
 ودعت فؤادي للفنا فأجابا
 فدمي بخديّها يقرّ صوابا
 خفقان قلب في هواها ذابا
 وانعش به الولهان تلقّ ثوابا
 عقلي وذقت بحبها الأوصابا
 قمرًا له اتخذ الجمال نقابا
 ندّعي العوادل أن يقولوا: خابا!
 فالموت في سنن المحبة طابا
 إنّ الهوى نسر يُعيدُ شبابا
 فقد اتخذت من النحول حجابا
 ومن العيون قد امترى تسكابا
 فيها أجر من الهنا جلبابا
 هذا أتى عذبًا وذاك عذابا
 بفؤاد صبّ بالعيون أنصابا
 قلبي خيالك لا يشاء غيابا

أَوَمَا عَلِمْتَ أَيَا مَلِيكَةِ مَهْجَتِي
إِنْ كُنْتُ فِي رَيْبٍ بِصَحَّةِ قَتْلَتِي
فَتَرْفُقِي يَا مَنْ حَوَتْ حَسَنَ الْوَرَى
أَنْ الْمَحَبَّ عَنْ الْهُوَى مَا آبَا
فَأَنَا بِسَيْفِ اللَّحْظِ لَنْ أُرْتَابَا
بِمَتِّيمٍ فِي ذَا الْهُوَى مَا حَابَا

وقال:

ومهاة فتنتني
وردد خديها سقته
بسنا الحسن العجيب
مقلتي فهو نصيبي

وقال:

وشادن تدهش الأبواب طلعت
بدا وصل عذاريه التوى فغدا
من ثغره يشرب الندمان مشروبا
قلب المتيم مسلوبا وملسوبا

وقال:

بَدَتْ أَسْمَاءُ مِنْ خَلَلِ الْحِجَابِ
فَهَمْتُ صَبَابَةً وَغَدَا فَوَادِي
عَلَقْتُ بِهَا رَدَاخًا قَدْ رَمَانِي
تَجَلَّتْ فَالْلَوَاحِظُ فِي جَنَانِ
وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيَّ وَكُلُّ عَيْنٍ
تُهَادِينِي التَّحِيَّةَ فِي خَفَاءِ
فِيَا لَكَ نَظْرَةً وَقَعْتَ بِقَلْبِي
وَمَذْ حَانَ الْفِرَاقُ غَدَا حَسُودِي
جَمَالٌ حَارَ فِيهِ الْعَقْلُ لَمَّا
عَلَى وَجْهِهِ تَغَارُّ الشَّمْسِ مِنْهُ
أَذَاتَ الدَّلِّ كَمْ تَبْدِينَ صَدًّا
بَصْدِكَ بَازُورَارِكَ بِالتَّجْنِي
خَذِي بِيَدِي وَلَا تَدْعِي فَوَادِي
فَطِيبُ النَّوْمِ عَنِّي بِابْتِعَادِ
بَدْمَعِ لَوَاحِظِي وَلَهَيْبِ قَلْبِي

عسى يطفى اللظى بردُ الرضابِ
لك البشرى وعدتُ بلا صوابِ
به وارثي لشيبتي في شبابي
بقلبي عاد يخفق باضطرابِ
ولم أكن في المحبة بالمحابي
فإنَّ إليك يا أملي مآبي
ولست أخوضُ إلَّا في العبابِ

هبي نضو الهوى لثم الثنايا
بحبك قد أضعتُ جميلَ صبري
على جسدي السقامُ بدا فرفقًا
ولما كهرباءُ الحبِّ بثت
علامك لا تفينَ حقوق وُدِّي
وعنك إذا نأيتُ وذا محالٌ
هواك لقد غدا بحرًا كبيرًا

مرور النسيم

حيثُ في غفلةٍ عيونُ الرقيبِ
هـ احملني من شذائه في الجيوبِ
تزعجيه فهو بلطفٍ عجيبِ
ليس يخفى أريجُ مسكِ وطيبِ
روضةِ الوردِ والخزامِ هبوبي
ينتِ آسًا يقومُ حولَ لهيبِ؟!
كم وكم أنت قاصدُ تعذبي!
ليس عفوٌ لولا وجودُ الذنوبِ
عن هوى الحسن ليس بالمقلوبِ!
وى ولا تَسأَمَنَّ جورِ الحبيبِ
فهو يحلو بالضيق عند اللبيبِ
أعهدُ البدرِ ليس بالمحجوبِ
فيا مهجتي احذري أن تذوبي
لي ولا أنثني إلى مطلوبي
و صوابٌ فلم أكن بالمجيبِ
ظنَّ أقواله كلامِ مصيبِ
ومرآك راحةً للقلوبِ
أنت أمرضتني وأنت طبيبتي

نبهي يا نسيمُ عينَ الحبيبِ
وإذا ما لثمت مسكُ عذاري
واتركي عطفه الرخيمَ لئلا
واحذري حيثما تهبي افتضاحًا
وإذا استنطقوكِ قولي لهم: من
يا نسيم الصباءِ بالله هل عا
يا حبيبَ الفؤادِ بالله مهلاً
بهواك اعفُ إن يكن لي ذنبُ
يا لك الله كم فتكتَ بقلبِ
أيها القلبُ كن صبورًا على البلى
وإذا الصبرُ كان للذوق مرًا
يا حياتي حُجبت عني وإني
أنت في مهجتي سكنت لك الله
لست أرضى سواك يومًا حبيبًا
قال لي العاذلون: كن ساليًا فهـ
وإذا ما الجهولُ قالَ كلامًا
كيف أسلو هواك أستغفر الله
أنت روحي وراحتي وعنائي

وكذا خمرة اللمى مشروبي
و من الدنيا ما له من نصيب
راصد الأوج والصبا في هبوب
ل من الصبر زائد بنحبيبي
رحل الصبر رحلة المغلوب
فانعطف بالهوى على المسلوب
مما رمانى بسهم لحظ مصيب
أوردته عيني فكان نصيبي
فتراه يعنو بطوع عجب
ب أتت بالخضوع للمحبوب
يحسن التيه من غزال ربيب
قد كساني الهوى ثياب المشيب
ما له عن أفلاكها من غروب
يا وأم البلاد ملجأ الغريب
جد بها من كوارث وخطوبي
نأء نجلي صدى الأسى والكروب
صانها فانتنت كقد الحبيب
ح فأضحى للسمع خير خطيب
ن غصوب وراقص وطروب

خذك الروض لي ونحرك صبحي
كل من لم يسكر بصرف الهوى فهـ
بالنوى يا عشاق كم بت شوقا
راح نومي وظل سهدي وما قلـ
إن جيش الهوى إذا حل قلبا
يا غزالا سلبت روحي دلالا
ودع الصدد والنفار أيا ريد
فتح الورد في خدودك لما
مر أبا الوجد بالذي أنت ترضى
وإذا ما النفوس مازجها الحب
ته دلالا ما شئت إنني قبول
ليس يحوي العشرين عمري ولكن
فأنا في الشهباء صرت شهابا
حلب جادها الحيا زينة الدنـ
طاب عيش الأنام فيها فلم يو
قم بنا بكرة لروضتها الغنـ
روضة رنحت نسيم الصبا أغـ
خطب العندليب في منبر الدو
نهرها والغصون والطير ما يبـ

وقال لحادثة جرت في أنطاكية:

الكفارة

وانظر إلى مشهد يجري به الرهب
بين الرسوم فقد يلهو بها الحرب
تلك القفار التي قامت بها الحرب
مدينة توجتها بالسنا الحقب
بين الربى كغزال حطه التعب

قف فوق سمعان حيث العجب والعجب
ولا تدع نظرات الطرف شاردة
فالدهر أودع أسرار القلب في
ونقل الخطو حتى يستقر على
هناك عاصمة الدنيا قد احتجبت

تلك الربوع التي ترعى بها السحبُ
 زوجان يجري عليها كوثرُ عذبٍ
 تعظمت إذ غدت لله تنتسبُ
 قدما وأضحت ملوك الأرض تضطربُ
 فالفرسُ والرومُ والأترāk والعربُ
 لما دهاها من الزلزال منقلبُ
 وكم خرابٍ له عظم البنا سببُ
 وتدمرُ دمرت أركانها النوبُ
 جبينها كضياءِ الشمس يلتهبُ
 لها الوقارُ على كل الورى يجبُ
 قبل الجميع ومنها قد بدا اللقبُ
 بها فدار عليها العلمُ والأدبُ
 إكرامها فهو قلب ماله نسبُ
 سمعاً لنهديك مدحاً كله رطبُ؟
 منك الفخار وحسن الأصل والحسبُ
 فتحت ظلك طول الدهر نحتجبُ
 عند الوقوع وعونٌ إن جرى الوصبُ
 به لدينا عصور الدهر والكتبُ
 منذ القديم وما كانت نمت حلبُ
 زالت عليك هباتُ الله تنسكبُ
 طولَ الزمان وقام الصفو والطربُ
 هوًى يرى وجهه من يهوى فينجذبُ
 مثل المجرة تزهو حولها الشهبُ
 إذا سرى لآخ بشرٌ وانمحي الكربُ
 ورق الحمى رقصت من تحتها القضبُ
 وهم يعودون لا سقم ولا عطبُ
 ثم انثنى نابحاً عنها فذا كلبُ

فيا سقى الله أنطاكيّة ورعى
 جنات أرض بها من كل فاكهة
 مدينة فاخرت كل البلاد وقد
 يا طالما اهتزت الدنيا لسطوتها
 ما هاجمتها الملا إلا لقدرتها
 كذاك لولا دوي الحافلين بها
 وربما أنتج الإقلال فرط غنى
 فبابل بلبلتها كل حادثة
 لكنني لم يزل نور الجلال على
 إن كان منها اسم دين الله قام فكم
 فيها تشيد للإنجيل ركن هدى
 كذا المدارس قد قامت مراكزها
 فلا رعى الله قلباً لا يميل إلى
 هل أنت يا أم سوريا أملت لنا
 فنحن أبناءك القدم الذين لهم
 ومن ثداك رضعنا كل مكرمة
 وليس للطفل إلا أمه سندُ
 هيهات ننكر فضلاً منك قد شهدت
 لولا وجودك لم يظهر لنا وطنُ
 فلا برحت مناخاً للرحال ولا
 يا حبذا بلدًا طاب المقيّل به
 هناك قد خضع العاصي خضوع أخي
 يجري ومن حوله زهر الربيع زها
 كذا النسيم الذي يشفي العليل به
 وإن تغنت على ألعانها وشدت
 فكم هناك ذوو الأسقام قد رحلوا
 من زار أرضاً بها عزاً رأى وشفا

قَوْمٌ لَهُمْ أَوْجُهُ بِالْبِشْرِ تَنْتَقِبُ
لا يَعْرِفُ الْحَقْدُ مِنْهُمْ لا وَلَا الْغَضْبُ
أَرَدْتُ بَمَنْ فِي حِمَاهُمْ يَحْتَمِي الْغَرْبُ
وَأَهْلُ لَطْفٍ فَهُمْ بَيْنَ الْمَلَا نَخْبُ
وَلَمْ يُوَافِقْ هَوَاهُمْ مِنْ بِهِ جَرَبُ
وَالْوَرْدُ يَنْفَرُ عَنْهُ الْخَنْفُسُ الْكَرْبُ
سَيَمَأُؤُهُمْ وَلَهُمْ أَضْحَى الثَّنَا يَجِبُ
لا يَحْمِلُ الْحَقْدَ مِنْ تَعْلُو بِهِ الرَّتْبُ

أَرْضُ لِسْكَانِهَا لَاقِ الْمَدِيحُ فَهُمْ
بِيضُ الصِّفَاتِ حَسَانُ الطَّبَعِ أَهْلُ تَقَى
يَسَارِعُونَ لِإِكْرَامِ الْغَرِيبِ فَمَا
هُمْ أَهْلُ جَوْدٍ فَلَا رَدُّ لَزَائِرِهِمْ
وَأِنْ يَكُنْ عَرَفَهُمْ قَدْ سَاءَ نَاكَرُهُ
فَالشَّمْسُ يُوْذِي كَلِيلَ الطَّرْفِ مَشْرِقُهَا
يَا مَعْشَرَ الْأَلَاتِ آلَاؤُهُمْ وَسَمْتُ
إِنْ كَانَ حَقٌّ لَكُمْ أَنْ تَحْقُدُوا فَأَرَى

وقال:

فِي شَرَكِ الْأَعْدَاءِ حَيْثُ الْوَصْبُ
وَمَا مِنَ الْأَخْطَارِ غَيْرِ النَّصْبُ

خَاطَرَتْ بِالنَّفْسِ فَأَوْقَعْتُهَا
يَخَاطِرُ الْجَاهِلِ فِي نَفْسِهِ

الحنو

فَغَادَرَ سِرَّ الْحَبِّ يُجْلَى عَلَى قَلْبِي
فَهِيَجُ وَجْدِي حَيْثُ لَمْ يَدِرْ بِي صَحْبِي
بِهِ مِنْ بَدْوٍ قَدْ تَجَلَّتْ عَلَى قَضْبِ
كَئُوسًا عَلَى رَبِّ الصَّبَابَةِ وَالْحَبِّ
فَيَقْتُلُنِي عَمْدًا وَمَا لِي مِنْ ذَنْبِ
وَتَحْيِي إِذَا جَادَتْ بِمَرْشَفِهَا الْعَذْبِ
حَلِيفُ الْهَوَى مُضْنَى الْجَوَى فَاقْدِ اللَّبَّ
يَطِيرُ شِعَاعًا قَلْبُهُ الْهَائِمُ الْمَسْبِي
سَرَائِرُهُ وَالِدُورُ يُعْزَى إِلَى الْقُطْبِ
شَكَتْ مَقْلَتَاهُ الضَّرَّ مِنْ ذَلِكَ الصَّبِّ
تَعَلَّمْتُ أَشْكَالَ الْغَرَامِ بَلَا ضَرْبِ
يَقَاطِعُهَا خَطُّ الدَّرَايَةِ وَالْإِرْبِ

تَبَدَّى سَنَا ذَاكَ الْجَمَالَ مِنَ الْحَجَبِ
وَأَوْمَضَ بَرَقُ الْحَسَنِ مِنْ فَلَكَ الْحَمَى
سَقَى الْعَارِضُ الْوَسْمِيُّ ذَاكَ الْحَمَى فَكَمْ
رَبَائِبُ مَا زَالَتْ تَدِيرُ مِنَ الْهَوَى
يَغَاذِلُنَ بِالْأَلْحَاطِ وَهِيَ صَوَارِمُ
فَمَنْ كُلِّ حَسَنَاءٍ تَمِيَتْ إِذَا جَفَتْ
دَعَوْنِي دَعَوْنِي يَا عَوَاذِلُ إِنَّنِي
مَحَبٌّ إِذَا مَا جَاءَ ذَكَرُ حَبِيبِهِ
أَنَا هُوَ قُطْبُ الْحَبِّ دَارَتْ بِسَاحَتِي
وَصَبٌّ إِذَا هَزَّتْ يَدُ الشَّوْقِ نَفْسَهُ
إِذَا احْتَجَّ تَلْمِيزُ لَضَرْبِ فَإِنَّنِي
وَخَطُّ الْهَوَى إِنْ مَسَّ دَائِرَةَ النِّهَى

وصبري عصاني إن ذا لمن الخطب
سمعتُ بأذني رنة السهم في قلبي
وليس لها عن أعين الناس من غرب
وتجمد عيني وهي سائلة الغرب
خفوق قلوب الجبن في حومة الحرب
ولم أدر ما نمّ الوشاة ذوو الكذب
لعمرك من بدر السما صلة القرب؟!
وقد شمتَ الحسادُ بي مذ رأوا شجبي
فأبغضت الواشين لما رأت نحبي
صدودي؟ فطب بالوصل يا صادق الحب
فرصعت الياقوت بالؤلؤ الرطب
كئيباً فما كان الجفاء سوى لعب
وهارَ وجهه الفجر لاح من الحجب
أجابت: غداً فاصبر ولا تك في كرب!
تودّع صادت طير قلبي بالقلب
بقوة ذاك الاحرار الذي يسبي!
يميلان عن خطيهما بقوى الجذب

بروحي عجباً هواها أطاعني
لها أعين ترمي سهاماً فإن رنت
بأفق محيّاها زهت زهرة البها
يذوب فؤادي حيث لاح جمالها
ويخفق قلبي كلما تذكر الجفا
رجوت نوال القرب منها فلم تجد
وقالت: أيا مغرور هل أنت ترتجي
فلما تمادى الصد والقلب ما سلا
فجاءت ترى ما حلّ بي بعد بعدها
وقالت: حبيبي هل جميع ضناك من
بكت إذ رأت عيني يسيل عقيقها
وحنّت وقالت: قرّ عيناً ولا تكن
وقامت إلى التوديع حين انحلى الدجى
فقلتُ لها: يا نور عيني متى اللقاء؟
ومذ جعلت فوق الجبين يداً بها
فكم جذبتني مقلتها عن السوى
إذا مرّ سيّار بآخر في السما

وقال:

وهل لي غير واصلك مستطاب؟
ولولا الشمس ما سحّ السحاب

حبيبي هل لحسنك من نظير؟
نظرت إليك فانسكبت دموعي

وقال:

لك يا رشا للقلب كان حبيبا
فأحس منها في الفؤاد ديبيا
تهدي وتهدر أدمعاً ولهيبا
فكأنّ أعضائي خِلَقن قلوبا

خطراتُ ذكرك تستثيرُ مودتي
ولظى خدودك تنجلي لنواظري
لا عضو لي إلا وفيه صباية
ناجى الهوى قلبى فهامت أضلعي

إلى صاحب له:

فما لي أرى هذي المدامع تسكب؟!
فرحت ولا تدري الذي بك يلعب؟
إلى ما يُريخ القلب طورا ويَتعب
فكم بالجفا تشقى أسى وتعذب
إذا لم يكن بين القلوب تقرب
وخير الهوى ما للفريقين صحب
وكل خبيث عند باغيه طيب
يصيب ارتياحا قلبه المتعذب
وقلب على نار الهوى يتقلب
فديتك شمسا في فؤادي تغرب
وفرعك هذا أم تفرع غيهب؟
سبلن على قد إلى البان ينسب
بدت فإليها كوكب الطرف يجذب
بدا قلت: يا ليت العواذل تحجب!
وعندك صل الفرع يحمي وعقرب؟
وفي ثغرك الدر الذي ليس يثقّب
وكانت لذاك البدر عينا يترقب
لك الأمر ما يرضى المحب ويغضب
وأصبو إليك كلما لاح كوكب
وظلمك يهدي الشهد والشهد يعذب
وهيهات أسلو ما به العقل يسلب
ولو أن هذا العذل مخل مركّب
وقلبي على جمر المحبة يلهب
ضلوعي أرواح الهوى ليس تذهب
فرازا وصبر الصب لا شك يغلب
يؤمل بمن يرمى الولا لا يخيب

إذا كان تعذيب الهوى لك يعذب
ترى هل صروف الحب أصرفت النهى
وليس الهوى إلا قوى تجذب الفتى
فإن نعمت بالوصل نفسك ساعة
وما الحسن كاف للمحبة وحده
وشر الهوى ما لم يكن متبادلا
تطيب تباريح الغرام لأهله
إذا ما بدا للصب وجه حبيبه
فعين بجنات المحاسن ترتعي
أمشركة بالحسن والبدر دونه
نسيم الصبا ذا أم دلال الصبا بدا
جلوت هلالا تحت ليل غدائر
ومن أفق ذاك الجيد شمس الجمال قد
جبينك ذو النور الصباحي كلما
أتحمين ورد الوجنتين ببرقع
ففي خدك الورد الذي ليس يجتنى
بروحي ليال كان وجهك بدرها
هجرت فأغضبت المحب فواصلني
وكم غيهب قد بت أرعى نجومه
فظلمك يجدي السهد والسهد مؤلم
يروم سلوي حسن وجهك عاذلي
فتقل الجوى لم يرتفع عن جوانحي
يسيل دمي عن مقلتي صباة
وكل دمائي إن تسل لم أمت فعن
لقد حارب الحب اضطباري فانتنى
وإن تفتقر نفسي لعون تنل فمن

تسنم متن الفضل ندب مهذب
فراخ لأذيال المكارم يسحب
سنى وسناء فهو كالنجم يرقب
وفي كريم اللب للخير يرغب
ومن خيمه ينمو النهى والتأذب
شمائله ريح الصباء تشبب
ومن لفظه خير الجواهر نكسب
بقلبي الذي عن ودكم ليس يقلب
وهل لسواكم ذلك الدرّ يجلب
تحبيكم ما الطير في الدوح تخطب
من الغرب لكن ما لها قط مغرب
لأسرارها عن كل عقل تحجب
ويرهبها فالأم لكل والأب

صديق به نيط الإخاء وحازم
كسته يد الأيام جلباب رفعة
زها في الورى خلقا وخلقا وقد علا
صفي سليم القلب سيماؤه التقى
به الود مغروس ولم يزوه أسى
تشب لظى أفكاره بالذكا وعن
فمن فكره يبدو شعاع الهدى لنا
أخلاي ها غصن الوفا عاد مفرعا
جلبت لكم درّ القريض فرائدا
إليكم مني غادة عربية
وكم مشرق الشهباء يطلع أنجما
كستكم ثياب المكرمات طبيعة
يلذ بأثار الطبيعة ذو الحجا

وقال:

غدا وجهها في ظلمة الفرع كوكبا
ولو كان منك العذل مخلّا مركبا

عذولي دع عذلي بحب مليحة
فثقل الهوى لم يرتفع عن جوارحي

السلو

إنّ ذاك الصب قد عاف التصابي
وسلا عن ذلك الوجه المحابي
بالوفا والغدر من طبع الذئاب
فمشت والدهر مخبار الصباح
لي ولو جرعت كاسات العذاب
حرمة الود وفرت كالعقاب؟
فغدا لما جفتني كالضباب
وسأرعاه إلى يوم الحساب

قل لمن قد حاولت قطع الخطاب:
ومن الحبّ خلت أحشأؤه
غدرت بالعهد إذ وافيتها
أنهج الدهر لها سبل الجفا
فغدا ترك الهوى مستعذبا
كيف لا أسلو التي قد جرحت
كان في قلبي هواها كالربى
ربة الغدر أنا رب الوفا

فأنا سمحٌ وحسبي تركٌ ما بي
منك بان اليوم لي ضدَّ الصوابِ

لا أباديك بما باديتني
كل ما قد كنت أستصوبه

وقال إلى صديق له:

إشارة الوداد

وَحَشَى على لَهَبِ الجوى تتلهبُ
أشهى لديه من الصَّبَاءِ وأعذبُ
يوم الوصال فبئس من لا يطربُ
يا ابن الحجي فالحب للنديا أبُ
يردُّ المشيبُ ففيه حذك يهربُ
تحكي الشهابَ دمي فداها يسكبُ
لحظاتها انصلت الصقيل الأشطبُ
فتكت فذي أسدٌ وذلك عقربُ
وردًا ولكن مأوّه لا ينضبُ
أودعت قلبي في يديك يعذبُ
بيعًا به رغمَ العواذلِ أكسبُ
فجفاك أكثر من وفاك وأغلبُ
فلم أراه اليوم غيظًا يقطبُ؟
عفت الوفا فلأيّ شيءٍ أنسبُ؟
دعوى الوشاة فكل واش يكذبُ
إنَّ المودّةَ للمودّة تجذبُ
كونٌ وأحكام الطبيعة تعجبُ
بفؤاده أيدي التصابي تلعبُ
وادي الهيام كقيس لُبْنى يضربُ
ركبَ النجوم وبالصبا يتصبّبُ
عجبٌ فذا برجٌ وذلك كوكبُ

قلبٌ على وَصَبِ الهوى يتقلّبُ
ولظى الصبابة للفتى زمن الصبا
لا يُطربُ الإنسانَ شيءٌ كالهوى
فاشرب كئوس الحب في حان الصبا
وارع الغرام على الشبيبة قبلما
لي من دُمى الشهباء أحسن دمية
خودٌ إذا نظرت فرت كبدي فمن
صدغ لها لذغ الفؤاد ومقلّة
وبخذّها اتحد الحيا فأحاله
يا فتنة الألباب حسبك أنني
لسنّك بعث العقل في سوق الهوى
لكنني لم ألق منك سوى الجفا
بالأمس وجهك كان يبسم بالرضا
هل قد سمعت مقالة الواشين أم
حاشا لمثلك أن تكون قبولة
ومن المحال عليك ترك الود إذ
لولا التجاذب في الطبيعة لم يقم
عطفا أيا ذات النفار على شج
صبٌّ إذا ما جاء ذكرك راح في
كم بات يرصد بالنوى متحيرًا
إن كان حسنك حلّ في قلبي فلا

أمرٌ مهولٌ عند غيرك يصعبُ
ممن تُلذ له الحياة فيرغبُ
عندي كفتح الله حبك يعذبُ
من وردها كل الموارد تشربُ
دُرر الولاء فينعم هذا المكسبُ
كملت فضائله فليست تحسبُ
ومكانة عليا وأصل طيبُ
مجنونة أبداً ومن لا يجذبُ
يزهو بنور بشاشة لا تغربُ
شرقاً لكان يخال أنني أطنبُ
لفظ جميل فيه معنى مطربُ
شرف الكمال كذا الذكا لك ينسبُ
خزي الحسود وحق المستوجبُ
عنقي ومن كل مديحك يطلبُ
رأف أتى لرداح ودك يخطبُ
إن العلاء لمثل شخصك مركبُ
واغز الخطوب فلا محالة تغلبُ
ومن الذكا والعقل عندك موكبُ

أو كان عندك هان سفك دمي فذا
لهواك أرغب في الحياة ولم أكن
حزت الجمال بأسره حتى غدا
شهم صفت منه الصفات فأوشكت
هو بحر ود منه يكتسب الفتى
حُمِدَت مناقبه لذا مُدِحَت وقد
فطلاقة قصوى ورأي ثاقبُ
وداعة تدع القلوب لحبه
هو في سماء الفخر بدر معزة
لو لم ينل شعري لمدح صفاته
والشعر ليس يجله شيء سوى
يا أيها الندب الذي لك ينتمي
شيئان قد ندبا لمدحك همتي
فمديح لطفك قد غدا دينا على
خذا يا أبا النعمى صادق الصدق من
واركب أيا نجل الكرام على العلا
واحمل على الأيام حملة كاسر
فمن الثنا والسعد عندك جحفلُ

وقال:

يتبادرون إلى القعود على الركب
لله درك كم تعلمنا الأدب!

إني رأيتُ الناس في فصل الشتاء
والصيف فيه يشطحون فيا شتا

حوادث الهوى

وبمراك قد أضعت صوابي
عدت أرعى الهوى بقلب مذاب
يا لشيب يلوح فوق الشباب

يا جمال الحبيب أنت عذابي
مشهد كلما تأملت فيه
شبت ممّا قاسيت فيك غراماً

صار عقلي مبدِّدًا كالضبابِ
عبراتِ العيونِ مثل السحابِ
صار بُعدي عنه نظير اقترابِ
حيث كلُّ الأشياءِ تدعو انتخابِ
ودموعُ تهمي بكل انسكابِ
وفؤادٌ يرعى بدورَ حجابِ
كنفار الشحيح عن ذى طلابِ
ذابَ وجَدًا ما قولكم يا صحابي؟
أو زعمتم كاس الهوى كالشرابِ؟
كالمنايا وعلقمُ مثل صابِ
جسدًا ضاع في خلال الثيابِ
وقضيبَ النقا وظبي الروابي
أخضعتني قوَّاتُه للتصابي
يا حياتي عليك حلَّ الفنا بي
إن موتي خيرٌ من الأوصابِ
يكُ ريان من زلال الرضابِ
بينه والسلو رشقُ حرابِ
ر وأوقدت فيه كلَّ لهابِ
رقص القلبِ رقص طير مصابِ
دته النوحُ في الأمور الصعابِ
ذة تفتُر تحت ذا التسكابِ
هممُ الحبِّ والعدى في غيابِ
فأنارتُه بابتسام العتابِ
سَخَطِ بل عن حيرةٍ واكتئابِ
ق وأبدي برق الثنايا العذابِ
نلتقي فهو في الهوى ذو اضطرابِ
د دمَ العشقِ في مجاري الشبابِ

أخذتني خمر الصبابةِ حتى
وبقلبي الجوى أحاط فأجرى
واستقرَّ الحبيب في النفس حتى
فكأنَّ الدنيا غدت لي غرامًا
أرقُّ دايماً وشوقٌ مديدٌ
وعيونٌ ترعى بدور ظهورِ
واصطبارٌ في الحاليتين نفورٌ
يا صحابي ما قولكم في فؤادِ
هل ظننتم أنَّ التتيم سهلٌ
لا تظنوا أو تزعموا فهو صعبٌ
فتكت بي يد الهيام وأضنت
يا مهة الحمى وبدر المغاني
جذبتني منك اللواحظُ جذبًا
كلما أوقع الولوعُ لحاظي
فأريحي المحبَّ أو فاقتليه!
لك لفظٌ لم يروِ قلبي لو لم
ليت قلبي يسلو هواك! ولكن
قد سكنت الفؤاد يا ربَّ السح
كلما غنى في الخفا لك ذكرٌ
إن أكن قد بكيت فالمرء من عا
لهفةً تسكب المدامع واللذ
ربَّ ليلٍ عذبٍ به جمعتنا
فرأت وجهي البشوش عبوسًا
لا تخالي هذا القطوب جرى عن
وأبينني ما في فؤادك من شو
لا تصدي ذا القلب عن خفقه إذ
ودعيه بالخفق يدفع للخذ

حيرتني بالسلب والإيجاب
 ق فكم عثت في قلوب الشباب
 ق وأنضبت من دم في الوطاب
 ل غزال الفلا لليث الغاب
 ع ودانت لديك كل الرقاب
 وا عذابي من الهوى وا عذابي!
 ومما جرى به وا مصابي!
 م ولا يله عنك وقع الخراب
 من ضنائي وحرقتي وانغلابي
 وأطالت عن الصواب اغترابي
 وأقام الهيام كل العنا بي
 ياء ما كن قط من آدابي
 ي وأنجو من لجّ ذاك العذاب؟
 ضاع بين الأكدار والأتعاب!
 ل وفقد اللذات والأطياب
 عندما ذقتة أضعت حسابي
 ويح قلبي من ذلك المستطاب!
 وحبیب لم يرع ودّ المذاب
 غير علمي أنّ الحبيب محاب
 في الدياجي عساه يطفى التهابي
 دي بخارًا تغدو به في احتجاب

فتنتني منك الحواجب إذ قد
 لا عدمت الزوال يا دولة العش
 ولكم قد نضيت دمعاً من الما
 لك ذلت كل النفوس كما ذل
 وبك الشامخات دكت إلى القا
 كم وكم فيك بات قلبي ينادي
 وا مصابي مما أقاسي من الوج
 فلتدسك الأيام يا دولة الظل
 آه وا حسرتي ووا حرّ قلبي!
 ضيعتني الأشجان في كل ناد
 وأضلت قوى الصبابة عقلي
 طالما ساقني الغرام إلى أش
 فمتى يلمع الخلاص لعيني
 وا بكائي على صباي الذي قد
 حينما لم أنل سوى قلق البا
 قد حسبت الغرام سهلاً ولكن
 وكذا خلت أنه مستطاب
 فمحب يذيبه الشوق قهراً
 ليس عندي لداء حبي دواء
 طالما قد سفحت غيث عيوني
 وإذا اشتدت الحرارة تستب

وقال يرثي أحد أصدقائه الشبان:

فلم يعد في حياة المرء من طرب
 لذاك لم يبق دمع غير منسكب
 فلا يزال فعول الغدر والغضب
 إلا وألقى عليه برقع الكرب

ألقي الزمان على الدنيا يدا النكب
 والدهر أمطر فوق الناس كل أسى
 دهر خئون يرى فعل الجميل سدى
 فما رأى قط وجهها لاح مبتسماً

حتى هوى بهلال الأوج في الترب
وصاح كل فتى بالويل والحر
وظلمة الحزن قد مدت على حلب
حلول بدر الصبا في أظلم الحجب؟!
أفق الشباب بديع الحسن والأدب
ويا لغصن كمال قد زوى وسبى!
وغاض ماء قوام ناضر رطب
وكم ترقرق دمع فاض كالسحب!
تنشق من كمد والشمس من عجب
هل أنت تعلم من في ذا التراب خبي؟
قد صرت يا أيها الشيخ القديم صبي
قد بات فيك ضجيعاً ناعم الجنب
من كان أجرى من الغدران والصَّبب؟!
بصفرة الموت محبوباً وبالعطب!
إذا دعونه لم ينظر لذي طلب!
وعايني كيف من تدعين لم يُجب
قولوا لبقراط: إنَّ الطبَّ لم يطب
عليه ماذا أفادت أدمع الصحب
أليس تدرون بخل الدهر بالنخب؟!
وليس يسرق إلا من يد السبب
شعوره بالضنا والضنك والتعب

ما زال يفعل آيات الردى نكدًا
فاسترجع الناس يبكون الدما أسفًا
أما ترى الكل في لطم وفي نحب
نعم فأئ مصاب كان أعظم من
بدر هوى من أعاليه وكان على
فيا لبدر جمال عاد منخسفًا
قد غاب رونق وجه زاهر حسن
فكم تَفَطَّر قلب يوم مصرعه
وكادت الأرض إذ قاموا بمحمله
بالله يا قبر بل يا بيت كل فتى
حويت من قد حوى خير الشباب فيها
من كان يؤذي رفيع الوشي جانبه
ما للجمود بميخائيل مشتغلًا
ما لي أرى ذلك الوجه الجميل غدا
ما لي أرى من يجيب الكل في طلب
فيا جميع العذارى في الحداد قفي
ويا جميع الأطباء أين طبُّكم
كذاك يا أيها الصحب الذين بكوا
ها قد فقدتم فتى عز النظر له
والموت يهجم مثل اللص مندفعًا
فما حياة الفتى عند اللبيب سوى

وقال في العرب والإفرنج:

مهلاً فلا خير بابن قد زرى بأب
لهم على قوم إسماعيل ذي النسب
معالم العرب كل العلم والأدب
يتلوهُ والشعر حتى كلَّ منتخب

حتام تزرون يا إفرنج بالعرب
ما فضل قوم من الأوباش لا نسب
إن كان بالعلم جئتم تفخرون فمن
أخذتم الطب عنهم والحساب وما

مَعَ الزَّرَاعَةِ وَالتَّحْصِيلِ وَالْجَلْبِ
فِي أَرْضِ أُنْدَلِيسٍ مِنْ تِلْكَمُ الْكِتَابِ
أَرْزَاقِنَا أَهْ وَ حَزَنِي وَوَا عَجَبِي!
عَلَى غَنَى فَاكْتَسَى طَوْقًا مِنَ الذَّهَبِ؟!
ذَا اللَّصُّ فَالْدَهْرُ حَكَمَ غَيْرَ مَنْغَلٍ
عَلَى بَنِي الْعَرَبِ أَهْلَ الْأَصْلِ وَالْحَسَبِ
فَكَرَمُوا سَلَمًا تَمْتَدُّ لِلشَّهَبِ
فَالْعَرَبُ سَادَتَكُمْ مِنْ سَالَفِ الْحَقِيبِ
مَا جَاءَ سَيِّدُهُ إِلَّا مِنْ الْجَنْبِ
لَمْ يَلَفَ بَيْنَهُمَا وَاللَّهِ مِنْ نَسَبِ
وَمِنْ ذِكَاةٍ وَمِنْ صَفْوٍ وَمِنْ طَرِبِ
مَرْوَعَةٍ دَابَّهَا تَبْدُو لَدَى الطَّلِبِ
فَاغْتَلْتُمُوهُ وَشَنْتُمْ ذِمَّةَ الْعَرَبِ
قَرَى ضِيُوفٍ وَإِحْسَانَ لِمَغْتَرِبِ
فَمَا خَلَّائِقُكُمْ يَا أُمَّةَ اللَّجْبِ
وَمِنْ عَتَوٍْ وَمِنْ حَقْدٍ وَمِنْ غَضَبِ
فَمَا نَطَقْتُمْ بِغَيْرِ الْمِينِ وَالْكَذِبِ
خَلُّ سَوَى الْفَضَةِ الْبَيْضَاءِ وَالنَّشِبِ
وَلَا حَنُوٍّ وَلَا عَوْنٌ لِمَنْتَكِبِ
أَنْسُ لَدَيْكُمْ وَلَا بَشْرٌ لِمَرْتَقِبِ
حَتَّى تَعُوذَ لَكُمْ بِالنَّهْبِ وَالسَّلْبِ
تَزْرُوا بِهِمْ كَازِدْرَاءَ الشُّوكِ بِالرُّطْبِ
تَذَكَّرُ يَا بَنِي حِمَالَةِ الْحَطْبِ
كُلَ الْمَنَاطِقِ مِنْ قَطْبٍ إِلَى قَطْبِ
وَأَرْسَلُوا فَخَرَهُمْ يَعْدُو عَلَى السَّحْبِ
مَا بَيْنَكُمْ وَإِذَا غَابُوا فَلَمْ تَغِبِ
غَيْرَ الْحُرُوبِ وَدَفَعَ النَّاسِ فِي الْحَرَبِ
رَاسَ الْمَدَارِ وَهُمْ الْغَرْبُ لِلذَّنْبِ

وَعَنْهُمْ صَنْعَةُ الْبَنِيَانِ قَدْ أَخَذَتْ
تَذَكَّرُوا مَا غَنِمْتُمْ يَوْمَ نَدَوْتُمْ
فَهَلْ فَضَلْتُمْ عَلَيْنَا بِاخْتِطَافِكُمْ
وَأَيُّ فَضْلٍ لِلصِّ دَبَّ فِي غَسَقِ
فَسَوْفَ يَقْبِضُ جَاسُوسُ الزَّمَانِ عَلَى
لَا تَفْخَرُوا يَا بَنِي الْإِفْرَنْجِ فِي شَطِيطِ
صَعَدْتُمْ الْأَوَجَ لَكِنْ فَوْقَ سَلْمِهِمْ
وَطَهَرُوا عِنْدَ ذِكْرِ الْعَرَبِ أَلْسِنَكُمْ
مَهْمَا سَمَا الْعَبْدُ وَاسْتَعْلَى وَزَادَ غَنَى
ذِي فِطْرَةِ الْعَرَبِ عَزَّتْ أَيْنَ فِطْرَتِكُمْ؟!
أَنْشَاهُمْ اللَّهُ مِنْ جُودٍ وَمِنْ كَرَمِ
وَمِنْ ذِمَامٍ أَبِي إِلَّا الثَّبَاتِ وَمِنْ
هُمْ الَّذِينَ لِتَارِيخِ الْقَدِيمِ حَمَوَا
حَسَنَ الْوَفَا وَالْوَلَا يُعَزِّى لَهُمْ وَكَذَا
هَذِي خَلَّائِقُهُمْ وَالْكَلَّ شَاهِدُهَا
دِحَاكُمُ اللَّهُ مِنْ لَوْمٍ وَمِنْ عَنَتِ
كَأَنَّمَا مَعَهُدُ الطَّاعِثِ عِنْدَكُمْ
فَلَا صَدِيقٌ لَكُمْ غَيْرُ النَّضَارِ وَلَا
وَلَا وَفَاءٌ وَلَا عَهْدٌ وَلَا ذِمٌّ
لَمْ تَحْسِنُوا غَيْرَ تَعْبِيسِ الْوَجْهِ فَلَا
وَلَمْ تَمْدُوا يَدًا لِلْغَوِثِ إِنْ قُصِدَتْ
هِيَهَاتَ مَا الْعَرَبُ تَهْوَى ذِي الطَّبَاعِ فَلَا
تَأْدَبُوا كَلِمًا لِلْعَرَبِ عَنْ لَكُمْ
الْعَرَبِ قَدْ مَلَكُوا الدُّنْيَا وَقَدْ فَتَحُوا
وَقَدْ تَعَالَوْا وَسَادُوا وَارْتَقَوْا وَسَطُوا
وَهَاكَ آثَارُهُمْ بِالْفُوزِ شَاهِدَةٌ
فَمَا فَضَائِلُكُمْ بِالْأَرْضِ نَحْسِبُهَا
تَبَارَكَ اللَّهُ إِنَّ الشَّرْقَ هُمْ إِلَى

وقال:

من عاشقٍ لم يدعُ غيركِ أو يُجِبْ
أرعاهُ في أفق الغرامِ وأرتقبُ
شمس الضحى والبدر منه يعتجبُ
فعلى هياكل مهجتي هو منتصبُ
قدس الجوى قسمًا بذاك المحتجبُ
برق السماء ببرق ظرفٍ لم يغبُ
يفترُّ إذ أروي الشجون وأضطربُ
راعى النظير فذي وذا درُّ رطبُ
عند الصباح فتسرق العطر العذبُ
ما كنت لولاهنَّ صدقتُ الكذبُ
غاراتهنَّ وما أنا ممن غلبُ
وملكن مملكةً أبت أن تنقلبُ
يرعى الذمام ولا يخونُ ولو سلبُ
يعلو ويعظمُ من إليها ينتسبُ
وكذا الخئون إلى الإهانة قد شجبُ
فرح الفتى! وأقلَّهم إذ يكتئبُ!
لا يجتدى أو راحمٌ لك يجتنبُ
كالشامتين تزيد نكبةً من نكبُ
عنه ويسكت فيه من هو مقتربُ
والصامتون الأقربون وذا يجبُ
وإذا أتمَّ وعيده لا انتحبُ

نفس وقلبٌ ذي تحبُّ وذا يجبُ
يا كوكب الحسن الذي طول المدى
حسنٌ عليك تغار من أنواره
إن كنت أنت من الدُمي صنم الهوى
عذبٌ على قلبي السجود لديك في
لك في الحديث تبسمُ يسطو على
روحي الفداء لذلك الثغر الذي
ثغرٌ إذا ما افتترَّ من كلمي فقد
أو جنبذ في الروض تفتحهُ الصبا
أفديك ساحرةً العقول بأعينِ
مقلٌ عليَّ أغرَن من جيش الهوى
حتى افتتن حصون قلبي غلبةً
قلبٌ على عهد الصباية ثابتُ
لا والذي جعل الوفاء مزية
إنَّ الوفيَّ على الكرامة قد ثوى
ما أكثرَ الوافين والواقين في
الناس في بلواك إمَّا شامتُ
ولرحمة المتوجعين حازةً
وعلى المصاب يضجُّ من هو باعدُ
فالصارخون الأبعدون عن الأسى
أنحو النحيب إذا توعدني الردى

الكلام الجامع

كفاك تصلي فؤادي يا أبا لهب
أفديك غصنٌ كثيبٌ صادٌ عن كثبِ

أقولُ للخذِّ عند اللثم للشنب:
وقلتُ للقدِّ لمَّا صادني مَيْلاً:

لله درك يا ضحاك بالحَبَبِ
يزري الشمس بنور غير مكتسب!
منازلُ ضمن قلبٍ جلٍّ عن ريبٍ
عقلي بطلعتها ما قيمة السَلَبِ؟
لَهُ على الخطب صبرٌ غيرٌ منغلبٍ؟
يُجلى على القلب رَغَمَ الخدر والحُجَبِ
رَنَتْ فما فَوَّقت سَهْمًا ولم يصبِ
قلبي فضجَّ بصدري طالبَ الهرَبِ
فجاء شعري بسحرٍ طيبٍ عذبٍ
لي بالثراءِ ولا أهفو إلى الرُتَبِ
إن لم أكن مستحقًّا رفعة اللقبِ
موتي نظيري فحسبي فخره الحسبِ
إن لم يكن فاخرًا بالعلم والأدبِ
وذكرُ ذي الفضل لا يُمحي مدى الحقبِ
يُخلُّ زلٌّ ولو قد غاص في النَّشَبِ
وحلية بالسنا تزهو على الشُّهَبِ
أعماله الناس لا من تاه بالذهبِ
وكم غنيٍّ عقيمٍ كالسباخِ غبي
إخوانه الناس لا بالسمر والقُضْبِ
حجارة الماس والياقوت ذي اللهبِ
وتلك للكبر والإسرافِ واللعبِ
والصدق هيهات أن يحمر كالكَذِبِ
وهو الغني الذي يحيا بلا نَصَبِ
ولو حوى ملكَ سلطان وعلم نبي
ولابتلاع الدُّنا يمسي على سغبِ
كالنار تهضم ما تلقى من الحطبِ
إذا انقضى أربُّ يصبو إلى أربِ

ومذ تضاحك ذاك الثغرُ قلتُ لَهُ:
من لي بحبِّ رداحٍ وجهها قمرٌ
يدورُ في فلكٍ من جوهرٍ ولهُ
يا ليت شعري هل تدري التي سلبت
وهل ترى علمت أن الذي غلبت
مقصورةً في حجاب الخدر مشهدها
وغادةً عينها ترمي الأسود إذا
لواحظُ نفثت سحرَ المحبة في
ولقنتني معاني الشعرِ رائقةً
فإن يكن قد سما قدري فلا طمعُ
هيهات يرفعُ قدري في الورى لقبُ
مالي وللشرفِ الممنوح من بشرٍ
لا يفخرنَّ امرؤُ بالمال والرتبِ
فالمال يُفنى ويُمحى ذكرُ صاحبه
ولا يجُلُّ الفتى إلا الكمال فَمَنْ
هذا لباسُ أبي التردادُ يخلقه
أما ترى أنَّ خيرَ الناس من نفعت
فكم فقير أتى الدنيا بخير غنى
والباسل القرمُ من بالعرف غار على
إني أرى الحجرَ الفحميَّ أفضلَ من
فذاك قام لنفع الناس كلهم
نعم صدقتُ وربُّ القنع يشهدُ لي
إنَّ القنوعَ نفيسُ النفس راشدها
وذا المطامع مغرورٌ ومفتقرٌ
يغدو لورِدِ الغنى دومًا على لغبٍ
ولا يذوق المدى ريبًا ولا شبعًا
والمرء لا تنقضي آراؤه أبدًا

قافية الباءِ

والنفسُ في مضجعِ الجثمانِ راقدةٌ كالشيخِ تحلمُ بالأشياءِ حلمَ صبي
ألا وحقُّ أبي هذا الملا عجبٌ هذا الملا عجبٌ ألا وحقُّ أبي

قافية التاء

وقال:

يا غزالاً تلفتنا	صلُ فهجري إلى متى؟
عيل صبري بذا الجفا	وفؤادي تفتنا
ذبتُ لما هجرتني	واصطباري تشتتا
أَعَيْنُ الصَّبِّ كَمْ صَبَّتْ	لمحياك يا فتى
كلما لاح بارقُ	قلت: ذو الحسنِ قد أتى
لهواك الفؤاد يا	قمري صار منبتا
لك لحظُ سبى النهى	ولشيب الفتى فتى
فارحم الصبَّ ذا العنا	يا غزالاً تلفنا

وقال يمدح الخواجا أنطون سقال:

شموس في بروج الحي حلت	بأنوار لبندِ الليل حَلَّتْ
خرائد في القلوب لها خدورُ	ممنعةٌ عن الأوهام جَلَّتْ
سللن من اللحاظ مهنداتٍ	بهن دماءُ أهل الحب طُلَّتْ
وهزَّيْنَ الذوابل من قدودٍ	فكم نفيسٍ لهذا الطعن ذَلَّتْ
على الوجناتِ قد أضرم نارا	بها انسلَّتِ القلوبُ وما تسلَّتْ
وليس يصحُّ حبُّ الغيد حتى	يكونَ به النفوسُ وهت وعلَّتْ
كلفتُ بغادةٍ تلفتُ فؤادي	بأجفان من التعذيب كلَّتْ

تلوح وتنثني غصناً وبدراً
 أتت فرأيت صباً من جبين
 جنود جمالها فتكت بروحي
 حياتي بالوصال فحرمته
 فأعوام النوى كثرت وزادت
 وقطر مدامعي ما زال يمحو
 عذولي خلّ عذلي إن نفسي
 إذا عطّلت نحور الصبر مني
 فتى يحوي صفات صافيات
 حزوم عالم فطن لبيب
 غدت أقلامه مثل المواضي
 وأقدام له حازت ثباتاً
 فصيح بارع إن قال شعراً
 وأستاذ أحاط بكل علم
 به الألمان قد حُصرت وباتت
 شمس البشر منه إذا تجلت
 إذا نقرت على الأوتار يوماً
 ألا يا أيها الخُلّ المفدى
 زففت اليوم ذي الغيدا عليكم
 فمدّوا يد الوداد لها تروها

فطلعتها على قلبي تجلت
 وليلاً من ذوائب حين ولت
 هوى وعلى النهى مني تولت
 وموتي بالجفا فقد استحلّت
 وأيام اللقا نقصت وقلّت
 رسوم تجلدي حتى اضمحلّت
 أبت سلوان من عني تخلّت
 ففي مدح ابن سقال تحلّت
 مطارفها بماء اللطف بلّت
 بشاشته كنوس الإنس حلت
 على عنق الخطا والجهل سلّت
 على الأقدام ما حادت وزلّت
 ترى أن البلاغة فيه حلت
 إليه الغامضات قد استدلت
 محيرة بمغنائه وظلت
 محت ليل الردى عنا وأجلّت
 أنامله ترى الأقدار فلت
 مودتكم بقلبي قد تملّت
 أهلتها بأفق الحسن هلّت
 بنت حصن الوداد لكم وأعلّت

وقال:

سعت نحوي لسفك دمي أمور
 سيوف من عيون مرهفات
 وآيات لقد نظرت لحاظي
 بروق من ثغور باسمات
 ضياء لآخ في فلك المغاني
 بدور من غصون مفرعات

تذيق بشرعها طعم الممات
 رماح من قدود مايسات
 بمعناها أضحت حائرات
 ليال من شعور حالكات
 فكان من المعاني المشكلات
 شمس من كنوس دائرات

وقال:

قد سألتُ الوصلَ من قمرٍ حسنُهُ المعجزُ آياتُ
قال لي: لا لا، فقلتُ لَهُ: إِنَّ نفيَ النفيِّ إثباتُ

وقال:

زهتُ الرياضُ فلا تُضعْ زهواتها قمْ واجنِ زهرَ البشرِ من زهراتها
روضُ كستهُ يدُ الربيعِ جلابيا من سندسٍ تسمو بحسنِ سماتها
حيثُ الغصونُ تميلُ من ريحِ الصبا فتتهيجُ العشاقُ في ميلاتها
والزهرُ يهديَ الريحَ نشرَ عبيره والريحُ تهديهُ ندىَ نفثاتها
وبلابلِ الأدواحِ تبديَ شدوها والقضبُ راقصُهُ على نغماتها
فإلامَ أنتَ تَغُطُّ في سِنَةِ الكرى وتضيقُ اللذاتِ في أوقاتها؟
نبهَ عيونك فالهناءُ هنا بدا ما نفعَ عينٍ لم تدعُ غفلاتها
هلاً رأيتَ الفجرَ أوترَ قوسه ورمىَ النجومُ فأظهرتَ كمداتها
والشمسُ أضرمتَ اللهيبَ فأحرقتَ صدأَ الرياحِ وطيبتَ نسماتها
وأعادتِ الأشجارَ مثلَ عرائسٍ غنتَ محاسنها على سكتاتها
أو مثلَ غاداتٍ رأتَ في غفلةٍ عينَ الرقيبِ فصَفَرَتْ وجناتها
فالماءُ في مُهجِ الغصونِ مرقرُقُ والنارُ مضرَمَةٌ على هاماتها
لولا عذابُ الدوحِ في نارِ الضحى ما استعذبتَ نفسَ امرئٍ ثمراتها

وقال:

أَيُّ قلبٍ عانى هوىَ الغانياتِ مثلَ قلبي وهامَ باللحظاتِ!
قد ألفتَ الغرامَ مذ كنتُ غراً وسأرعى الهوىَ ليومَ المماتِ
فالهوىَ للحياة طيبٌ ومن لم يهوَ لم يدِرْ كيف طيبُ الحياةِ
وا عذابي من الهوى وا عذابي! فهو لم يجدني سوى الحسراتِ
قد سقتني كأسَ الهوانِ يدَ الحبِّ سِبِّ وأجرتَ مثلَ الدما عبراتي
كنتَ ذا عزةٍ فصرتَ ذليلاً حائراً بينَ حُسدي وعداتي

أَدْعُ الحب فهو من واجباتي
 هبةً واستعضت باللهفات
 فيا ليتها تروق مهاتي
 في الهوى هائماً مدى الأوقات
 لحةً والنعيم بالصالحات
 وسكون الهوى على الحركات
 جَلِيَّانَ الشعاع في المرآة
 لها وتغني عن ذاك بالمشكاة
 هائماً ناظراً لكل الجهات
 لأناجي الخيال في الخلوات
 بلتها ملت معجلاً خطواتي
 أو كأن الحيا غدا من صفاتي
 ي دواعٍ رجعت بالزفريات
 من على منع كثرة النظرات
 ببي ولكن من أعيني هو آت
 فيه يجلى لطيف شوق الفتاة
 فهي حيرى بين الحيا والحياة
 كل عمري سوى اللقا والشتات
 وبيوم الفراق ألقى وفاتي
 لذة فوق سائر اللذات
 صعدت كالغزال في الفلوات
 منكر دون سائر الآيات
 لضعيف يا أجمل الغادات!
 قال ودُ الدمى عديم الثبات
 ر فيحيا المحب بالرشفات
 أنت تحيينني بذي النفسات
 نقض طيب اللقا على الغفلات
 نتعاطى الوصال قبل الفوات

وعلى كل حالة إنني لم
 ها أنا للغرام أعطيت قلبي
 كلماتي أضحت لجيد الهوى عقداً
 بأبي عادةً لقد غادرتني
 همت وجداً بحسنها فهي لي صا
 حركات لها أذبن فؤادي
 وعلى وجهها المحاسن تجلى
 هي كالبدن إنما لا غنى عند
 حيثما لم تكن أمامي أغدو
 أطلب الإنفراد إذ لا أراها
 ثم أجري إلى الدروب وإن قا
 فكأن الهوى يغار عليها
 فإذا أوقعت على وجهها عيني
 شدة الشوق وافقت شدة الحس
 حبها كالدماغ يسعى إلى قل
 ذات دل ترنو إلي بلحظ
 إن ثناها الصبا لواها حياءً
 ليس لي لذة ولا ألم في
 فبيوم اللقاء تبدو حياتي
 نعم يوماً به من الوصل أجني
 يا رداً من غور قفر خباها
 أنت والله آية مالها من
 لا تطيلي حبل الدلال فإني
 واحفظي الود تخجلي كل من قد
 واسمحي لي برشفة من طلا الثغ
 نفسات الزفير تقتل لكن
 غفلت أعين الوشاة فقومي
 ليت شعري متى يشاء الهوى أن

هجوم الربيع

والوقتُ قد طابَ والورقاء قد صدحتُ
 لاح الندى وكنوز الصفو قد فتحتُ
 كدرةٍ من فم الثعبان قد طرحتُ
 على الزوال وأرواح الصبا فرحتُ
 مع النسيم ليدعو الناس إن سمحتُ
 يا صاحبي وموازين الصفار حجتُ
 تبقِ الصبوحَ فكاسات الهنا طفحتُ
 بأرؤسٍ لأكاليل الندى صلحتُ
 وفوقه ألسن النعماء قد فصحتُ
 وأعين النرجس الزاهي قد انفتحتُ
 جرى النسيم على الأغصان فاصطلحتُ
 تميلُ حتى إذا صاح النهارُ صحتُ
 حتى ترى الشمس نحو الغرب قد حجَّتْ
 يد الأصيل نضارًا فيه قد ملحتُ
 يحكي خدودَ عروس بالحيا اتشحتُ
 عند الغروبِ وأبدى حمرةً وضحتُ
 دخانهُ والدماء فيه قد انسفحتُ
 ولا تضع فرصةَ اللذاتِ إن سنحتُ
 فيها النسيم وبالأطباء قد نفحتُ
 لواحظًا كالظبا للقلبِ قد ذبحتُ
 الأطراف طيبة الأوصاف إن شرحتُ
 رباربُ في مروج الفيّ قد مرحتُ
 غير الجوانح والأكبَادِ ما سرحتُ
 لاحت جلت بالسنا ليل العنا ومَحَتْ
 بقمامةٍ طالما للغيدِ قد فضحتُ
 يا للهوى آهِ لو تدري لمن كبَحَتْ

جاء الربيعُ وأزهارُ الرُّبَى نفحتُ
 والبرد غاضٌ كماءٍ في السباخ كما
 زال الشتاء وبدا منه الربيع لنا
 والسحب قد خزقت أثوابها ترخًا
 والروض أرسل من أطيابه رسلاً
 راق الزمان وقد طابت مواردهُ
 فانهض صباحًا إلى الروض النضير ولا
 حيث الزهور تجلَّت في منابرها
 والورد قام على عرشٍ له بهج
 والآس غمَّض كالوسنانِ أَعْيْنُهُ
 والطيرُ قد غرَّدت فوق الأراك وقد
 والقضب قد رشفت خمر الندى وغدت
 ولا تزل بابنة العنقود مشغلًا
 وفوقَ مزدحم الأشجار قد سكبت
 وانظر إلى الأفق الغربي حيث غدا
 كأنما الجوُّ إذ حاط الغمام به
 قاعٌ فسيحٌ به ثار الوغى فعلا
 فانهبُ زمانك إن العمرَ منصرمُ
 ولا تمل عن رياض البان ما خطرت
 هناك من ظبياتٍ قد أدرنَ لنا
 من كل مائسة الأعطاف ناعمة
 كواكبُ من بروج الحي قد لمحت
 هن الظباء التي تهوى السراح وفي
 بل البدور التي لم تنخسف فإذا
 وغادةٍ تفضحُ الخطيَّ إن خطرت
 أرومُ ترك الجفا منها فتكبحني

عنه الهنا وله ثوب العنا مَنَحَتْ
تشفُّعاً بي على أقدامها انْطَرَحَتْ
عَتَبَ على المُقْل النجلاءِ إنْ جَرَحَتْ
سوق الهوى وتجارُ الحبِّ قد ربحتُ
ووجنةً بمياهِ الورد قد نَضَحَتْ
وأعيني في عيون الحسن قد سجتُ
أَبْقَيْتُ لي غير عينِ قطُّ ما طمحتُ
رأسي وساحة صبري في الهوى فسحتُ
وليس ذنبي سوى رُوحِي بكِ افْتُضِحَتْ
فلا أصابت مساعيه ولا نجحتُ

فبالجفا محنت قلبي وقد منعت
لها غدائرُ أولتني الجميلَ فكم
إنَّ العيونَ لقلبي قد جَرَحْنَ ولا
بعتُ المعزةَ وابتعتُ المذلةَ في
أفدي مهاةً لها ثغرٌ حوى درراً
إذا تجلَّتْ ثوى قلبي على لهبٍ
يا ربةَ الدَّلِّ ما هذا النفارُ فما
جوري عليَّ بما تهوين فهو عليَّ
إن كان ذنبٌ فللعشاق معذرةٌ
بُعْدًا لوأش سعى ما بيننا حَسَدًا

قافية الثا

وقال:

أفدي كواعبَ قد فتكنَ بمهجتي وتركنَ دمعي فائضًا كالغيثِ
يفضحنَ بالخطراتِ أرواحَ الصبا ويصدنَ باللفتاتِ قلبَ الليثِ

وقال:

يا من بعهد الهوى لقد نكثا دُعْ ذلك الهجرَ قد وهى جلدي
كن حافظًا حرمة اليمين فلا قتلتنى بالصدودِ وأسفي
أما طيبَ الرقاد هجرُك لي يا من رمى الظبيَ باللحاظِ ومن
كن راثيا لي فإنني كلفُ يا عاذلي لا أودُ نصحك لي
قد طاب لي في الهوى العذابُ وكم لم أدر كيف الجمالُ يفتكُ بي
بالعقل بعض الأمورِ ندرکها رفقا بصبِّ على الهوى لبثا
واحننُ فإن الغرامَ بي عبثا عهدُ لمن باليمين قد حنثا
بغير ذنبٍ فما الذي حدثا تفدى وطرفي السهادَ قد ورثا
لقدك الغصنُ في الرياض جثا لو عاينَ الصخرُ لوعتي لرثي
هل أرعوي والغرامُ بي مكثا يطيبُ للعاشقين ما خبثا
لا يدركُ الأمرُ كلُّ من بحثا والبعضُ بالحسِّ فالهدى لبثا

وقال مسمطاً:

مهلاً فحبُّك بي أراه عابثاً
فأرومُ تبرئتي عن ابن موذتي
من ذا الذي ألوى بعهدك في الهوى
ما زال يسديك المحبُّ جميله
جرَّبتُ فيك الحادثات فلم أجد
يا من به دمعي يعودُ لدى اللقاء
يا مشبه الآرام إلا أنها
لا بدع إن نك في الهوى صرعى فقد
قد راح بالقمرين طرُفي هازئاً
وغدا يوحدُ في الورى متعجباً
وأرى عليَّ العاذلاتِ كوارثاً
وأظنُّهُ للروح مني وارثاً
يا من غدا بعد الأليَّة حانثاً
حتى انثنيتَ عن المحبَّة ناكثاً
منهنَّ شيئاً مثلَ غدرِك عاثثاً
مثلَ الرقيب إذا خلونا حادثاً
عند النفار تُرى التفاتاً دامثاً
خَلَقْتَ لنا عيناك سحرًا نافثاً
يوماً رأى منك الجمالَ الماكثاً
لما رأى في بُردتيك الثالثاً

قافية الجيم

الفراق

أشمسُ ببرجٍ أم كعوبٌ بهودج؟
على الظعن سارت وهي في قلبي الشجي
مشيعةٌ يجري على الخدِّ دمعُها
ويا حسنَ ياقوتٍ بدرٍ مضرَّجٍ
تقول: حبيبي هل لفرقتنا لقا
وهل نخمدُ النيران بعد التأجج؟
فقلتُ: خذي قلبي فإنَّ يبقَ يفنهِ
نواكٍ وخليَّ النوم فالطيفَ أرتجى
رنت من خلال السجف نحوي وقد بكت
وداعًا بطرفٍ يفتنُ الظبي أدعج
فأودعتها إذ ودَّعتني مهجتي
وقلتُ: احفظي هذي الوديعة للمجي
بنفسي من خودٍ سبتني بغرةٍ
تحاكي بياضَ الصبح عند التبليج
بشكلٍ محيَّاهَا ضروبُ السنا غدت
قياسًا سوى فرطِ الهوى غير منتجٍ
رويدك يا حادي المطيِّ فقد نأى
مع العيس طيبُ العيش قل لي: متى تجي؟

أيفرح ضيقَ البينِ دهري باللقا
وهيهات ما دهرٌ لضيقٍ بمفرجٍ
بحورُ الهوى حولَ الفوادِ تموجت
فغرَّقَ سفنَ الصبرِ لطمُ التموُّجِ
طغى الماءُ من دمعِي على ظاهري وقد
فنت باطني النيران ذاتُ التوهجِ
أَكْتُمُ سري بالغرامِ وطالما
فشى سرُّه عندَ الكلامِ تلجلجي
وورقاء فوقَ الأيكِ تهتفُ بكرةً
فتهتاجُ أشواقي لتلك الغملجِ
نسيمَ الصُّبا إن سرتِ بين نهودها
خذي ليَ عرفَ الياسمينِ وعرجِ
وإن ترفعي ذاك اللثامَ فتلثمي
لماها فبالله اذكري قلبي الشجي

وقال:

والطرف الصائبِ والدَّعجِ	قسماً بالحاجبِ والزججِ
والجيدِ الظاهرِ والبلجِ	والوجهِ السافرِ عن قمرِ
والخدِّ الناضرِ والضرجِ	والثغرِ الباسمِ عن دُرِّ
والصدغِ اللاذعِ كلَّ شجي	والنهدِ البارزِ من أسلِّ
عاليِ والريقةِ والفلجِ	والخصرِ الناحلِ والرديفِ الـ
أبقتِ إلَّا أثرَ المهجِ	أفنتني نارُ الحبِّ فما

وقال:

بدراً يلوحُ بداجي شعرها السبيحِ	جلت لنا من محيًّا وجهها البهجِ
غارَ النسيمِ وصاحَ البانُ: وا عوجي!	هيفاءً عاطرةُ الأردانِ إن خطرتِ
وليس يفري سوى الأكبادِ والمهجِ	تهزُّ قدًّا يهابُ الرمحُ طعنتهُ

ناديتُ لَمَّا رنت والقلبُ رنَّ جَوَى: يا نفثَةَ السحر بل يا فتنَةَ الدَّعِجِ
لواحظُ ما رمت إِلَّا نُهَى وحشَى تزرِي الهلالَ وتبقي الصبح في كمد
وتورثُ النَّدَّ طيبًا والندى طربًا من زينك الأطيبين الخال والفلجِ
ثغرُ برودتُهُ تصلي الحشا وهجا فوا عذابِي بين البردِ والوهجِ
تبارك الله ما أبهى محاسنها! فكلُّ خالٍ غدا في حبهنَّ شجي
لو كان يُصنَعُ منحوتٌ يمثُلها ما جاءَ قدماً على المنحوتِ من حَرَجِ
هل الهلال بعرجونٍ يمثُل أو وجهُ الثريا بمشكاةٍ من السُّرَجِ

وقال موشح:

كفاك ما صنعت عيناك بالمهج وحسب هجرِك ما أذكى من الوهجِ
يا فاتني ببديع المنظرِ البهجِ وقاتلي بسيوف الغنجِ والدَّعِجِ
رفقا صبَّ ينادي وهو في الرهجِ: أنا القتيْلُ بلا إثمٍ ولا حَرَجِ

دور

عيناك أم وجنتاك الزُّهرُ والزَّهرُ وذاك وجهك أم هذا هو القمرُ؟
والله لم أدِر حتى أشرقَ السحرُ أَنَّ الصباَحَ جبينُ والدُّجى شعْرُ
هذا جمالكُ فيه قال كلُّ شجي: أنا القتيْلُ بلا إثمٍ ولا حَرَجِ

دور

ضجَّتْ على وجهك الأقمار في الفلكِ ومن شهودك كانت غيبةُ الملكِ
والصبحُ والليلُ في زهوٍ وفي حلكِ تهوُّراً منك في غيٍّ وفي أُفكِ
والغصنُ ناداك مخجولاً من العوجِ: أنا القتيْلُ بلا إثمٍ ولا حَرَجِ

وقال: تاريخ لإنشاء دار طباعة في الموصل:

طُبِعَتْ على الحدياءِ طلعاتُ الحجا بضياءِ مطبعةٍ محت غسقَ الدجى
هي صنعةٌ فتحتُ لدى كلِّ الورى سبُلُ العلوم وقوَّمتُ ما عوَّجا
وأزالت المُستصعَّباتِ عن الذي يرجو المسير وثبتت فيه الرجا

وأعادت الأفكار حايمةً على
ها قد علا رأسُ الطباعة في الملا
عَمَلٌ تجلَّى في وضوح بعدما
خالوه ضربَ عجيبةً قدماً وقد
وبقدر ما تَغشى الجهالةُ في الورى
فعلى الحكيم الحكمُ أو طلبُ الهدى
فلتنعمن الموصول الحدياءُ إذ
حدياءُ لا همرماً ولكن حُمِلَتْ
أنشي بها للفضل دارُ طباعةٍ
فالتية في تاريخها ناءٍ فقلُ

دوح الحقائق كالعطاش على الرجا
وغدا بإكليل الفخار متوجاً
قد كان في دُرُج الغوامض مُدْرِجاً
زعموا الذي أنشأه للسحر التجا
تَغشى العجائب والسواحر ترتجى
وعلى الجهول الإعجابُ أو الهجا
ركبُ العلوم إلى حماها عرجا
علمُ العراق كغصن نخلٍ أنضجا
مدحاً لمنشيتها على حرف الهجا
فضلُ المطابعِ جمعها شمل الحجا

سنة ١٨٦٥

وقال:

لم يلبس الخدُّ درعَ العارض السبج
لولا انصلات سيوف الغنج والدّعج
ولم يرق قطُّ ديجورُ الغدائر لي
لولا تشعشعُ أنوار من البلج
أفدي غزالاً غزا قلبي بنفرتِه
وما عليه رعاه الله من حرَج
ظبي سبى مهجَ العشاق حين رنا
بأعين دأبها تسطو على المهج
حلو الشمائل ممشوق القوام له
وجهٌ تسامى بحسن الرونق البهج
يهتزُّ كالأسمر الخطيِّ مبتغيًا
قتلي ويرنو كبيض الهند في الرهج
نو وجنة كلِّما قبلتها سحرًا
تعطرت نسماتُ الصبح بالأرج

يا قاتلي بسيوف اللحظ وا أسفي!
رفقًا بقلبٍ رماه الشوق بالوهج
هواك أشغل أعضائي وهل نظرت
عيناك حبًّا نظيري بالغرام شجي؟
ما اهتزَّ قدُّك إلا هزَّني طربًا
إليك يا باثقَ الأنوارِ كالسُّرُجِ
عطفاً أيا معرضاً عني بلا سببٍ
على فؤادٍ فتَّى للغير لم يُعْجِ
بذلتُ روحي فدًى للحسن منك فلمْ
بدلتني وتركت الدمع كاللججِ
لكلِّ ضيقٍ بأحكام القضا فرجُ
فما لضيقِي أراه غيرَ منفرجِ؟!
كم جئتُ أشكو تباريح الصبابة بي
لديك علِّي أحظى منك بالفرجِ
فلم تُنلني سوى فرط القلى ظلمًا
فراقبِ الله يا جاني على المهجِ
إن كنتَ تنكرُ أشواقِي إليك فها
دمعي وسقمي وسهدي في الدجى حجبي
عهدي بوجهك أن ألقاه مبتهجًا
فما له اليومَ أضحى غيرَ مبتهجِ
لا أسلوئك يا من قد أراقَ دمي
صدًا ومن زَيْنَ الخدين بالضرَجِ
كيف السلوُّ ولي روحٌ بحبِّك قد
ذابت وقلبٌ دَهَتْهُ فتنةُ الدعجِ؟!
وهل يبرِّد ما في القلب من حرق
سوى الوصال ورشف الثغر ذي الفلجِ؟!
كلُّ امرئٍ بالهوى إن رام يسبقني
يخبُّ فهل يسبقُ الجرداءُ ذو عَرَجِ؟!

لا كنتُ ممن على شوط الغرام مشى
إن كنتُ أصغي لنصح العاذل السمج
فيا عذولي دَعْ هجَوَ المحبِّ سدى
فهل رأيتَ محبًّا بالغرام هجي؟!

قافية الحا

وقال:

وبدرُ مُحَيَّاها بأفِقِ الحمى لاحا
وعاد عليه بلبلُ القلبِ صدَّاحا
فأرختُ نقابًا ظلَّ بالمسك فواحا
فصدتُ وقالت: قطُّ ما شمتُ أصباحا!
سباني قالت: قطُّ لم ترَ تَفَاحا!
فقلت: أما تخشى من السكرِ إفِضاحا؟!
فقلت: أَلَمْ تنظرِ أقاحًا وأقداحا؟
فقلت: أيا هذا أَلَمْ تذُقِ الراحا؟
بدا نورُهُ قالت: أَلَمْ ترَ مصباحا؟
فقلت: وهل عَيْنُ تشاهدُ أرواحا؟
واصطباري بعدَ ذلك قد راحا
فقلت: وكم ماءٍ من الصخرِ قد ساحا!

فوَادي فدى خود شذا طيبها فاحا
نظرتُ إليها فأنثنى غصنُ قدَّها
ولما رأتني شاخصًا في جمالها
فقلتُ: هبيني من جبينك نظرةً
فقلتُ: أريني خدَّكَ الأحمر الذي
فقلتُ: أريني لحظك فهو خمرتي
فقلتُ: أريني ثغركِ الباسمَ السنا
فقلتُ: وهل لي من رضابكِ رشفة؟
فقلتُ: أريني جيدك الزاهر الذي
فقلتُ: أريني الخصرَ منكِ كرامةً
وتاهت بقدِّ قد يقدُّ القنا إذا مشت
وقالت: وهل يُروى من الصخرِ ذو ظما؟

وقال من المجون:

فهل له إذ ذاك من ذابح؟
ونحن ندعوه أبا صالحٍ

جزَّارنا يذبَحُ أغنامهُ
يدعونه زورًا أبا صالحٍ

وقال:

والجوى يزدادُ والصبر يشحُّ
أعينُ العينِ فمنها ليس يصحو
مثلُ أقداحٍ بها للخمر طفحُ
خطراتُ الشوقِ والوجدُ الملحُ!
لِلْيَالِي الوجِدِ والأشواقِ صبحُ
دونه أضحى لقرنِ الشمسِ نطحُ
فأرتِ بحرًا به للنجم سبح
عن نجومٍ ليس لي منهن لمحُ
في فؤادي وصروفِ الدهرِ تمحو
يا زماني هل عقيبِ الخسرِ ربحُ؟!
ذرفِ دمعٍ كلُّما سالَ يصحُّ
مهجةٍ ليس لما تبكيه مسحُ
بعدَ أحبابٍ لهم في القلبِ صرحُ
صادمتني نقمُ في البين تلحو

بات يرعى الشوقَ والدمعُ يسحُّ
مغرمٌ قد أسكرتهُ عنوةُ
حدقُ يطفحُ لي منها الهوى
كم ليالٍ أسهرتُ جفني بها
أرقبُ الصبحَ من الشرقِ وما
فالدُّجى للشرقِ بابٌ مغلقُ
ظلماتُ أغمرتِ قاعَ السما
وإذا نجمٌ بدا أَلَمَحُه
والرجا يكتبُ آياتِ اللقا
يا أحبائي خسرنا شملنا
ما لعيني في النوى شغلٌ سوى
أمسحُ الدمعَ فيرتدِ إلى
مهجةٍ هاجمها جيشُ الأسى
صارمتني نِعَمُ القربِ وقد

التهديد

فأهاجتِ البلبلُ والأتراحا
نفسى وطارحتُ الحمام نواحا
مهلاً فأثخنيتِ الفؤاد جراحا
وشربتُ كاساتِ الغرام طفاحا
حتى كسا جسدي الضنا فأباحا
أطوي جبلاً من هوى ويطاحا!
لا صادفتُ عينُ العذول نجاحا
لما أثارَ على الفؤاد كفاحا
يبدو وقد غدتِ العيون صفاحا

صدحت بلبلة الأراك صباحا
وتنفست ريحُ الصبا فتأوهت
بالله يا ذاتَ الخضابِ لم البكا؟
شمتُ الجمالَ فرحتُ مسلوبَ الحشا
ما زلتُ أكتُمُ حرقتي وصبابتي
لله ممَّن غادرتني هايمًا
أختالُ بين عواذِلٍ وعواذِرِ
وغدوتُ أروغَ من ثعالة في الهوى
أو كيف لم يفتك بقلبي الحسن إذ

فلم ألفت بذا الجفا إلحاحا
لو لم يكن أمل اللقاء مصباحا
عطفاً على من قد جفا النُّصَاحا
يهواك بالحسنى ترين جناحا؟
فتلفتي إن كان ذاك مباحا
يا ليتهُ تَرَكَ الهوى وارتاحا
أعطيتُ من شرع السلوِّ سلاحا
بفتى لغيرك لم يكن مرتاحا
تهدي لنا ماء الحياة قراحا!
برياضها وردُ الجمالِ وفاحا
لك في الفؤاد لما أردت سراحا
لظننت ذِيَّكَ الغرامَ مزاحا
وغدا إليك بذلة ملتاحا
فعلى الدُّمى كم من جمالٍ لاحا
دونى فصبري قد غدا مفتاحا
أني فتى حَسَبَ السلوِّ رباحا
أبدًا ولو كان الرجوعُ فلاحا
أمرٍ وأرجعُ نادماً نوّاحا
لا يعشقن كواعباً وملاحا
تلقى بذا بعدَ الفسادِ صلاحا
سطواته وخُذِ السلوَّ جناحا
ذو العزِّ في وادي المذلة راحا
شغفاً وكم من مدمعٍ قد ساحا
حيث الشعاعُ أتى نرى الأشباحا
واجعل لنفسى في حماك مراحا

إني عهدتك يا فؤادي صابراً
لا شك كنت ضللت في ليل النوى
أشقيقة القمرين حتام الجفا؟
أترى — فديتك — هل إذا عاملت مَنْ
لم أرجُ منك سوى التفاتٍ كالظبا
قلبي بنار جواك طال عذابه
ولكنك عاملت الهوى بالقتل لو
يا ربّة الحسن البديع ترفقي
روحي فدى تلك المباسم فهي كم
وبمهجتي تلك الخدود فكم زها
لو تعلمين حقيقة الحب الذي
أو لو عرفت مَنْ الذي بك مغرم
إني امرء ربح المعزة بالحجا
قلبي لخيمك لا لحسبك قد صبا
إن تقفلي بالسخط أبواب الرضا
هذا إذا لم أسلُ حبك فاعلمي
وإذا سلوتُ فلست أرجع للهوى
ومن المعيب عليّ إن أكُ سرتُ في
والعشق يفسد بالقلوب فنعم من
كن سالي الحسناء يا قلبي عسى
إن الهوى عينُ الهوانِ ففرّ من
يا قاتلُ الله الغرامَ فكم به
ولكم جوانحُ قد جنحْنَ إلى اللظى
نور السلوِّ بدا فشمت هدىً ومن
يا ربّ خذ بيدي فعفوك دائم

قافية الخا

وقال:

يا عاذلي لكنه لا يُفسخُ
فإلامَ أنتَ بنارِ عذلك تنفخُ؟!
لا أرعوي أبداً ولا أتوبخُ
وبمسمعي أبواقُ عذلك تصرخُ
سفكت دمي وغدت به تتضمخُ
شفقُ وصبحُ ذا لذلك يفسخُ
ذهبُ الحياءِ وذاك طرفي يلطخُ
راحت تنيفُ على الشمولِ وتشمخُ
تسمو على قمر السماءِ وتبدخُ
معَ أنَّ خالُ ذا وذاك لها أخُ
صبُّ يذلُّ لها وفيها يشرخُ
طيرُ سوى الأوجاعِ ليس يفرخُ
عمُّ يحبُّ وفي هواه يرسخُ
عهدي وفي لعبِ الهوى لا أفشخُ
عنهم ولم يفسخِ عهودي فرسخُ

بيني وبينكَ من غرامي برزخُ
أوما ترى سيلَ الهوى من أعيني
مهما عذلتَ فإنني لا أرعوي
عشقُ يدقُ طبولهُ في مهجتي
دعني وشأني في هوى عطبولهُ
خجلُ إذا أولت ووجلُ إذ لوت
هذا لجينُ الحسن أنظرهُ وذا
هيفاءُ أسكرت النهى بشمائلِ
وسبت قلوبَ العاشقين بطلعةِ
رعبوبةِ تزري الغزالِ ومسكهُ
وتدلُّ وهي من الحيا سكرى على
صبُّ توكنَ قلبهُ رخمُ الهوى
أنا ذلك الكلفُ الذي لا ينثني
أرعى على الحالين قربِ أو نوى
باقٍ فلا ميلٌ يميلُ بخاطري

قافية الدال

سعادة المحب

وقد راقَ دهري والأمني غدت عندي
أليفَ أحبائي الذين بهم عهدي
وكلُّ فتى يرمى الهوى هو من جندي
وسرتُ وطبلُ الحبِّ يضرب في كبدي
عرائس حسنٍ تكتسي حلل المجدي
فتاةٍ إليها قد غدا منتهى جهدي
رأت مقلتي شهبًا لمنظرها الفريد
تضوُّعٌ من أذيالها أطيَّب الرنيد
وإنَّ دلالَ الخودِ أحلى من الشهدِ
وتعطو بخدٍّ قد تعطرَّ بالوردِ
إذا ما رنت باللحظ كالصارم الهندي
فتجذبني رغماً إلى قمَّة الوجدي
تقودُ الفتى نحو الصباية والسهدِ
جمرةَ الأشواقِ في القلبِ كالوردي
لكنتم عذرتكم كلُّ من هام بالقدِّ
تئنُّ أنينَ الثاكلات على اللحدِ
وسترُ الدُّجى فوق الخلائق كالبردي

بدا نورُ إقبالِي ولاحَ سنا سعدي
وعدت على رغمِ الوشاة وكيدهم
أنا هُوَ سلطان الغرام وربُّهُ
نشرتُ على كل الورى رايةَ الهوى
أميلُ فألقى الغانياتِ تزفُّ لي
ولكنني والله لستُ أرى سوى
وهيهات أن أصبو إلى غيرها فما
إذا أقبلت تختالُ تحتَ فراطق
محجبةً لكنْ بخدرٍ دلالتها
تميلُ بخمر التيه كالغصن في النقا
يكاد الهوى يفضي بقلبي على الفنا
تمدُّ من الألحاظ سلسلة الهوى
وما أعيُن الحسناءِ إلَّا سلاسلُ
فيا أيها العذالُ كفوا فإنني أرى
فلو ذقتم بعض الذي في حشاشتي
ولو كان ما بي في الجبال لأصبحت
فكم ليلةً ليلاء راعيتُ شهبها

الحب! إن الحب دأب ذوي الرشيد
أيا ناس حتى تكسبوا جوهر القصيد
فلم ير إلا ما رأت أعين الخلد
فعانيت في مرآته صُور السعد
وشاع غرامي من سعاد إلى دعد
يخالفه إذ ليس يضعف في البعد
وما صرت مسخاً مثله بل على حدّي

وما لذة الإنسان إن كان خالياً من
فبيعوا بأسواق الهوى دُرر النهى
ويا ويح من لم يُعط للعشق قلبه
أنا للهوى أعطيت كل تأملي
رسمت على وجه الزمان صبابتي
فصيتُ حكي صوت الصواعق بينما
وللشمس في قلبي حملت كهرمس

إلى الشاب الأديب جرجي أفندي يني:

وفاء الخلوص

حمى عاشقٍ لولا اللقاء ذاب بالصد
فأنشدته بين الترائب والنهد
تمنيت لو كانت خطاها على خدي
شكا قرطها بُعد المناط عن العقد
وشقت عقيقاً عن جمان وعن قنْد
فأورى بقلب الصب وجداً على وجد
منبذةً من سكر الطلع والورد
حديث ابن يني فاخر الجد والجَد
وغصنٌ سيغدو دوحةً في رُبي المجد
كبيرٌ درى الدنيا كشيخ أخي جهد
سعى سعي ظمان الفؤاد إلى الورد
لأنسى الوفا باكورة حسنت عندي
وذوقاً فقد دلت على خالص الود
ولا عجب؛ فالأصل أذكى من الند
فأنت سعيدٌ، والحسود بلا سعد
مدى العمر كدح النحل في مجتنى الشهد

حمى الله من حنت فزارت بلا وعد
لقاءً أطار القلب مني سروره
أما والهوى العذري حلفة واله
مهاة شكا قلبي تباعدها كما
ولما نضت عن بدر بان سحابة
رنت بكحيلٍ قد توارى به الحيا
سقتني من كاس الأفاح مدامة
وقد شنفت سمعي بنطق كأنه
هلالٌ سيبقى كل بدر قلامه
وما ضره سنٌ صغيرٌ فعقله
لك الله من نجب إلى العلم والحجا
فأتحفتني مما فلحت ولم أكن
غلت وحلت كالدُر والشهد قيمة
فديتك فرعاً قد زكت ثمراته
أعيزك من كيد الحسود ولم تُبل
فكن في اجتناء العلم والفضل كادحاً

وقم واسع واجهد واخدم الوطن الذي لمثلك أضحى في افتقار بلا حد

وقال وقد بعث بها إلى صديقه الخواجه جبرائيل دلال جواباً عن رسالة أتته منه:

لهنّ الغواذي والدراري شواهدُ
ولو حادتِ الجوزاءُ ما هو حائدُ
تراقبُ عينَ الشمْلِ، والشمْل راقدُ
سمونَ فكانت دونهنّ الفراقدُ
كأنّي في نيل النجوم أجاهدُ
ووجدني عجبتم كيف أنّي واجدُ
بإبعادكم، ليتّ المسّيّ يساعدُ
أكابرُ أوصابِ الردى وأكابدُ
وأشكو إليّ الأقدار وهي جلامدُ
فثارت لإسقاطي خطوبُ شواردُ
وإنّي بالصبرِ الجميل أعاندُ
على البحر تاهت والرياحُ تطاردُ
يمرُّ بها كالطيفِ حيٍّ وجامدُ
تضجُ مع الأشباح، والكلّ فاسدُ؟
ضللت، ولو أن السهى لك قائدُ
على فتكها؛ فالصبرُ سيفٌ وساعدُ
معيناً، فكلُّ في البلاءِ مباعدُ
سوى همي، فالطبُّ كالداءِ وافدُ
وما عاد لي منهم سوى الضرّ عائدُ
وقاربني — وا فرحتاه — الأبعادُ
ولم يبق لي بين الأنام معاهدُ
فإن الشقا للمرء خلّ معاضدُ
فتبّت يدُ الإنسان؛ كم هو جاحدُ!
وإن جاءه يوماً فللفخر قاصدُ

محاجرُ صبّ سافحاتُ سواهدُ
وقلبُ رهينُ السير في سُبُل الولا
وروحُ على البرحاءِ تُصلّى وعينها
لباناتُ نفسٍ في سماءِ صبابية
أجاهدُ في نيل الأمانى وقد علّت
أحبةً قلبي لو علمتم تشوّقي
أساءَ إليّ الدهرُ وهو أبو الأسى
وغادرنى والعذر شنشنةً له
أنادي اللبالي وهي صمّ صوامتُ
تبوّأت عرش الصبر ملكاً على الضنا
يعاندنني دهري بقبح فعاليه
وما المرءُ في دنياه غير سفينة
حياة الفتى في الأرض غفوة نائم
رويدك يا ابن الحلم حتام في الكرى
إذا لم يكن نجمُ النهى لك قائدًا
سلاحُ الفتى في حرب دنياه صبره
أنا لم أجد غير الشجاعة في البلاء
عليلُ همومٍ لا دواءٍ لعلتي
جفانيّ أحبابي وأهلي ومعشري
وباعدني — وا حسرتاه — أقاربي
وصرتُ غريباً في ديارى ومعهدي
فما عاد يحلو لي سوى مرّ شقوتي
وماذا من الإنسان يُرجى سوى الخنا
فما عرفَ المعروف قطُّ ابنُ آدمِ

ومن خُلِقَ الحوباءِ صنعُ الردى فإنَّ
وساقيةً قالت لبحرٍ عرمرم:
متى هجعت أَسْدُ الشرى عن زئيرها
طباعٌ على أخلاقها انطبعت فلا
وأفضلُ هذا الخلقِ من أَمِّ سَمِيَّةَ
إذا قامَ بينَ الناسِ ربُّ فضيلةٍ
على أَنَّ أعداءَ الفضيلِ ثلاثةٌ
أظنُّ بكلِّ الناسِ سوءًا فكلُّهم
ولكنَّ سوءَ الظنِّ فيمن فعائله
فهل أنت يا دَلالُ إلا أَخُ به
وهل أنت لي إلا صدوقٌ صادق
فليت بك الأيام يا نجبُ تقتدي
وما جاش منك الجأش إلا على الوفا
أَتَتَنِي من أبكارِ فكرِكَ كاعبُ
إذا ما تناءت فالعيونُ سواجِمُ
فتاةٌ لها من كل معنًى ونكتةٌ
بيانٌ عن «الكندي» فصاحةٌ يروي
معانٍ كأَسلاكِ النصارِ تنصَّدت
تغارُ نسيمَ الروض من لطفِ طيبيها
عشيرَ الصبا هلاً تناسيتَ عهدهُ
ومَن لي من العوَادِ غيركَ مخلصُ
يُطِيبُ قلبي ريحُ أفواههم وفي
بمثلك يا راعي الذمامِ نشائدي
فأنتَ على «برجيس» أربيتَ مهيعاً
وفي قبضتِكَ الكلُّ ما زال باقياً
لبستَ ثيابَ العزِّ والعزمِ والحجا
ويعشو إلى نارِ الذكا منك مقرياً

أبتُهُ فذا فعلٌ من العجزِ واردُ
أنا لم أَغْلُ فلَكًا وما بي شدائدُ
أو ارتجعت عن شرِّهنَّ الأساودُ؟!
يطبَّعُها إلا الزمانُ المعاندُ
فذلك عن شرِّ الورى متباعدُ
رَمَوْهُ بسهمِ الذمِّ إذ ليسَ حامدُ
غيورٌ بلا عقلٍ، ونكسٌ، وحاسدُ
بنو الطغي والعصيان والسفرُ شاهدُ
شهدنَ على آلائه وهو شاردُ
ظنوني على فرش اليقين رواقدُ؟
على البؤسِ والنعمى موافٍ موافدُ؟
فأنتَ على جيشِ المكارمِ قائدُ
فنعم الجنانُ الشهمُ، كم هو ماجدُ!
لَكَغَبَةٍ معناها تخرُّ الخرائدُ
وإِما تدانت فالقلوبُ سواجدُ
عقودُ، ومن حسن البيانِ قلائدُ
وسحرٌ حلالٌ منه «هاروت» خامدُ
بها دُرُرُ الألفاظِ وهي فرائدُ
وتهفو إليها الغانياتُ النواهدُ
فقد عُدَّتَنِي إذ لم يعدَ لي عائدُ
فذا شامتِ علجٍ، وذلك حاقدُ!
قلوبهم جمرُ الضغينةِ واقدُ
فمثلك من تعترُّ فيه النشائدُ
وحُطَّ لَدَى عالي ذكاك «عطاردُ»
على خير توقيعِ طريفٍ وتالدُ
فَعُدَّتَ فتى تخشى لقاكَ العوائدُ
ضليلُ خوٍ حيثُ الهدى والموائدُ

تَجَمَّعَتِ الآدَابُ فَيْكَ فَلَمْ تَجِدْ سَوَاكَ لَهَا أَهْلًا، فَإِنَّكَ وَاحِدٌ
مَتَى أَيُّهَا النَّائِي تَأْوِبُ إِلَى الْحَمَى فَإِنَّ عَيُونََ الصَّحْبِ فَيْكَ سَوَاهِدٌ؟
وَقَدْ زَادَ كَيْلُ الْبَعْدِ بَعْدَ امْتِلَائِهِ أَلَيْسَ أَخَا النِّقْصَانِ مَا هُوَ زَائِدٌ؟

وقال:

بِقَلْبِي نِيرَانُ الْجَوَى تَتَوَقَّدُ وَفَوْقَ خَدُودِي مَدْمَعِي يَتَزَرَّدُ
أَبَيْتُ الدُّجَى وَالشُّوقَ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي يَجِدُ، وَأَثَوَابُ الضَّنَا تَتَجَدَّدُ
وَكَيْفَ يَقْرُ النُّومُ فِي أَعْيُنِي وَلِي فَوَّادٌ بِهِ صَوْتُ الصَّبَابَةِ يُرْعَدُ!
أَنَا الْمَغْرَمُ الْمَفْتُونُ وَالْحُبُّ عَادَتِي وَكُلُّ عَلَى حُبِّ الْحَسَانِ مُعَوَّدُ
سَحَابُ الْهَوَى فَوْقِي يَمُدُّ شِرَاعَهُ وَبِحَرِّ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ يَزْبُدُ
بِرُوحِي أَفْدِي مَنْ ثَمَلْتُ بِلَحْظِهَا فَرَحْتُ مِنَ السَّكَرَانِ سَكْرًا أُعْرِبُدُ
غَزَالَةُ خَدْرِ لَوْ رَأَى الْبَدْرُ وَجْهَهَا لِأَضْحَى لَهَا كَالْعَبِيدِ فِي الْأَوْجِ يَسْجُدُ
مَنْعَمَةٌ، إِنْ أَنْكَرْتُ قَتَلْتَنِي بِهَا فَلَوْنُ دَمِي فِي خَدِّهَا قَامَ يَشْهَدُ
يَلْحُ عَذُولِي حَيْثُ قَلْبِي مَوْلَعٌ وَكُلُّ عَذُولٍ مَثَلَمَا قِيلَ مَفْسُدُ

شكوى البين

سلوا «هند»: هَلَّا يَنْقُضِي زَمَنُ الْبَعْدِ وَهَلَّا تَرَاعِي حَرَمَةَ الْعَهْدِ وَالْوَدِّ؟
وَقُولُوا لَهَا: بِاللَّهِ رَقِي لِمَغْرَمٍ أَذْبَتِ حَشَاهُ بِالتَّدُلِّ وَالصَّدِّ
يَبِيئُ الدُّجَى يَرْعَى الصَّبَابَةَ وَالْهَوَى وَيَرْفُلُ فِي ذِيلِ التَّشَوُّقِ وَالسَّهْدِ
عَسَى أَنْنِي يَوْمًا أَمْرٌ بِبَالِهَا فَمَتَرْتَنِي لِحَالِي، إِنَّ ذَا غَايَةَ الْقَصْدِ
رَمَتْنِي بِسَهْمِ الْبَيْنِ عَمْدًا وَغَادَرَتْ دَمُوعِي تَجْرِي كَالْعَهَادِ عَلَى خَدِي

على القلب مني طرفها رَسَمَ الهوى
فيا قلبُ، هذا الرسمُ من ذلك الحدِ
سألتُ ارتشافَ الثغر منها فأعرضت
وقالت: سل الخدين فالوردُ للوردِ
محاسنُ أخلاقي بأعينها قدّى
وذكرى في آذانها صممُ يُردى
لها بدنٌ مثل «الدمقس» نعومةً
ولكنّ منها القلب كالحجر الصلْدِ
لواحظُها يجرحنَ قلبي كلّما
يغازلنني، واللحظُ كالصارم الحدِ
فما قتلتي كانت بسيفٍ وصعدةٍ
ولكن بتلك الأعين النجل والقِدِ
على غصن ذاك القدّ طيرُ الجمالِ مذ
ترنمَ عاد القلبُ يرقصُ بالوجدِ
شمائلها تزري النسيمَ لطافةً
وقامتها تاهت على القضبِ الملدِ
ولي كبدٌ في حبها قد أضعتها
لعمري ما بين الترائبِ والعقدِ
أرتني فوق الخدّ خالاً يقولُ لي:
تأمل ففي نار اللظى شرفُ الندي
تطارحني الهجران هزلاً وإنني
على حذرٍ من مزجها الهزل بالجدّ
سبتني بهاتيك الثنايا التي غدت
توضّح لي كيفيةَ الجوهر الفردِ
فإن تبتسمَ فالدرُّ، أو تَبْدُ فالسنا
وإن تلتفت فالظبيُّ، أو ترنُ فالهندي
تتيهُ برمانٍ وبانٍ ونرجسٍ
من الطرف والقدّ المهفّف والنَّهدِ

غزالٌ يغازي في كناس حشاشتي
له مقلّة تدمى بها مُهَجُّ الأسد
فيا حسنه، من ذي دلالٍ وقسوةٍ
يحمّلني ما لا أطيق من الصّدّ
متى يا ترى من غير وعدٍ يزورني
وأحلى لقاءٍ ما يكون بلا وعدٍ
سقى المزنُ شعباً فيه قد سار هودجٌ
يلوح لنا من سجنه قمرُ السعدِ
تقلّص ظلُّ الشمل حين تشيّعت
قلائصُ أورت في الحشا شررَ الزندِ
تحملن لكن نورَ عينيّ والمنى
وسرنَ ولكن في فؤادي والكبدِ
فبتُّ وأحشائي تذوبُ صبابهً
أليفَ البكا، راعي الكأبةِ والسهدِ
يهجينني شدوُ الحمائمِ بكرةً
بروضٍ نمت فيه شذا الغار والرندِ
فلمُ - يا حمامَ الدوحِ - تنعي بحرقةٍ
إذا كنت ولهائاً فذا بعض ما عندي؟
أنا ذلك الصبُّ الذي بات هائماً
بوادي الهوى يبكي، وليس البكا يجدي
إذا كان دمعى لا يزالُ مسلسلاً
فشوقي دورٌ ما له قطُّ من حدٍّ
وكم قد أرقّتُ الدمعَ من أعيني وكم
أرقّتُ الدُّجى والسهدُ طبعُ أخي الوجد!
أرى البدر كالسلطان في ساحة الفضا
مشى والداري حوله سرنَ كالجندِ
قضى الله بالتفريق والبين بيننا
وليس لفعل الله - يا صاح - من ردٍّ

وعادةً هذا الدهر ألا يكون ذا
ثبوتٍ، وليس الدهر يُعزى إلى عهدٍ
وهى جسدي ضاعَ احتمالي نأى الكرى
عفا جلدي ضاقَ احتيالي غوى رشدي
ألا يا مهابةً البانِ، بان تجلدي
ببعدي، واستعلى القسام على جلدي
متى يا سُلَيْمِي تنقضي مدةُ النوى
فما عاد لي صبرٌ على ذلك البعدِ؟
إذا كنتُ قد أذنبْتُ فالعذر واضح
وعن خُطْءٍ ذنبي وعذري على عمدٍ
أنا في سبيل الحبِّ ما زلتُ ساعياً
وليس يفيْدُ السعيُّ شيئاً بلا سعدٍ
أجاهدُ في نيل المطالب والمنى
ولم يُدرِك المطلوبُ قط بلا جهدٍ
وما كلُّ ذي جهدٍ يفوزُ بجهدِهِ
فليس عن الأمرِ المقدَّر من بُدٍّ
ودائرةُ الأعمال مركزها الرجا
وسلسلةُ الآمال تُفَرِّطُ في اللحدِ
ومن أحسن الأشياءِ نفسُ أبيَّةٍ
تردُّ جوادَ الفكر عن ساحة الرfidِ
إذا وعد المفضالُ أصبح منجزاً
على أن نكث الوعدِ من شيم الوغدِ
مكايدُ هذا الدهرِ تُعزى لأهله
فكلُّ على كلِّ كلطمٍ على خدٍ
وكلُّ امرئٍ ملقى لكلِّ مصيبةٍ
من الشيخ في المثنى إلى الطفل في المهدِ
فها إنني اليومَ اعترتني مصيبةٌ
ببينِ صديقٍ صادقٍ ماجدٍ فردٍ

تناءى وقد كان التداني يضمُّنا
ببردِ الهنا، يا ما أحيلاهُ من بُردِ!
بعادُ كساني حلّة الضيم والضنا
وسلَّط سوط النائبات على جلدي
فيا قاتل الله النوى ما أَمَرُهُ
ويا سالمَ الله اللقاء فهو كالشهد!
ولي معشرٌ عن أعيني بَعُدُوا وهم
عن القلبِ لم يبعُدْ لهم قط من ودِّ
نُرى هل ترى عيناى لؤلؤها غدا
بأعناقهم يومَ التعانقِ كالعقد
فيا أيُّها الأحبابُ، لَمَّا امتطيتُم
ظهورَ المطايا راحَ قلبي لَكُم يحدي
رحلتُم وخَلَفْتُم فَوَادي على لظى
وأسقيتموني أكُوسَ البينِ والبعدِ
متى يا كرامَ الحيِّ أحظى بقربكم
وأغدو بأنوار البشائر مستهدي؟
فقد حال ما بيني وبينكمُ النوى
كما حال شوقُ بين جفني والرقدِ

وقال:

أيها الواصف بحرًا قد بدا
إِنَّ لي دمعا مقيمُ مدُّه
جزَّره بالشعر دَع ما لا يفيد
أفما تشعُرُ بالبحر المديد؟

الخضوع

قل للذي يشكو صدودَ الخرِّدِ: هذا عذابكُ بالهوى فتجلَّدِ
إن كنت تهوى الغانياتِ فكن على إعراضهنَّ حليفاً صبر تسعدِ

والحبُّ شرُّ بليَّةٍ فالى متى
تطوي الظلامَ وأنتَ تنتظر الوفا
أفديك يا كلَّ المنى حتامَ لم
لم يُبقِ هجرِك لي سوى مُقَلٍ فهل
نارٌ بقلبي لا يطيقُ سعيَها
ظمأى تزايدَ يا معلّتي ولا
فكأنَّ سيفَ اللحظِ منك يقول لي:
لا تظهرني للناس هجرِك إنني
قد ضاع عمري في هواكِ ولم أنلُ
وبنارِ بعدكِ ذابَ قلبي ليتها
والله لم أكن قبلَ حبِّكِ عالمًا
قسماً بنرجس طُرفكِ الجاني على
لم أسلُ قطُّ هواكِ يا ذات البها
بالحبِّ إن أتلُفْتُ مالي لم أخف
لا تحرميني طيبَ وصلكِ منيتي
غادرتني هدفاً لكلِّ ملمةٍ
ووعدتني بالوصلِ لكن لا وفاً
وأنا على رأسي وعيني كُلُّ ما
لكِ معطفٌ لو لم يمرَّنه الصبا
وشمائلُ تجري ينابيع الهوى
يا صبرُ، مالك في فؤادي راقداً؟
كم بتُّ في وادي الصبابة تائهاً
أعدو ومن نار الخدود توقدي
متحملاً ذلَّ الهوى وأنا الذي
ولكم نثرْتُ على الترائب لؤلؤاً
والحسنُ يجتذبُ القلوب إلى الهوى
يا قلبُ، ما لك خاضعاً متذللاً
صبراً على حكم القضاء فربماً

يا قلبُ أنتَ عن البلى لم تبعدي
هيهات ممَّن لا تقومُ بموعِدِ
تطفي لهيب الصّدِّ من قلبي الصدي؟
قبلَ المماتِ تراك بين العُودِ؟
وبغير ترشافِ اللمى لم تخمدِ
يشفيه غير رضابكِ المتبرِّدِ
يا أيها الضامى، فؤادُك موردي
أخشى الشماتة من عيون الحُسِّدِ
وا حسرتي منك سوى ذكر الغدِ
بنعيم قربكِ نالَ حظُّ المشهدِ
أنَّ الهوى يأتي بكل منكِدِ
قلبي ولؤلؤُ ثغركِ المتنضدِ
كيف السلوُ وأنتَ غاية مقصدي؟
فقراً؛ ففي خديكِ معدنُ عسجدِ
بل فاحرمني الواشي سماعكِ يكمدِ
في ذا الغرامِ، فيا معذبتى انجدي
فدعي وعودكِ إن تشي أو توعدي
ترضيته، والطوعُ فضلُ الأعبِدِ
ما اهتزَّ لطفاً إذ تمرُّ به يدي
منها على قلبي الظمى الموقدِ
نبه جفونك، فالهوى لم يرقدِ
كمسافرٍ يطغى بليل أسودِ
يبدو، ومن نور النهود تنهّدي
قد كنتُ في ثوب المعزة مرتدي
من أعيني، لكنّه لم يُعقدِ
بقوى اتفاق دم ولا بقوى يدِ
وعلى التذلل أنتَ غيرُ معودٍ؟
تبدي لك الأيام ما لم تعهدِ

وقال:

وسرت فأزرى عَرفها بالعودِ
أسيافُ غنجٍ فوقَ نارِ خدودِ
مرأى البدورِ وميلَةَ الأملودِ
قمرَ السماءِ وجيدَ خُودِ البِيدِ
وتسودُ في بيضِ العيونِ السُّودِ
بَطْلُ الغرامِ أتى لسلبِ وجودي
الزاهي بعقربِ صدغها المسعودِ
ورأيتُ فيه بالغرامِ وقودي
ورفعتُ خفضَةً أصبغِ التوحيدِ
ما لمتَ سكرَ فؤادي المفثودِ
فالقِرطُ منها لاح كالعنقودِ
بعدَ البعادِ، فقامت للتوسيدِ
بالحبِّ مزروراً بلثمِ نهودِ
عيني إلى الإطراقِ والتسهيْدِ
كرمِ الهوى، وسقت بكاسِ عنيدِ
هيهات يحيا المرءُ دون قيودِ
ذا غلٍّ في ذهبِ وذا بحديدِ

ماست فأبقت حسرةً في العُودِ
ورنت بكحلاءِ فراعَت مهجتي
خودُ تريك إذا تبدَّت وانثنت
هيفاءُ إن لاحت، وإن لفتت زرتُ
تزهو بورِدٍ أحمرٍ بخدودها
بحسامِ مقلتها وصعدةٍ قدَّها
حلَّت شמושِ الحسنِ دارةَ وجهها
لما صفا ماءُ الجمالِ بخدَّها
قال العواذلُ لي: أتسلو؟ قلت: لا
لو نقتَ خمرِ رضاها يا عاذلي
لا غرو أن يك ريقها مثلِ الطلى
جاءت لتنظرَ ما بقي من مهجتي
وكسوتها ثوبَ العناقِ مطرِّراً
كم أودعتُ قلبي اشتياقاً قد دعا
أيدي النوى عصرت شمولَ الشوقِ من
كلِّ بأحكامِ الزمانِ مقيدُ
غلِّ الأسيرِ كذا الأميرِ وإنما

وقال:

طيبِ جاءني سفاها بضدٍّ
رُبُّ هزلٍ يحوى حقيقةً جدٍّ

لي خلٌّ إن جئتُهُ بكلامِ
يدَّعي الهزلَ حيثُ ليس مكانٌ

وقال:

عدمُ الشيءِ أولٌ للمبادئِ
تَحَدُّ والكَمالُ بالاتحادِ

صرت صبًّا وكنتَ خلَوَ الفؤادِ
حبُّ ريمِ الحمى بقلبي غدا مُتَدِّ

ببي ولم يرث للسقام البادي
ق فينحو بزورة في الرقاد
كاد يقضى بالصد والإبعاد
ودموع تجري كصوب عهاد
ت المعنى في غفلة الحساد!
فلماذا — يا ظبي — خنت ودادي؟
بظبا السحر واكتست بالسواد
فقتيل الهوى عديم الفساد

ذو نفار أطال بالهجر تعذيب
ليته يعلم الذي بي من العشب
يا حبيب الفؤاد، رفقا بصب
لم يدع لي جفاك غير زفير
أيها الظبي، ما يضرك لو زر
إنني لم أحن وداك يوما
قتلتني عيونك النجل ظمًا
أحيني بالوصال واملك حياتي

مناجاة الحب

بثياب السلوى ولو مات ردًا
بمهمات الذي بحبك جدًا؟
لم تغادر له الصبابة رشدًا
كبدي، ما أتلفت روحي صدًا
رق لطفًا، لكن لقلبي أردى
تك حتى علوت علوي وسعدى
شوق مني سوى دلالك مبدا
وعيون سود يُصارعن أسدا
هي الذي يفتن النهى إن تبدى؟
منذ قبلت منك ثغرا وخدا
سي فمثلي يفدي، ومثلك يفدى
فلكم بت أطوي ليلي شهدا
و بحبل الهوى إلى النجم شدا؟
لست أسلو ذاك الغزال المفدى
راح في سبب الغرام مجدا
ب وقد قل ذو الإصابة جدًا
ورأي يبقيك للعبد عبدا

كم تردين مغرمًا ما تردى
كيف ترضين يا مليكة قلبي
إن أكن قد أذنبت فالعفو عمن
لو علمت الشوق العظيم الذي في
قد كستك يد الصبا ثوب دل
وصفات الجمال قد قومت ذا
فأطيلي الدلال منك فما للش
لك وجه قد عنتر الحسن فيه
أين ورد الرياض من خدك الزا
ما عشقت التفاح والراح إلا
بفؤادي أفديك يا ظبية الحي
في هواك الكرى نأى عن جفوني
كيف طرفي يذوق طيب الكرى وه
يا عدولي دع عنك عدلي فإنني
فإلى العذل كيف يلفت من قد
لم يصب يا نصح رأيك في الحب
رب رأي به تسود على الحر

وقال:

سوى شغافٍ لحمل الوجد والجَلَدِ
نار الهوى وأنا في جنة الجَسَدِ
هواك وهو فجيعة القلب والكبدِ
إلا زرتها بشمس «القوس» و«الأسد»
يضمُّ صبحاً ليحميه من الكمدِ
يهواه جُلَّ الذي سواه من جمَدِ
قصائدًا رنَّحت حتى أذا الحسدِ
فليس ينحلُّ هذا الحيُّ للأبدِ
لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ مهما تطلبي تجدي!
تدلُّ، والدُّلُّ صدُّ طيِّب الصَّدَدِ
في هيكَلٍ شيد من عاجٍ على عمَدِ
وخوطُ عطفك لا يثنيه غير يدي
لم يعلم الفرق بين الدرِّ والبردِ
أمره يوم وقع الهجر والبُعْدِ!
جمع العناية بين الروح والجسدِ!
سلامة الوصل، والواشي على حقدِ
كأنها سُفُنٌ في لجة الجَلَدِ
بال المتيمَّ يهنا وهو في نكدِ!
سر التصوُّر والتعليل لم يردِ
تأتي ولا علةٌ إلا من الصمدِ
نقول: ذا صدفة؛ قولاً بلا سندِ
ولا يقوم كمال العلم في أحدِ
يروح ما بين عربيٍّ ومضطهدِ
وما تعداه إلا فاسدٌ وردي
يسودُّ بالحق إذ بالبطل لم يسدِ
أجل منها بهذي الأعصر الجُدِّدِ

كفِّي لحاظك ما أبقيَن من خلدي
مهلاً فقد هلكَ روعي فديتُك في
رؤيدك الله في صبِّ يطيب على
يا ظبية ما بدت للشمس في «حمل»
كأنَّ حاجبك المقرون باع دُجى
هذا جمالُ جرت منه الحياة لمن
يا طالما فيه قد أنشدت عن وله
حسنُ بجسم نسيبي روحه علقت
تيهي دلالاً على قلبي معذبتي
حقُّ لمثلِك يا ذات الملاحه أن
يا دميةً سبت الرومان أعبدُها
رحيقُ ثغرك لا يحسوه غير فمي
أفدي الثنايا التي من خالها برداً
ما أعذب الحبَّ أيام الوصال وما
وما ألدَّ ليالي القرب تجمعنا
لا أنس لا أنس ليلاً بت فيه على
والشهبُ تعلو وتهوي وهي جارية
أصبو إلى ربربٍ يُصمي حشاي فما
سرُّ الهوى في ضمير القلب أغمض من
كلُّ الحوادث إن فتشت عن عللِ
وإن بدا حادث لم ندر علتهُ
ذي كلمة أعربت عن جهل قائلها
هذا هو الحقُّ إلا أنَّ قاتلهُ
والحقُّ منطبعٌ في طبع كلِّ فتى
كلُّ ابن أنثى أميراً كان أو وبشاً
وحالة المرء في قدم العصور ترى

أما ترى هيئة الإنسان مزقتها
سحقاً لها هيئة قامت شرائعها
تمدُّن حار منه الوحش ذو اللبَدِ
على المطامع والتهويش واللَّدِ

وقال:

وصافية مشعشعة
شربناها مبردة
فسارت في ضمائرنا
وقد حلت بأنفسنا
فيا بلورة كسرت
بها يصفو بلا رئة
ويا للراح من روح
تمزَّق ظلمة الكمَدِ
تلوح برونق البَرَدِ
مسير الشمس في الجَلَدِ
محل النفس في الجَسَدِ
صخور الحزن والكمَدِ
دمٌ يحلو بلا كبَدِ
تُعِيدُ الطَّيْبِ كالأسَدِ

وقال:

يا ركب، رفقا فوخد العيس في كبدي
غشي صباح اللقاء ليل الفراق وما
سحب النوى حجت أنوار طلعتكم
وقفت أبكي ربوعاً بعدكم درست
لما رحلت وراح الصبر إثركم
يا حاسد، اخجل فهم في القلب قد سكنوا
ترى أيسعدني دهري فتنظرهم
كم بات يسفك في تلك الطلول دمي
أها على ذلك العيش الذي طفحت
لا يعرف المرء يوماً قدر لذته
يا حادي الظعن، هل سارت ظعينة من
تلك المهاة التي سلّت لواحظها
عسالة القد يهدي ثغرها عسلاً
والزاد والماء من عيني ومن جلدي
نجوم دمعني بدت كثراً بلا عدد
عني فهبت رياح الغم والكمَدِ
آثارها، وغدت تعزى إلى جسدي
بكيث، فابتسم الواشي وذو الحسد
بيتاً بلا سبب فيه ولا وتد
عيناي؟ ويحي إن الدهر لم يجد!
ذكر الأحبة حيث الصبر لم أجد
به كئوس الهنا ولّى ولم يعد
بالعيش قبل وقوع البؤس والنكد
قد ودعتني وداع الروح للجسد
سيوف غنج بها صالت على الأسد
مريضة الجفن لا تشكو من الرمَدِ

صيدَ النهى، وسواه قطُّ لم تصدِ
قلبًا رحيماً؛ فيروى منه قلب صدي
ولاعجُ الشوق يُفني باللظى كبدي
يوماً على الحاليتين: القربِ والبعدِ
على الرحيل، وحادي الركب لم يحدِ
وقد وضعنا لتوديع يدًا بيدِ
قلدتها دُرٌّ دمعٍ كأن كالزردِ

مدَّت فخاخَ الهوى من فرعها وبغت
صدرُ رخيِّمٍ لها، يا ليت فيه لنا
تطيرُ نفسي شعاعاً كلُّما دُكرت
لا أوحش الله قلبي من محبتها
لما أتت لوداعي وهي عازمةٌ
عانقتها وعيونُ الشملِ باكيةٌ
فعطَلتني من عقدِ السرورِ كما

وقال تاريخاً ينقش دائر حجرة في بيت أحد أنسابائه:

وانهض إلى الروض العذيب الموردِ
والفجرَ جاء على جوادٍ أربدِ
وفرى به عنقُ الظلامِ الأسودِ
نحو الرياضِ نفزُ بعيشِ أرغدِ
والورقُ أبدت نغمة الصوت الندي
عَرَقُ الحياءِ على خدود الخردِ
والنهرُ بينَ مدرعٍ ومزردِ
دُرّاً نثرنَ على بساطِ زبرجدِ
يبكي الغمامُ وماله من منجدِ
مغنًى يزانُ بكلِّ نقش جيدِ
فصفا عن الأكدارِ والبؤس الردي
معنًى إليه سوى الهنا لم يُسندِ
يرعى ويربو كلُّ ظبي أغيدِ
وُجدَ السنا وبعبدِه لم يفقدِ
الضيمُ في هذا الحمى لم يوجدِ؟

طاب الصبوحُ فدع جوارَ المرقدِ
هلاً رأيت الليلَ ولئى هارباً
ونضى بياضُ الصبحِ أبيض نوره
فذرِ الهمومَ على الفراشِ وسرُ بنا
حيثُ الصِّبا سقتِ الرُّبى خمر النداءِ
والطلُّ لاح على الشقيق كأنَّه
والزهرُ بينَ مرصعٍ ومنضدِ
والنورُ في تلك الخمائلِ قد حكى
ثغرُ الأقاحِ هناك يبسمُ كلُّما
لله من روضٍ أنيق خلَّتُه
صدحتُ طيورُ الأنس فيه والصفاءِ
مغنًى غدا للظرف ظرفاً إذ حوى
وحكى كناساً في كتيبِ حوله
فلنعمة الله انتمى وبنصره
وبه السرورُ بدا فقلت مؤرخاً:

وقال:

سودُّ اللواحظ تحمي
ولؤلؤُ الثغر قد لاح
بقامةٍ وخصورٍ
إنَّ الجمالَ عجيبٌ
وغادةٍ إن تثننت
قدُّ لها ذو اهتزاز
تميتُ حيًّا وتحيا
ظلمُ لها كزلالٍ
ورُبَّ ضدَّين طبعاً
تجودُ بالوصل لكن
والمرءُ يُعطى بشحٍّ

بالبيض وردَ الخدودِ
فوق جوهر جيدِ
هاج الجوى ونهودِ
سبحان ربِّ الوجودِ
تاht على كلِّ عودِ
يزهو بخفق بنودِ
بوصلها والصدودِ
وظلمها كحديدِ
قاما بشيءٍ وحيدِ
ما بخلها بالبعيدِ
طوراً، ويُعطى بجودِ

وقال:

ويلاهُ من شَغَفٍ لم يبقَ لي كبدًا
أبيتُ والطرفُ ساهٍ ساهرٌ غسقًا
لا عادَ لي في الهوى عينٌ ولا أثرٌ
ما كنتُ أصبو إلى مرأى البدور دجى
هيفاءُ تنتهبُ الألبابَ قامتها
بدت وماست فلا والله ما نظرت
لمَّا رأت نوءَ نوحى جادٍ منهمراً
فيها خواصُ البها والحسن لازمةً
هل من سبيل — أيا عشاقُ — يزلفني
يا عاذلي، لا تلمني في محبتها
أيسمعُ العذل يوماً أذن ذي شغفٍ
أستودع الله روحاً في الغرام لقد
فرضَ على الروح مني أن تذوب هوى

ومن مصائبِ حبٍّ لم تدعُ جلدا
كأنه بالثريا والسهى عقدا
وجمرة الوجد تفني الروح والجسدا
لولا جمالُ مهابةٍ تقنصُ الأسدَا
روحي لصعدةٍ ذياك القوام فدى
عينايَ بدرًا بغصنٍ قبلها أحدا
تبسَّمت، فأرنتني البرقَ والبردا
أضحت وجوهراً ذاك الثغر منفردًا
إلى الوصالِ؟ فمن يظفر به سعدا
فالعذل يذهب في لذع الغرام سدا
فؤادُه في سعيير الوجد قد وجدا؟
ذابت فأرسلتها عن مدمعي سدًا
يوماً، ودينٌ على الأحشاء أن تقدا

كفى المتيّم فخراً أنّه رجلٌ
بيضٌ لواظها، سمرٌ معاطفها
إذا بدت تخجلُ الأقمار، أو لفتت
رياضُ وردٍ بخديّها وحارسه
لم يبقَ منه سوى جلدٍ حوى جلدًا
سودٌ ذوائبها، كم تلسع الكبدًا!
تزري الظبا، أو تثنت تفضح المُلدا
طرفٌ رمى بنبالٍ مَنْ يمدُّ يدا

وقال:

يا من حوت كلّ الجمالِ سعادُ
قلبي وقلبك بالهوى ضدّان إذ
بفتور جفنيك ارحمي صباً لقد
فإليك يا ذات الملاحه لم يزل
حتامٌ أصبرُ يا معذبتني على
وإلى متى هذا النفارُ فليس لي
فلأصبرنَّ على الجفا ما دام لي
رفقاً أيا أخت الهلالِ بمغرم
فرحٌ وحزنٌ لي بحبك، فاعلمي
كم بالدلالِ العذبِ جرت عليّ يا
أوعدتني بالقربِ بعدَ نوىّ فيها
فكفاكِ يا من ترتعي بحشاشتي
وإليك لا زالت تميلُ جوارحي
فإذا ذكرتِ تذوبُ شوقاً مهجتي
عطفاً عليّ أيا معذبتني فقد
بهواكِ إنني قد ضللتُ ولم يعد
أبدًا إلهُ الحسنِ أنتِ، وأعيني
فقتِ البدورَ بذلك الوجه الذي
لكِ أعينُ كحلت بأنوار الصبا
وتمايلُ فضح القنا وتلفُتُ
بالحبِّ ذبتُ أسَى وقبلكِ لم أكن

بالله هلاً منك لي إسعادُ؟
هذا يذوبُ جوى، وذاك جمادُ
أضنى حشاؤه تحجبُ وبعادُ
قلبي بسلسلة الغرامِ يقادُ
هذا الصدودِ ففيه كدٌ أبادُ؟
قلبٌ يطيقُ تصبراً وفؤادُ؟
رمقٌ، وكم للعاشقين جهادُ!
لهواكِ بين ضلوعه إيقادُ
إن الهوى تجري به الأضدادُ
روحي، وجورك بالدلالِ يُرادُ
حان الوفاءُ، وطال ذا الميعادُ
هذا النفارُ المرُّ والإبعادُ
إذ أنتِ وحدكِ لي منى ومُرادُ
والقلبُ يخفقُ والهيام يزادُ
طال السقامُ، ومَلَّتِ العوَادُ
لي بعد ذِيَاك الضلالِ رشادُ
لكِ، والجوانحُ والفؤادُ عبادُ
فتنَّ العقولُ، فكم له حسّادُ!
ترنو فيقدحُ في حشاي زنادُ
أسر الظبا وبه الأسودُ تُسادُ
ممن على ألم الهوى يعتادُ

للحب غيرك مهجتي يقتاد؟
أفنى التجلّد خدك الوقاد
حزنت فممنهنّ السواد حداد
ماء البها تحيا به الوراد
رُفعت من الصبر الجميل عماد
فسمّ التجلّد فالهوى جلاّد
من ذا الذي للحبّ لا ينقاد؟!
لم يهوَ كان بطبعه إفساد
كلُّ له بالطيّبات مُراد

ولغير حسنك لم أذلّ فمن ترى
إن كان جفّنك قد سبى نومي فقد
قتلت عيونك بالهوى قلبي وقد
ما بين جيدك والترائب قد جرى
لك يا حبيبة في الحشا بيتٌ به
يا قلبٌ ويحك، كم تقاسي بالهوى
ما أنت وحدك بالمحبة والعّا
قد لدّ لي عيشُ الهوى أبداً ومنّ
والمرءُ أطيب عمره زمنُ الهوى

وقال إلى صاحب له:

شكوى الفراق

ونأت فحلّت لوعةً بفؤادي
تخذت لذاك الركب قلبي حادي
تركت دموعي مثل صوب عهاد
ودعته، فاليومَ حان معادي
مرُّ المذاق يلذُّ للحساد
إن ذقتُ بعدَ البعدِ طيبَ رقاد
نشرَ التحيّة والهوى لـ «سعاد»
بالبين مظلوماً لظلمك صادي
والقلبُ منه غدا فجميع بُعاد
إلا فراقِي هامةً الأمجاد
باللطفِ قد أضحي من الأفراد
والقلبُ منه حوى خلوص ودا
ولسانه يحلو لدى القصّاد
وكلامه كالدرّ في الأجياد

بانّت فبان تشوّقي وسهادي
غيداء مذ ظعننت على ركب النوى
قد غادرت كبدي أليفَ لظى وقد
أودعتها روعي وحسن الصبر مذ
يا ليت هذا البين بان فإنه
لا كنتُ مصروعَ الجوى مضنى الهوى
بالله يا ريح الصبا تحمّلي
قولي لها أنى تركتِ فؤاده
بحشاه قد عبث الهوى فتقطّعت
هانت لديّ النائبات جميعها
هو ذلك الميسونُ نصر الله منّ
خلّ حوت حسن الصفات طباعه
يُجلى بأنوار البشاشة وجهه
أفعاله كالشهب في كبد السما

قلبي لفرقتهِ بوقع حدادٍ
كبدي على الأطنابِ والأوتادِ
فتأزَّجْتُ أرجاءَ ذاك الوادي
عنا؛ فطيفك طائفٌ في النادي
ناراً فتطفئ باللقاء الغادي
إلا ليوم لقاك رمزاً بادي
والقربُ لذَّ حلاه بعد بعدٍ

رام الرحيلَ عن المعاهد فابتلى
نشرَ الخيامَ غداةً بين فانطوت
سارت بوادي الفيض أقدامٌ له
يا نادي الأوصاف، لستَ براحلٍ
إن كان يورثُ ذا الوداعُ قلوبنا
ما طُوِّقت أعناقنا بعناقنا
فامننْ أيا نائي بقربك منعماً

وقال:

لهب الهوى، ونفت لذيذ رقادي
تلهو عن الإعراض والإبعادِ
عهد الغرام، فلم تركت ودادي؟
بفتى لحسنك يا بديعة فادي
وأنا المتيّم ذو عناء وجهادٍ
لعلمت فتك الحبِّ بالأكبادِ
لم أسلُ طلعةً وجهك الوقادِ
ولوأحظُ تسبي ظباء الوادي
ومن العذول حمته بالإرصادِ
ونأى رقادي حين جاء سهادي
بالرغم سلّمك الغرامُ قياي
وعيونك النجلاء في المرصادِ؟

خطراتُ «زينب» أوقدت بفؤادي
ليت التي عني لهت بجمالها
أشقيقة القمرين، إنني لم أحن
أفديك بالنفس النفيسة فارفقي
أنتِ الحبيبة ذات كلِّ ملاحيةٍ
لو ذقت ممّا ذقت من ألم الهوى
قسماً بميسمك الذي يشفي الظما
لك طلعةٌ تزري بأقمار السما
في القلب عينك أودعت كنز الهوى
بهواك ضاقت حيلتي كتصبّري
كم سقت نحو الضيم قلبي عندما
كيف التخلّص من هواك حبيبتني

وقال إلى أحد أصحابه:

الذكرى

وطبتُ فلا قبلُ لحظي ولا بعدُ
غدا فوق غصن القلب طير الهنا يشدو

نعمتُ بأنس القرب إذ بُعدَ البعدُ
جلا ظلمة البرحاء نورُ اللقا وقد

صبرت على بعد الحبيب فجاءني
وما الصبرُ في البلوى يروِّقُ سوى فتَّى
أقبله كالريم تسعى إلى الحمى
حديثك ما أحلاه يا زينة الحلَى!
أنختِ مطيَّ الوجد في كبدي وقد
طُبعتُ على هذا الهوى فكأنني
أخذتِ بشرع الحبِّ قلبي تملِكًا
وقد نوَّعتِ عينك جنس الغرام في
فلم يخلُ قلبي لامتناع الخلاء من
إذا اشتدَّ حر الشوق فاضت مدامعي
لجيدك بعثتِ الدمع عند اللقاء
فإن مسَّ خطُّ الحبِّ دائرة النهى
ألا يا مهابةً البان، رفقًا بمغرمٍ
بوجهك سلطانُ الجمال بدا وكم
أرى كلَّ جزءٍ من محيَّاك ينطوي
أبنتُ من الديباج نهضةً كأنه
تكلفني السلوان عنك عواذلي
فأسلوك إن عذبتِ قلبي بالجفا
ولي مهجةٌ في الحبِّ قد قتلت ولا
فيا ليت يشفي ما بقلبي من الظما
بَعُدتِ فأبعدتِ الكرى وأنا الذي
وجاء حسودي بالشماتة قائلًا:
دعي صحبة الحساد فهي مصيبةٌ
رعى الله أيامَ اللقاء فإنها
ويا قاتلَ الله الفراق فكُم به
فسحقًا لهذا الدهر كم هو غادرُ
أتاني بأحزان كـ «يعقوب» حسرةً
حبيبٌ لقلبي طالما راح ذكره

بطيب اللقاء دهري وعاد لي السعد
درى ما يروِّح الدهرُ فيه وما يغدو
أتدرين كم في البين أودى بي الوجدُ؟
ولطفك ما أغلاه! فالدرُّ فالشهدُ
غدا بي لعيس الذلُّ أثر الهوى وخدُ
حملتُ الهوى مذ كان يحملني المهدُ
وليس لهذا الأخذ طول المدى ردُّ
فؤادي برسم السحر وهي به حدُّ
هواك فتيهي إنني ذلك العبدُ
وعهدي أن الغيث يصدره البردُ
ولا يُفك رباطُ البيع إن ثبت العقدُ
يقاطعها خطُّ الهدى، فالهوى رشدُ
سبى عقله خدُّ به قد زها الوردُ
يروِّع فؤادي فالعيون له جندُ
على كل حسنٍ برقه في الحشا رعد
لجين، فكم قد شاقني ذلك النهْدُ
وإنِّي لا أسلو ولو ضمنى اللحدُ
وقامت من الأموات بعد البلى «دعدُ»
غريمٌ لها إلَّا النواظر والقُدُ
رضابك فهو الخمرُ والمسكُ والقنْدُ
بحبك لي بالطيف بعد اللقاء قصدُ
نأى عنك من تهوى وقد زارك السهدُ
ولا وفق بين الحاءِ والهاءِ يا «هندُ»
تعيدُ التهانى للذي ضامه البعدُ
حملتُ عذابًا ليس يحمله الصلْدُ
وليس لدهرٍ قطُّ يا صاحبي عهدُ
فيا ليت أفراحي بـ «يوسف» ترتدُّ
يروِّقُ لسمعي فهو لي في الظما وردُ

حوادث، فأكرم بامرئٍ دابُّهُ الودُّ
وذو شيمٍ أجلي من الزهرِ إذ يبدو
كريمٌ عليه طالما هبط المجدُّ
فظلله من حرٍّ أضوائها السعدُّ
بنشر معانٍ دونها أصبح الرندُّ
وهذا له ذمٌّ، وذاك له حمدُّ
فما هي سيِّانِ الثعالبِ والأسدُّ
إذا ما جرَّت فيه السلاهبُ الجردُّ
ولم يكُ ذا حظٍ فلا ينفعُ الجهدُّ
لعلمي أنَّ العلمَ يزري به الودُّ
فما لذٌّ للمزكومِ عودٌ ولا ندُّ
إذا لم يكن سيفٌ فلا يقطع الغمدُّ
كما ملَّ طولَ البیدِ من في الدجى يعدو
إذا كان عندي النسر لم يرضني الصردُّ
فديتك من خلٍّ عليه التقى بردُّ
فكن بالهنا مستبشراً أيها الفردُّ
إليك غدت أيدي المكارم تنمُدُّ
ولا زال غيم السعد فوقك ينكدُّ

به الودُّ دابُّ لا يغيرُ كُنْههُ
أخو همم أعلى من الزهر في السما
ودودٌ له صيتُ السمؤل بالوفا
عليه شמוש العزِّ والفخر أشرقت
بذلتُ له مدحًا غدا متعطرًا
لكلٍّ من الدنيا مقامٌ كقدره
وليس لكلِّ الناس بالقدر أسوة
وهل تحسن الأوعال جريًا على الثرى
ومن كان ذا جهدٍ بكلِّ أمره
أصونٌ عن الأوغاد بالصمت حكمتي
ولا لذةٌ بالعلم قطُّ لجاهلٍ
ولا ينفعُ الإنسان إلا بعقله
يملُّ حديث العلم من بالغنى غوى
أأرجو الغنى والعقل يغني عن الغنى
ألا يا أبا العقل الذي زانه الهدى
ثنتك يدُ النعماء عن حالة الشقا
وطارت بك الأقدارُ نحو العلا وها
فلا زلت في ثوب التنعُّم رافلاً

وقال:

يقظة الحب

واستيقظَ الحبُّ بعدما رقدَا
في القلب، والوجد من خباهُ بدا
نفسى بها من بحسنه انفردَا
لكنه لم يبق لي كبدا
عقلي وقد أعدمتني الجلدا

تهيج الشوقُ بعدما خمدَا
وعاد ذكرُ الحبيبِ محتجبًا
لا بارك الله فترةً تركت
لم أسلُ من قد عشقت عن مَلَك
روحي فدأء لغادةٍ فتننت

قلبي، فلم يلقَ مثلها أحدا
 وجدني، وكان الوفا لها عضداً
 دفعتُ من دُرٍّ أعينني القودا
 لحبها بالغرام مرتعدا
 أحلى الدلال الذي سبى الأُسدا
 فحلَّ في مهجتي حلولَ ندى
 ومدَّ كلَّ إلى السلام يداً
 أعاد جمرَ الغرام مُتَقِدا
 ألحاضها ما بوّدها شهدا
 أرحتَ قلباً أذقته النكدا
 تقول لي أعيني: يعودُ غدا
 أخفيت في القلب ذلك الكمدا
 ذات بها اللطف كله اتّحدا
 إلّا وفي القلب خلته انغمدا
 حسنٌ به كلُّ معجزٍ وجدا
 فإن رجوتُ الخلاصَ لن أجدا
 ولم تدع لي صروفه جلدا
 إنَّ الهوى قد يشيّبُ المُردا
 لما درى لذّة الهوى أبدا
 أهوى، إذا شاء ذلني عمدا
 قصدٍ وذا الفعلُ للدني غدا؟
 دنيّ أصلٍ ولو رقى الجلدا
 فليس بالنجم سعدٌ مَنْ سَعِدا
 ربّحٌ وخسرٌ وعثرةٌ وهُدَى
 يداهُ، فأكرم بمن به اجتهدا!
 شخصٍ تر العزَّ فوقه رَعِدا

مثلتُ كلّاً من الحسان لدى
 فأرجعتني يدُ الجمالِ إلى
 قتلتُ عند اللقا السلوَّ وقد
 لما رأتني رجعتُ منكسراً
 أبدتُ دلالاً به سُلِبْتُ وما
 وأرشفتنني رحيق مبسمها
 لما التقينا عقيبَ فرقتنا
 والودُ قد ساق بيننا عتباً
 قالت وقد أظهرَ العتابُ على
 لا عتبَ إن تظهرِ السلوَّ فقد
 وإن مضى اليومَ عنك كلُّ هوى
 أجبْتُ إن أظهرِ السلوَّ فقد
 أفدي جمالاً حوى الكمالَ على
 ما سلَّ سيفَ الفتور ناظرها
 ففي شراك الشجون أوقعني
 وأورثتني العيونُ كلّ ضنى
 يا صاح، إن الغرامَ أتلّفني
 فقلْ لمن يحسبُ الهوى سهلاً:
 لو كان ذو الحبِّ لا يذوقُ عناءاً
 لكنني لم أذلُّ قطُّ لمن
 هل ترتضي نفسي التدلّ في
 لا تنمحي سيمّة الدناءة عن
 يُشقي الفتى عقله ويُسعده
 كلُّ إلى العقلِ راجعٌ فيه
 لا ينفع المرءَ غيرُ ما كسبت
 متى بدا بارقُ الدراهم من

وقال يجاوب المرحوم الخواجا «نصر الله بخاش» عن رسالة بعث بها إليه من القاهرة:

وأمري فخشوعي غير محدود
أنا سوى مغرم بالحسن معمود
وعذبت كبدي في نار أخدود
فيوم وصلك عندي بهجة العيد
وعد، فيا ليت صبري صبر موعود
يوهي الصخور، وما قلبي بجلمود
إن العذاب لعذب في هوى الغيد
على العقول، ويغزو كل صنديد
ضيمًا فمن قلق بار وتوقيد
ذاك الشجي، وما الخالي بمودود
ولم أنل غير تعذيب وتنكيد
والنجم للغرب يجري مجرى مطرود
شوق يشرد صبري أي تشريد!
طرف إلى البدر بالأشواق مشدود
فإن للنار طبعًا فعل تبديد
سيول دمعي لأجبال الهوى زيدي
بين المحبين ذوقي غير مردود
أذلي من سامعي نغمة العود
وقل من عاش عيشًا غير مكدود
صمًا عن كل ذي عدل وتفنيدي
أعمى العيون، أصم الأذن، ذا جود
مثلي، وما الود في الحسنًا بموجود
بحب غيداء تحكي الظبي في البيد
تحت الوشاح بقدر مثل أملود
والحسن أودع فيه شأن عربيد

سودي عليّ ببيض الأعين السود
ما أنت إلا عمود للجمال وما
أشقت خدودك قلبي وهي ناعمة
عودي مريض هوى أودى الغرام به
أطلت صبري على ذاك الجفاء ولا
حملت قلبي من ثقل المحبة ما
فكم جمالك يا غيداء عذبنني!
والحب يفتك بالأكباد منتصرًا
يا طالما في الهوى قد كابت كبدي
أشجت فؤادي أحداق المها فأننا
كم قد ألفت التصابي واجتهدت به
وكم أرقن وجيش الليل ملتحم
أرعى صفوف الداراري في الظلام وبني
وأدمعي كعهاد السحب تسفح من
لا بدع إن بددت نار الجوى وسني
إن كان بالسيل نقصان الجبال فيا
ذقت الصبابة فاستعذبتها وأنا
وقد رأيت أنيني بالغرام دجى
أكد عيشي ولم أسمع لذي عدل
روحي فدى ظبية في حبها أذني
وعادة العشق أن يبقي الغريق به
ليت الحبيبة ترعى الود ثابتة
يا للهوى كم تقاسي مهجتي ألمًا
هيفاء تهتز كالخطي مائسة
تدير لحظًا به خمر الصبا لعبت

فما تركتَ فؤادًا غيرَ مفئود
جری من الظرف مجرى الماء في العود
على محبٍّ جريح القلب منجود
إذ ليس غيرَ نوال الوصل مقصودي
رجوتُ، والبخل أمرٌ غير محمود
بذلتُ في مدح نصر الله تجويدي
لطفٍ عجيبٍ من الأرواح محسود
بادي الوداعة، ذو علم وتوطيد
غنى السعود، وما كلُّ بمسعود
يُمهد العلمُ فيه كلَّ تمهيد
زها بمعناه زهو الدرِّ بالجيد
حتى كأنِّي حاسٍ بنتَ عنقود
يُنضدُ اللفظُ فيه خيرَ تنزید
بنى من الودِّ ركنًا غيرَ مهدود
من خدر ذهنك حازت كل تمجيد
بعرف إنس زرى بالندِّ والعود
أطال شوقي إلى الغياب تسهيدي
نومي فصبري باقي غيرُ مفقود
حويتُ فهم «سليمان بن داود»

مهلاً لك الله يا إنسان مقلتها
زهت بقدرٍ به لطفُ الشمائل قد
خودٌ تديرُ كنوس الهجر طافحةً
كم رمتُ وصلًا ولم تمننَ عليَّ به
فجدتُ بالدمع إذ ضنتُ عليَّ بما
ومذ بذلتُ لها جودي وذا خلقي
خلٌ وفِيَّ به قام الودادُ أخو
ماضي اليراعة، حاو للبراعة، قل:
حوى العلوم فأغننته فحاز بها
ندبٌ بليغٌ فصيحُ القول ذو قلم
أهدى لنا نظمَ شعرٍ كاللآلئ قد
فأسكرتني معانيه برقتها
من كل بيتٍ كسلِك صيغ من ذهبٍ
يا أيها الجهبذُ الحاوي الإخاء ومن
لما زففت عليَّ اليوم قاصرةً
أحيث فؤادًا كساه البعدُ ثوب ضنا
يا قاتلَ الله أيام النوى فبها
إن كان بعدك يا ذا الودِّ أفقدني
فكن على الخطب منصور العزيمة ما

وقال وقد بعث بها إلى الشيخ ناصيف اليازجي رحمه الله:

أنَّى يروغك ضيمٌ منك يرتعدُ
وعندَ مثلك لا زهو ولا كمدُ
بريته وسيبريه بك الجلدُ
إن كان مثلك لم يصبر فهل أحدُ؟
عيني غريبًا، وها قد أزمَن الرمدُ
تهوى السقام فإن أسلم فلا جسدُ

لا تخش لا تخش ضيمًا أيها الأسدُ
كُلُّ يَبْدَلُ زهوًا كان أو كمدًا
إذا ضنيت فذا ثار الضناء، فكم
فكن صبورًا وإلا ما صبرتُ أنا
أنا الذي قد لقيتُ الضيم قبلك في
إن الفروع التي قد أصلت جسدي

إِلَّا الطَّبِيبَانِ: حَسَنُ الصَّبْرِ، وَالصَّمَدُ
إِنْ الشَّجَاعَةُ فِي قَلْبِ الْفَتَى سَنَدُ
دَنَا الرَّدَى مِنْكَ إِلَّا وَهُوَ مَبْتَعِدُ
وَفِي دَامِغَةٍ لَا ضَامَكَ النُّكْدُ
جَبِينِهِ غَرَّةٌ قَدْ صَانَهَا الْأَبْدُ
إِلَيْكَ مِثْلَ نَهْورٍ مَدَحَهُمْ يَرُدُّ
دَهْرٌ خَثُونٌ وَلَا كَيْدٌ وَلَا حَسَدُ
عَلَيْكَ تُبْنَى قَبَابُ الْمَجْدِ وَالْعَمَدُ
«نَاصِيفُ» إِذْ أَنْتَ فِي غَابِ الْحَجَا أَسَدُ

كُلُّ الْأَطْبَاءِ فِي بِلَوَايَ قَدْ كَذَبُوا
إِذَا خَشِيتُ الرَّدَى يَوْمًا فَلَا سَنَدُ
لَا تَشْكُونُ الرَّدَى يَا ذَا الْفَضِيلِ فَمَا
ذِي شَجَّةٍ الدَّهْرِ لَكِنْ فِيكَ حَارِصَةٌ
فَابْشُرْ وَطْبٌ فِي زَمَانٍ قَدْ طَبَعَتْ عَلَى
يَا بَحَرَ عِلْمٍ يَهَادِي النَّاسَ دَرَّ هَدَى
لَا خَانَ لَا خَانَ مَا أَبْدَعْتَ مِنْ غُرَرٍ
وَلَا بَرَحْتَ لَصِرْحِ الْفَضْلِ قَاعِدَةٌ
مَا شُرِّفَتْ شَفَّةٌ فِي الْعِلْمِ بِاسْمِكَ يَا

وَقَالَ إِلَى أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ:

لوعة النوى

وَمِنْ هَذَا الْمَشَّيْعُ لِلْبُعَادِ؟
يَسِيرُ عَلَى الْهَوَاجِ فِي الْهَوَادِي
فَكَمْ سَالَتْ بِهِ مَقْلُ الْعِبَادِ
غَدَاةٌ نَأَتْ رِكَابُ ذَوِي وَدَادِي
يَزُورُ الطَّيْفُ مَسْلُوبَ الرِّقَادِ؟
يَرِقُّ لِحَالِهَا قَلْبُ الْجَمَادِ
مَدَامَعٌ مِنْ مَقِيلَاتٍ صَوَادِي
فِيَا وَيْلَاهُ مِنْ هَذَا التَّمَادِي
بِهِ لِلْبَيْنِ قَدْ لَعِبْتَ أَيَادِي؟
كَنْارِ وَالْأَضَالَعِ كَالرَّمَادِ
فَلَمْ يَشْطَطْ هَوَاهَا عَنْ فَوَادِي
وَسَارَ الرِّكْبُ يَضْرِبُ فِي الْوَهَادِ
وَمَائِي الدَّمْعُ، وَالْحَسْرَاتُ زَادِي
وَمَنْ يَعْدُو عَلَى شَوْكِ الْقِتَادِ؟

لَمِنْ هَذِي الرِّكَائِبُ فِي الْبَوَادِي
فَوَا عَجِبَا! أَرَى بَدْرًا مَنِيرًا
أَلَا يَا قَاتِلَ اللَّهِ التَّنَائِي
أَصَابَ حَشَاشَتِي عَنْتٌ عَظِيمٌ
فَوَا شَوْقِي لِطَيْفِهِمْ وَأَنْنِي
وَلِي فِي مَوْقِفِ التَّوْدِيْعِ نَفْسُ
سَفَحَتْ مَدَامَعًا فِي الْبَيْنِ تَحْكِي
تَمَادَتْ مَدَّةُ الْبَلَوَى فِرَاقًا
فَكَيْفَ يَطِيبُ لِي عَيْشٌ وَقَلْبِي
بِعَادُ قَدْ أَعَادَ الْقَلْبَ مَنِي
إِذَا شَطَّتْ دِيَارُ «سَعَادَ» عَنِي
وَمَذْ أُلُوِي الرِّحْلُ بِرَحْلِ «سَلْمَى»
رَكِبْتُ الشَّوْقَ إِثْرَهُمْ ذُلُولًا
وَهَلْ سَيَّانٍ مِنْ يَعْلُو الْمَهَارِي

فلا يَدْعُ الصِّلَاحَ بلا فساد
ويشقي الناس في كلِّ البلادِ
وكم أجرى دموعًا كالعهادِ!
ويبدلُ كلَّ قَرَبٍ بالبعادِ
بفرقة من له في القلبِ نادي
رعاني الله، ما أسمى مرادي!
عليه اليومُ أَلْقَيْتُ اعتمادي
يقولُ: أَصَبْتَ خيرًا يا منادي
فَتَى عَمَدِ الثرى عالي العمادِ
على حفظِ الصداقةِ والودادِ
وحاز اللطفَ محلولَ القيادِ
صديقُ ماله أَبَدًا معادي
سعيدًا، والزمانُ أخو اجتهادِ
عليها بلبلُ العلياءِ شادي
وساد على الحسود بلا جلاذِ
بصحبتِهِ! وكم أنا ذو رشادِ!
حليفَ كوارثٍ، وأخا سهادِ
وهل يروى من الأنوارِ صادي؟
إليه وتخبريه على انفرادِ
أمرٌ لديه من حكم الأعادي
ببعذك عدتُ في محنٍ شدادِ
كَأَنَّكَ أَنْتَ ذاكَ النجمُ بادي
به أورى النوى نارَ الزنادِ
تدثرَ فارسٍ متنَ الجوادِ
كطيفك رائحًا فالشوق غادي
خيالك، واكتسى حلل الحدادِ
وخاصمَ حكمَ بعدك ذي العنادِ
لمن هذي الركائبُ في البوادي؟

لحا لله الزمان ولا رعاهُ
زمانٌ يُعَقِّبُ النعمى ببؤسِ
فكم أَلْقَى على الدنيا خطوبًا
يشتَّتْ كلَّ شملٍ كالمنايا
فوا فرطَ انتحابي واكتئابي
فَتَى هُوَ لي من الدنيا مرادُ
هُوَ الخلُّ الوفيُّ لذاك إني
إذا ناديتُهُ يومًا لأمرٍ
فلم أرَ مثله في كلِّ عمري
فَتَى وَصَلَ العشايا بالغدايا
أحاط بكلِّ صالحَةٍ وفضلِ
أديبٍ حازمٍ فطنٍ لبيبٍ
قد اجتهدَ الزمان بأن يراه
وأسقاهُ من النعماءِ كاسًا
فصَالَ على العدوِّ بلا قراعِ
فكم أنا حائزٌ أنسًا وبشرًا
وها أَصَبَحْتُ إذْ أَجْرَى فراقًا
فوا ظمئي إلى ذاك المحيّا!
ألا يا ريحُ ليتكِ إن تسيري
بأنَّ البعدَ أسقى الصبِّ كاسًا
أيا مولاي ربَّ الودِّ إني
أرومُ لقاكَ إذْ ما لاح نجمُ
فلم أظفرَ بغير زفيرِ قلبِ
تدثرَ صهوة النكباءِ قلبي
فإن أمسى جميلُ الصبرِ مني
أَمَاتَ الليلُ نومًا كان يحيي
فكن يا ابن الكرام لنا وكيلاً
عسى يحظى بقربك من ينادي:

وقال:

يكون شبيهة الخال في صفحة الخدِّ
وقومٌ بزنجِيٍّ، وآخرُ بالندِّ
سوى رمز حرق القلب في لهب الوجدِ

تحرير أربابُ الهوى في الورى بما
فشبههُ بعضُ بحارس روضة
وما الخالُ فوق الخدِّ عند ذوي النهى

وقال:

ذا محالٌ على وشاةٍ وحسدٍ
وكفاك الفخارُ أنَّك أحمدُ

حال ما بيننا انقطاعٌ ولكن
فكفاني أني على الودِّ باقي

وقال:

لعمري فلم يخلف بوعدٍ سوى الوعدِ
تساوى الورى، والحرُّ أصبح كالعبدِ
يصونُ؛ ليبدو موقعُ الذم والحمدِ
بوعدٍ ولمّا نال أنجز بالضدِ
فأشغلها علمي، ونازعها رشدي
فإني سليم القلب لا ريبةٌ عندي
فذلك طبعُ الدبِّ والذئب والقردِ
إلى نيل عظم عاد أخيب من خلدِ
إذا لم يكن للفعل لعلعة الرعدِ
ولم يرَ من ينتابه قطُّ بالغمدِ
يحاولُ أن ينقض كالنمر والفهدِ
يزاحمُ أهلَ القدرِ بالقول والوعدِ
أتضحك بي يا سافل الجدِّ والجدِّ؟
سوى علقمٍ قد راح يسخر بالشهدِ
قبيحُ نظير الكسب يرجع للردِّ
فذلك ذو ودٍّ وهذا بلا ودٍّ

على الشهم فرضُ أن يفي ذمّة الوعدِ
إذا لم يخنُ عبدٌ ولم يرعَ سيدُ
فلا بُدَّ من نذلٍ يخون وماجدِ
أذمُ خبيثًا رامُ خدعي فغرّني
وأعملُ في غدري عواملَ خبثه
ولا فخرة في خدع مثلي لخادع
شنارٌ على المرء الخداع وذلة
ومن جعل الإفك المهين ذريعةً
ولم يدو صيتُ الفخر بالقول للفتى
رأينا من انتابَ الفخارَ بسيفه
ومن عجبني ضبُّ يقود وثعلبُ
وأعجبُ من هذي العجيبة عاجزُ
أقولُ لمن بالوعدِ أدبرَ مخلفًا:
وتسخرُ بي فاسخرُ فلست لدى الملا
ومن قال: «لا» من بعد قول «نعم» فذا
وشتانَ بين الكلب والنذل ذي الخنا

قال وقد بعث بها إلى «أحمد أفندي فارس» مدير الجوائب:

صَبُّ قَدِيمُ الْوَدِّ غَيْرَ مُجَدِّدٍ
غَيْرِ الطَّلَى يَوْمَ اللَّقَا لَمْ تَعْقِدِ
بِاللَّهِ يَا نَارَ الْهَوَى لَا تَخْمَدِي
فَاشْفِي فَوَادًا أَنْتَ فِيهِ وَبِرْدِي
قَيْدِ الْغَرَامِ، أَسِيرَ طَرْفِ أَسْوَدِ
جَسَدًا عَلَى رَمَقِ النُّحُولِ فَتَنْجَدِي
تَبْدُو بِخَدِّكَ لِي نَظِيرَ تَوَرَّدِ
مَا لَاحَ مِنْ أَمْلُودٍ دَعِصَ أَمْلِدِ
لَا عِيشَ فِي الدُّنْيَا بَدُونِ تَجَلِّدِ
أَنْثَى، وَفِي الْأَنْثَى الْوَفَا لَمْ يُعْهَدِ
يَبْدُو لَدَيْهِمْ كَالْغَدِيرِ لَدَى الصَّدْيِ
بِمَحَبَّةِ الْمُغْرَبِيِّ وَبِغَضِ الْمُرْشِدِ
يُفْنَى وَيُقَصَّدُ فِي الْغَنَى فَضْلُ الْيَدِ
حَتَّى اغْتَنَيْتُ عَنْ الْجَمِيعِ بِ «أَحْمَدِ»
عَنْ مَدْحِ كُلِّ سَمِيذَعٍ أَوْ سَيِّدِ
بَحْرِ الْحَجَا، وَالْفَضْلُ عَذْبُ الْمَوْرِدِ
تَهْدِي الْقَرِيبَ إِلَيْهِ عَيْنُ الْأَبْعَدِ
وَجَدْتَ بِهِ الشَّرْفَ الرَّفِيعَ الْمُحْتَدِ
سِرَّ اللَّيَالِي فَيَا لَسِرَّ أَمْجَدِ!
بَيْضَاءَ وَاسْوَدَّتْ وَجْوهُ الْحَسَدِ
فَهُوَ الْفَرِيدُ وَقَدْ أَتَى مِنْ مُفْرَدِ
هَلْ فِي الشَّهَابِ سِوَى السَّنَا لِلْمَهْتَدِي؟
حَتَّى حَكَى فَلَكَ السَّهَى وَالْفَرْقَدِ
وَدَنْتَ وَهَنَّ عَلَى نَحْوِ الْخُرْدِ
ضُرِبَتْ بِهَا الْأَمْثَالُ دُونَ تَرْدِ
يَغْنِي الْوَرَى عَنْ أَلْفِ أَلْفِ مَجْلَدِ

نَكَرَ الْوَلَاءَ وَعَهْدَ ذَاكَ الْمَعْهَدِ
فَجَرَتْ بِوَادُرٍ دَمْعِهِ دُرَّرًا عَلَى
وَتَوَقَّدَتْ أَحْشَاؤُهُ بِلَظَى الْهَوَى
بِكَ لَا بِغَيْرِكَ يَا «سَعَادُ» تَوَقَّدِي
بُلْبُلِي غَلِيلًا مِنْ عَلِيلٍ غَلٍّ فِي
وَتَرْفَقِي بِعَمِيدِ حَسَنِكَ وَارْمَقِي
جَسَدُ يَشْفُ عَنْ اللَّظَى سَقَمًا لَكِي
قَسَمًا بِوَرْدِ الْحَسَنِ فِي رَوْضِ الصَّبَا
إِنِّي لَذُو جَلَدٍ عَلَى مَحَنِ الْهَوَى
دُنْيَا فَلَا تَرَعَى الْوَفَاءَ لِأَنَّهَا
يَهْفُو إِلَيْهَا الْهَائِمُونَ وَغَدْرُهَا
ذِي خَلَّةُ الْإِنْسَانِ فَهُوَ مَوْلَعٌ
فِي الْعِلْمِ فَضْلُ الْعَقْلِ يَقْصِدُ وَهُوَ لَا
مَا زِلْتُ أَحْمَدُ كُلِّ رَبِّ فَضِيلَةٍ
أَجَلَ اغْتَنَيْتُ بِمَدْحِ «أَحْمَدَ فَارِسٍ»
هَذَا إِمَامُ الْعَصْرِ، حَبْرُ زَمَانِهِ
عِلْمُ الْعُلُومِ بَدَا عَلَى عِلْمِ الْعَلَا
هُوَ نَاصِرُ الْعَرَبِيَّةِ الْفُضْلَى وَقَدْ
وَلَقَدْ جَلَا أَسْرَارُهَا لِلنَّاسِ فِي
مَنْهُ اللَّيَالِي السُّودَ أَوْجَهَهَا غَدَتْ
بَكْرًا فَلَمْ يَبْدَعْ إِمَامٌ مِثْلَهُ
لَا بَدَعَ فِي إِبْدَاعِ «فَارِسٍ» ذَا الْهَدَى
فَرْدٌ حَوَى شَرَفَ النَّهْيِ وَهَدَى الْحَجَا
غَارَتْ يَتَامَى الدَّرِّ مِنْ أَلْفَاظِهِ
وَعَلَتْ بِلَاغَتُهُ عَلَى قَسِّ وَقَدْ
وَأَتَتْ بِرَاعَتُهُ بِكُلِّ مُؤَلِّفٍ

تزهو براعته على النبراس إذ
هذي اليراعة وهي تبري بالمدى
جابت جوائبها جميع الأرض مذ
لا عيبَ فيها غيرَ أنَّ بيانها
جلَّت بقصدِ الصدق في أخبارها
وجلّت شמוש هدى محت غسق الغوى
يا أيها العلمُ الجليل، العالم النـ
خذها إليك رقيقةً جاءت على
واسبلُ غطاء الصفح فوق عيوبها

يَحْوي ظلامًا ضمنها لم يوجد
تزري بكلِّ مثقفٍ ومهني
أضحت لكلِّ الناسِ جلَّ المقصدِ
يروى الظما، ويرقُّ كالنغم الندي
فحلَّت، وقد حلَّت محلَّ العسجدِ
فصبا إليها الكلُّ غيرُ الأرمـ
نَدَبُ النبيل، الشهم ربُّ السودِ
خجلٍ تخرُّ لديك بين السجدِ
واحلُمُ فإنَّك معنُه يا سيدي

قافية الدال

وقال:

حَظَّ إِذَا خَانَ ذَلِكَ التَّلْمِيزُ
بِـ فَمَنْ طَبَعَهُ الرَّدِي فَنَعُوذُ
رَ، وَمَنْهُ كَسَوْفَهَا مَأْخُودُ

أَيُّهَا الْعَالَمُ الشَّهِيرَ دَعِ الْغِيـ
وَاتْرِكِ الْعَتَبَ إِنْ يَخُنْ ذِمَّةَ الْعَهـ
وَمَنْ الشَّمْسُ يَأْخُذُ الْقَمَرَ النُّوـ

وقال إلى صديقٍ له:

أَهْوَى الشَّقَا، وَأَرَى الْعَذَابَ لَذَاذَا
لَكُنَّنِي لَمْ أُدْرِ قَطُّ لِمَاذَا
سَحَرُ الْجَمَالِ إِلَى عَنَّا بِي آذَى
وَأَعَادَ أَكْبَادَ الْوَرَى أَفَلَاذَا
وَلِهَانَ فِي قَلْبٍ حَكَى الْفَوْلَاذَا
وَدَهَاكَ حَتَّى قَدْ غَدَوْتَ جَذَاذَا؟
سَهْمَ الْلَوَاحِظِ فِي الْحِشَا نَفَاذَا
لِبِدْيَعِ أَنْوَاعِ الْمَحَاسَنِ حَاذَا
وَعَلَى جَمِيعِي اسْتَحُوذَ اسْتَحُواذَا
أَضْحَى لَهُ خَفَرُ التَّوَرُّدِ لَذَاذَا
كَالْوَرْدِ أَلْبَسَهُ الْغَمَامُ رَذَاذَا
قَلْبُ الْمَتَّيْمِ لَمْ يَجِدْ إِنْقَاذَا

هَذَا جَنُونِي فِي الْمَحَبَّةِ هَذَا
وَيَلِذُّ لِي مَرُّ التَّبَرُّجِ وَالضَّنَا
فَتَسَوَّقُنِي الْأَشْجَانُ حَيْثُ يَشُوقُنِي
سَحَرٌ عَلَى الْأَلْبَابِ مَدَّ غِشَاوَةَ
وَكَذَاكَ غَادَرَ كُلَّ قَلْبٍ لَيْنٍ
يَا مَهْجَتِي، مَاذَا أَصَابَكَ فِي الْهَوَى
فَطَرَّتْكَ طَلْعَةٌ غَادِيَّةٌ قَدْ غَادَرَتْ
تَرْنُو بِالْحَازِظِ الْغَزَالِ وَوَجْهَهَا
وَتَلَوُّحُ فِي وَجْهِهِ بِهِ عَقْلِي انْسَبَى
وَجْهٌ يَلُودُ بِهِ الْخَمَارُ وَطَالَمَا
كَالشَّمْسِ حَيْثُ تَشَوَّذَتْ قَدْ لَاحَ أَوْ
يَا رَبَّةَ الْحَسَنِ الَّذِي مِنْ فَتْكِهِ

ها قد خررتُ لدى جمالك ساجداً
ولقد تعلمت العجائب في الهوى
لعبتُ بقلبي مقلتكِ وقد غدا
جودي برشف الثغر منك على فتى
وَاعْطِي المحبَّ يدَ الوصالِ وقربِّي
فالبعدُ سيفٌ قاطعٌ ولحدّه
خلُّ أبى حلَّ الإخاء مدى المدى
يولي الإجابةً حيثما استولى على
شهمٌ على قممِ الثناءِ قد ارتقى
وبكلٍ لطفٍ قد تفرَّد شخصه
يا صاحبَ الخلقِ السليمِ ومَنْ على
ما زال بعدك يستثيرُ تشوُّقي
حتى بعثتُ إليك يا ربَّ الولا
صدقت مودتك التي لك مثلها

فاقضي على العبد الذي بك لاذا
لَمَّا غدا مرآك لي أستاذًا
منكِ الجمالُ لمهجتي وقَّادًا
يهوى النبيذ ويعشقُ النبَّادًا
بعدًا أراه لأدمعي أخادًا
قد جاء ربُّ مودتي شحَّادًا
وغدا من الخلل الذميم معادًا
داعٍ له فلکم نراه ملاذا
وأخو الملامةِ دونه قد باذا
وبه نرى لذوي الصفاءِ لواذا
أهل الوفا والودِّ ساد وشادا
ويثيرُ في قلبي لظى وخواذا
برسالةٍ تستلزم الأحواذا
مني، وغيرُك لم يزل ملاذا

قافية الراء

وقال يمدح عظمة السلطان «عبد العزيز خان» دام ملكه:

مدى الدوران

فيا ليت شعري! هل يفي مدحه شعري؟
أغاروا على الدنيا بالفتح والنصر
على سيفه الماضي دم الظلم والغدر
وقد أطرقت من هيبة أعين الزهر
مدار نجوم الأفق حول سنا البدر
بلى، فهو ظل الله باق إلى الحشر
وكل أمير دونه قاصر الأمر
لله المجد والنعمة، له سطوة الدهر
وتحرسه عين العناية والقدر
ويقضي له الرحمان بالنصر والقهر
لقلت: يمين الله ذا «قيصر العصر»
فزكى لسان السر السنة الجهر
فحاكى سماء الزهر أو روضة الزهر
بقوس هلال نبله نجمة الفخر
أماناً، فأرباب الغنى وذوو الفقر

لأعتاب سلطان الأنام سعى فكري
سليل السلاطين الأولى بسيوفهم
ملك الوري «عبد العزيز» الذي جرى
ودانت لديه رهبة هامة العلا
تدور ملوك الأرض حول جلاله
أبى الله أن يدعو سواه خليفة
فهذا أمير المؤمنين حقيقة
له شرف «الشعري»، له رفعة السهى
يرفرف جناح اللطف حول سرير
ويحمي حماه السعد من كل سواة
فلو لم يكن قد خان «قيصر» عصره
على عرشه أثنى خفي وظاهر
به ازدان وجه الملك وافتتر ثغره
ملك رمى أسد العدى ونسورهم
لذا نامت الأقوام تحت لوائه

عليها، ولم ينفّر سوى البؤس والضّر
يحاكي نسيمَ الروض في وهجِ الظهرِ
فيا خجلةَ اليعسوبِ من نحلةِ البرِ
وما الغربُ إلّا مرسحُ الكربِ والكرِ
وعندهمُ نبجُ الكبائرِ والشرِّ
فأحكامهم تكبو وأحكامه تجري
لدولتهِ الأقدارُ في البرِ والبحرِ
ألوفُ قلوبٍ طالما كنَّ في نثرِ
بها امتزج الأحزابُ كالماءِ والخمرِ
ولم يبقَ عدوانٌ لزيدٍ على عمرِ
وقرّت عيونٌ، وارتدى الثغرُ بالبشرِ
غدا في نحور الملكِ أحلى من الدرِ
بمملكةٍ قامت على البيضِ والسمِرِ
فحكمتها تبري وسطوتها تفري
وتعنو لدى خاقانها البانخِ القصرِ
وهبهُ عظيمُ الفوزِ في طولةِ العمرِ
رقابِ عداةٍ، وأعطيه ساعدِ اليسرِ
فدو العجزِ والأطماعِ يسعى إلى المكرِ
فما طاعة السلطانِ إلّا من الكبرِ
ثنائي، وأرّخ حُبّ آلائها الغرِّ

وقد هفتِ الدنيا إليه وكلُّ ما
فلا ريبه والأمن في الشرق قد سرى
هناك نظامٌ أخجلَ الغربَ شملهُ
فما الشرقُ إلّا محتدُّ السلمِ والهنّا
وها عندنا صدح الفضائلِ والتقى
فسلطاننا خير السلاطين كلهم
عزيز الملا «عبد العزيز» الذي عنت
هو الناظم الشمل الذي ائتلفت به
أقام من الشرع الشريفِ مجلّةً
فراح الملا يعدون في سُبُل الولا
وطابت نفوسٌ، واطمأنت مضاجعُ
نظامٌ يوّد الدرُّ لو صيغ مثلهُ
وقام على رُكن الأمانة والمنى
وما كان أغناها عن الخطِّ والظبا
ممالكُ تهتزُّ الجبال لقدرها
فيا ربُّ، صنّ «عبد العزيز» ووقه
وحكّم سيوف النصر طول المطال في
وشتّت أفاعي المكر عن روض ملكه
ويا دهرُ، كن بالله مطواع أمره
وبلّغ إلى عليائه بتهيبِ

سنة ١٢٨٩

وقال:

فكلانا في دارج القول شاعر
تاجرًا كان تاجرُ الفحم تاجر

قلتُ شعراً وقال غيري شعراً
وإذا كان تاجرُ الدرِّ يدعى

التجاهل

وغصونٌ تمايلت أم خصورُ؟
ونجومٌ تبلجت أم نحورُ؟
وظلامٌ على النقا أم شعورُ؟
وصفاحُ اللجين ذا أم صدورُ؟
شمتُ غصناً عليه بدرٌ منيرُ
لاح يوماً ففرعُها الديجورُ
جفنها وهو ذابلٌ مكسورُ
واللمى المسكُ، والطفى الكافورُ
من شذاهُ للندِّ يهدي عبيرُ
لهما في جوانحي تأثيرُ
وا عذابي أنا المحبُّ الكسيرُ!
عمق قلبي غيرَ السكوت نصيرُ
شنة الجاهل الكلامُ الكثيرُ

أبروقُ تبسمت أم ثغورُ
وشموسٌ قد أشرقت أم وجوهُ
وصباحُ ما شمتُهُ أم جبينُ
وسيوفُ تجرّدت أم عيونُ
بأبي من إذا انثنت وتبدّت
إن يكن وجهها الصباح إذا ما
كم على العقل شَنّ غارة سحرُ
فرقُها الفجرُ، والمحياُ الثرياُ
أفتديها من ظبية ذاتِ خالٍ
خذّها والرضاب جمرٌ وخمرُ
حاربتني عيونها حربَ بدرٍ
ليس لي إذ يصيحُ بوق الهوى في
شيمُ العاقل السكوتُ ومن شدة

الدلال

ويبخلنَ عني باللمى وهو كوثرُ
دلالاً، ولكن قلبها يتفطرُ
وهيهات أن يخفى الغرامُ ويُنكرُ
وأعلمُ حقاً أنها ليس تهجرُ
أذوب ارتياعاً كلّما البينُ يُذكرُ
تملكها، إن المبدّر يفقرُ
يكن ملكةً أصلاً لذلك يصغرُ
وتُبقي الحشا في حبها يتسعُرُ
لطافته ريح الصبا حين تخطرُ
ويعتكرُ الديجورُ إن هي تدبرُ

أجودُ بدمعي للدمى وهو جوهرُ
ومن عادة الحسناءِ قتل أخى الهوى
وخودٍ ترى ما بي فتنكرُ ما بها
تهدّدني بالهجر إذ رمت وصلها
وتذكرُ يومَ البين مزحاً وإنني
أنا للسوى ما جدت بالقلب فهو من
وبدرُ السما يهدي الضياء، والضياء لم
بروحي من تشري الرقاد بنظرة
رعى الله ذياك الدلال الذي حكّت
مهاةً يلوحُ الصبحُ إن هي أقبلت

ولكن سوى فرط الهوى ليس يثمر
عناقي، وظبي في الفلا حين تنفر
لواحتها سيفُ المنية يشهر
أراعك قتلي؟ لا تخف، أنت تُعذر
عذلت، فذق ما ذقتِ علكَ تشعر
وقلبك موجودٌ وعينك تبصر
ومن ذا الذي يهوى ولا يتحير؟
لثامًا، وإن غضيت طرفي تسفر
حياءً، فبدرٌ بالثرياءِ يُستر
بوجنتها وردُ الصَّباة يزهر
أذبتك إعراضًا فماذا تصير؟
حرارة إشفاقٍ بقلبك تنشر؟
وليس به مجرى الحرارة يَعرسُ
تيقنتُ أني بالوصال سأظفر
إذا كان نورُ الفجر أوشك يظهر
لجيشِ هنأ، إن الزمانَ يغير
لعلمي أنَّ الناس داءٌ مدمر
وقد ينفع المرءَ الضمير المكدر
بكلِّ امرئٍ، والطبع لا يتغير
يرى الأرض والأجبال تمشي وتعبُر
فإياك إعلام الصباح فيشهرُوا
وتملا له كأس الرجاء فيسكر
ونفس الفتى باليأس لا شك تصغر
وكم عيشة منها لنا الموت أستر!
وكُسر «كسرى» ثم قصَّر «قيصر»
وأخبثه يوما: يشيب ويكبر
ولكنه عند الغروب يعكُر

تميس بقدر خلته خوط بانه
هي الغصن والخطي إذ تنثني إلى
خذِ الحذر يا قلبي إذا ما رنت فمن
أيا طرفها السكران، ما لك حائرًا؟
عذولي دعني إنني لم أصخ إذا
أتسلم يا إنسان من سطوة الهوى
منعمًا قد حيرتني بدلها
إذا شاهدتني ناظرًا وجهها رخت
وإن تبتسم تجعل على الوجه كفها
مُدَّ الحب راضاها أتنني وقد بدا
وتاهت، وقالت: يا «كثير الهوى» إذا
فقلت لها: حاشاك من قسوة، أما
فقلت: أنا قلبي حديد، أجبتهَا:
إذا ما أزادت صدها ونفارها
ويزداد وجه الليل في الأفق ظلمة
ويا ربُّ بؤس جاء كان طليعة
كتمت عن الخلان سري في الهوى
يكدر عيش المرء صفو ضميره
إذا كان في الإنسان طبع يظنه
ومن كان يمشي في البحار فإنه
إذا رمت تخفي عن عدوك حاجة
تغر الفتى دنياه وهي دنية
ولولا الرجا ما لذ للمرء عيشه
حياة إذا طالت يطول بها البلى
فقد ناع «نعمان» كما تاع «تبّع»
وأطيب عيش المرء في زمن الصبا
ويصفو بياض الشمس في قبة الضحى

وقال مبهمًا ما بين المدح والهجو:

قد أخبروني عنك يا هذا بما
ومذ اختبرتك رحت أضحك قائلًا:

لا أشتهيه للعدو المفترى
يا خجلة الأخبار عند المخبر

وقال:

غرامٌ في الفؤاد له مقرُّ
أيلقى العاشقون جميلَ صيرٍ
تحاربنا العيون وهنَّ بيضُ
كلفْتُ بأغيدٍ باهي المحيَّا
ففتنتُ بطرفه، ورُميتُ فيه
وأشواقٌ وما للصب صبرُ
وفي أحشائهم قد شبَّ جمرُ؟
وتقتلنا القدود وهن سمرُ
بقلبي من شمول هواهُ سكرُ
فقال العاذلون: عراه سحرُ

لسان العشق

بروحي من لاحت فتاهت على البدر
لها غرةٌ غراء ما الصبح إن بدا
رنت بكحيلٍ مدنفٍ فسرى الشفا
إذا هاجرتني كان عسري بهجرها
لها مقلّةٌ تُدمي، وقد حكى القنا
ولي أعذب الصهباء من كاس ثغرها
لئن سترت عن مقلتي شمس وجهها
وقامتها السكرى بخمر دلالها
إذا ما انثنت تيهًا زرت أسلَ القنا
سكرت بخمر من كئوس لحاظها
ومذ جَرَحَتْ قلبي بصارم لحظها
فقالَتْ: وحق الجفن مني وسحره
فقلتُ: وما هذا؟ أجابت وقدّها

ومن عبقت من خدّها نفحة العطرِ
شبيهًا لمعناها، ولا كوكبُ الفجرِ
بسقمي، ولكن عدتُ في علة السحرِ
وإن واصلتني كان في وصلها يسري
فوا تلفي بين الصوارم والسمرِ!
ومن خدّها الوردِي لي أطيّب النشرِ
فحسبي شفافُ النور مما ورا السترِ
لقد أثمرت بدراً بدا في دجى الشعرِ
وإن أسفرت فاقت على الشمس والبدرِ
فكيف الهوى يخفى وفاضحه سكري؟
جنحتُ إليها راجيًا بلسم الثغرِ
أذقتُك صابَ الصدِّ إن لم تطع أمري
تمايلَ تيهًا: خذْ حولك من خصري

حوى من دلال حار في لطفه فكري
ألذ المنايا في هوى غادة الخدر
ولكن صدور جاء من حيث لا ندري
يكون جهولاً، غامض عند ذي الخبر
فعند الجفا يُبري وعند الوفا يبري
قلوب الورى وهو المليك مدى الدهر
ألا فانظري نحوي ولو كان بالشذر
أنين وأشواق، إليك الهوى العذري
فلا حاجة لي، صانك الله بالعمر
ومما اعتراني بالغرام عفا صبري
يحن إليك العظم من داخل القبر
فسم يا خئون السر صبراً على الهجر
جفاك برى جسمي فشف عن السر
وجودي فجودي بالوفا ودعى عذري
بوجهك، والضيقات جمع في صدري
بها الورد مغروس وماء البها يجري
كما أنني في حبك أوحّد العصر
بحبك لاقى اليوم مستصعب الأمر
على صبوتي، والعقل بالحلم والصبر

رعى الله ذياك القوام وصان ما
وفي حبها إن مت عشقاً أعش فما
وما العشق مفعول الجمال حقيقة
رواضح سر في الطبيعة عند من
إذا ما براك الحب يا قلب فاصطبر
لعمرك سلطان الهوى خضعت له
أيا منية القلب الذي ذاب بالجوى
خذى ما بقي مني فلم يبق لي سوى
إذا رمت قتلي في هواك تعمداً
فروحي قد راحت، وجسمي لك البقا
هبي مت عشقاً لست أسلوك فالمدى
تقولين لي: قد بحث بالسر ملعناً
أنا لم أبح بالسر والله إنما
أما منك إشفاق فإن النوى فنى
لقد جمع الله المحاسن كلها
ألا يا مهابة قد سبتني بوجنة
بعصرك أنت بالجمال فريدة
فيا منيتي عطفاً على مغرم شج
صبرت على ذاك الجفا منك فاحلمي

رثاء اقترحه عليه أحد أصحابه في حلب:

وعلى سنا ذاك الهلال الزاهر
وترقرقي يا دمعتي وتناثري
ذكر الفقيد تبادرت من ناظري
شقت على فقد الشقيق مرثري
وبدا على الأفنان نوح الطائر
حزن يمزقها كوقع بواتر

أسفاً على الغصن الرطيب الناضر
يا مهجتي ذوبي، ويا قلب اضطرم
لي في النوى نفس إذا ما هزها
كيف الحياة تطيب لي من بعد ما
وا حسرتها عليك ما هجم الدجى
يا من نأى عني فحل بمهجتي

ويناطُ بالماضي وداعُ الحاضرِ
وأليفُ أسراري، وملءُ خواطري
للقاك أفرأحُ ودقُ بشائرِ
يا نازلًا مني مكان سرائري
مذ جاذبتك يدُ الحتوف الغادرِ
أولادهُ فالفوز عند الصابرِ
تثقبُ ولكن ذاك حكمُ القادرِ
لأتيتُ من دمعي ببحرٍ زاخرِ
عرضُ يزولُ زوالَ يومٍ عابرِ
هذا استقرَّ، وذاك إثر الآخرِ
سيفَ الخطوبِ وفيه ليس بخاسرِ

ودّع أخاك بنظرةٍ قبل النوى
إن كنتَ غبتَ فأنتَ نصب لواحظي
في الأرض أترأح عليك، وفي السما
فسقى هزيمُ الودق رمسك والثرى
غادرت أطفالاً وقد يتمتهم
صبرًا عليه أيا قرينته ويا
أنتم فقدتم درّةً عصماء لم
لو كان يجدي الميت نفعا مدمعُ
ما العمرُ للإنسان في الدنيا سوى
كلُّ إلى بلد المنون مسافرُ
والصبرُ ترسٌ للفتى يلقي به

سقوط المتكبر

هل دام كبرُ أيها المتكبرُ؟
وإلامَ تنهى في الأنام وتأمُرُ؟
عينيه عنك، وعينُ ربك تنظرُ
وظننت أن الدهر لا يتغيرُ
أو هل عداك دمٌ بروع يهدرُ؟
حتى عرا الأيام منك تحيرُ؟
لما زرعت مطامعًا لا تثمرُ
دهر حماك وأمة تستهترُ
لكنما أهلُ النهى لا تعذرُ
خاروا غريبًا حار كيف يدمرُ؟
وهم الذين لكل عبدٍ حرروا!
وعلى الخليفة فضلها لا ينكرُ
يبدو، ومنها كلُّ نورٍ يظهرُ
عثرُ، وأيُّ قبيلةٍ لا تعثرُ؟

سلَّ كلَّ عصرٍ فالعصور تُخبِرُ
حاتمَ تطمعُ بالتسلُّط والعلا
جعل الزمان عماء هذا الجيل في
فمردت حتى صرت أكبرَ مارِدِ
هل فتنةٌ قامت ولم تك ربّها
أملأت كلَّ الأرض أهوال الوغى
وسقيت خيرَ الأرض خيرَ دم الملا
لا أعتبنَّ عليك بل عتبي على
والدهرُ يُعذرُ فهو يحمي سرّه
قومٌ لهم دأبُ الفلاح فكيف قد
عجبًا لهم أنى عتوا وتعبدوا
ذي أمةٍ فضلت وسادت وارتقت
منها التمدُّن والتهذُّب والهدى
لكن قضاءُ الله لما جاءها

هل يبخسُ الياقوتُ إذ يتغبرُّ؟
عجباً؛ فسوءُ الأصلِ منه مقرَّرُ
وبمالها قد كان سرّاً يتجرُّ
وعلى مذلتِه ستروي الأعصرُ
والله مثلك لا يسودُ ويقدرُ
فلكي يعيدُ بلاك أمراً يذكرُ
وغدا انقلابك عبرةً لا تعبرُ
عجباً فذا طبعاً لتلك يكدرُ!
من لم يكن من ركنهم فليصبروا

ما ضرَّ رونقها اغبرارُ ينجلي
قد خانها ذاك الغريبُ وليس ذا
وأضلَّها وأذلَّها وأقلَّها
بل ما أذل بذاك إلّا نفسه
بنس الخيانة منك يا رجل الدها
وإذا تغاضى الدهرُ عنك بسؤدٍ
ها قد سقطت سقطت فأبشُرْ بالردى
كدَّرت نورَ الناس بالنيران وا
هذا نصيبُ معاشرٍ ركنوا إلى

هواجس

ودمعُ بأسواقِ العقودِ تسعراً
فراحَ على البلوى يسيم التصبُّرا
تصولُ على كلِّ، ولو كان قيصرَا
وذو الحسن سلطانُ يصول على الورى
ولا لذّةٌ في الحبِّ إلا لمن درى
وطيفُ تراعيهِ العيونُ ولا كرى
به خفرُ أجرى من اللطف عنصرَا
وإن نظرت سلّت من اللحظ أبترا
فجاذبَنُ قلبي للهوى فتفطرا
فلاحَ لدى الأبصارِ أسمرُ أحمرَا
جنتُ أعيني منه شقيقاً وعنبرَا
على قدّها أبدت من الفرق نيرَا
ويا حسن غصنٍ بالشمائل أزهرَا!
نظرت ضياءً بالظلام تسترا
حياءً فبرقُ الحسن من ديمة سرى
لشكل جمالٍ في الفؤادِ تصورا

فؤادٌ على نارِ الوقودِ تسعرا
وقلبٌ على الأوصابِ قلْبُهُ الهوى
وما الحبُّ إلّا سلطنةٌ دمويةٌ
صدورٌ له الحسنُ الطبيعيُّ مصدرُ
وليس لكل الناس صبرٌ على الهوى
وصالٌ ترجيه القلوب ولا لقا
وغيداءٌ أضحى وجهها معدنَ البها
تهزُّ من الأعطافِ سمرًا إذا انثنت
عيونٌ توارت كهرباء الصبا بها
تحلّل نورُ الحسن فوق خدودها
ومذ لاح روض الحسن من وجنّاتها
إذا ما غدا ليلُ الغدائر غاشياً
سبتني بعطفٍ لاعتبه يد الصبا
فإن لاح من تحت الغدافِ جبينها
وإن بسمت ألفت يدًا فوق ثغرها
حياءٌ هو الجزءُ المتممُ صورةً

وثقتُ بها إذ عاهدتني أنها
على ذلك الميثاق حمّل ذو الهوى
فغيّرت الموضوع إذ نفيت الوفا
إذا حسبت حفظ الوفا عرضاً له
رأت أن طول الهجر يُفضي إلى القلى
ولكن قضى بالبعد ما بيننا القضا
وأصلى غداة البين في كبدي الجوى
فلما رأيت العيس يجهدا النوى
وقفتُ على تلك الطلول وأدمعي
تذكّرت أيام اللقاء وأنسها
ومذ سارت الأحداج بالغيد والدمى
فيا قاتل الله الفراق فقد غدا
لقد فصمت أيدي البعاد عرى اللقا
فوا أسف العاني على الزمن الذي
وكم بت يا عشاق للأوج راصداً
صبرتُ على دهر أتاح لي الردى
وهيهات أن يرجي من الدهر للفتى
وكلُّ امرئٍ طوراً يكون ميسراً
زمانٌ غدا للناس دائرة الضنا
وأخبت أدهار الورى دهرنا الذي
فما حيلة الإنسان إن كان دهره
لحا الله عصرًا صار في الشرق مظلمًا
يظنُّ الفتى أن الغنى عضدُّ له
فكم بليدٍ أشقى فبلبل بابلًا
ولا أسوة بين الأنام فبعضهم
وهذا أديبٌ ينظم الشعر مطربًا
وما الشعر ما جاءت عليه «مفاعلن»

تصون الولا، لكنما الغدر قد جرى
نمائمًا أبى إلا الثبات الموقرا
ولكن أبى المحمول أن يتغيّر
زوال، فعندي ذاك يحسب جوهرًا
فجادت بوصل كنت أرجوه في الكرى
فبانث فأضحى جمع صبري مكسرا
لهيبًا أعاد الجفن كالسحب ممطرًا
وشمت غزال الحي سار مع السرى
تطل، وأحشائي تذوب تحسرا
فهمت، وكم صبَّ يهيم تذكرًا!
رأيت بدورًا في بروج على الثرى
لقلبي وللحساد صبرًا وسكرا
ومن عادة الأيام أن تفصم العرى
به قد جنى غصن المحبة مثمرًا
بذاك النوى، والقلب يصبو محيرا
لعلمي أن الدهر لن يتصبرا
صفاء إذا كان الزمان مكدرًا
يجول على النعمى وطورًا معسرا
يمرُّ بها قطر المنون كما ترى
به قد رأينا كل خطب مدهورا
يجيش عليه من بلايا عسكرا
وفي الغرب قد أضحى بهيًا منورًا
ولم يدّر أن الدهر يهوى التدمرا
وصادم صادومًا، ودمر تدمرًا
يسود القرى، والبعض يحتاج للقرى
وذلك قدم لن يذوق ويشعرا
وكان به «طي» و«خبن» تعذرًا

إذا لم يكن للشعر معنًى ورقّة
وكم شاعرٍ في نظمهِ خللٌ فمن
فليس به من لذةٍ للذي قرا
كلامٍ بلا وزنٍ وعجزٍ تكررًا

الوداع

جاءت لنا بوداعها إثر السرى
رحلت فراح القلب يحدي ظعنهما
ورنت بطرفٍ ملؤه غصص النوى
قربت فكانت في الفؤاد ندى ومذ
والشمس يخمد بالدنو سعيها
دمعي جرى بفراقها دُرّاً وقد
حدّق إذا ما النوء ضنّ تبادرت
وبمهجتي من أودعتني سرّها
هيفاء هزّت أسمى من قدّها
أبدت هلال الحسن قامتها وكم
ولكم أبانت روضةً للعين في
فخدودها تُبدي لعيني جنّة
هي مظهر الحسن البهيّ ومخبّر الـ
فبطلعةٍ بيضاء لاحت عبلةً
يا نسمةً من أرض نجدٍ قد سرت
ولأنت يا برقًا تألّق في الدجى
خُشفَ لهنّ الطرف راعٍ والحشا

تلك التي بخلت بطيفٍ في الكرى
فمتى يعاودُ بالتلاقٍ مبشراً؟
فأنا قتيلٌ نوى وطرفٍ أحورا
بُعدت غدت نارا به فتسعرا
ويشبُّ إن بعدت فتضطرم الورى
جاء العذول يقول لي: ماذا جرى؟
عبراتها تسقي الحقائق والثرى
يوم الوداع وغادرتني مشهرا
ومن العيون النجل سلت أبترا
يحلو لذي الأبصار غصنٌ أثمرا
وجه من النور البديع تصوّرا
ورضابها يهدي فؤادي كوثرًا
لُطف الشهي ودرّة لا تشتري
وبمقلّة سوداء راحت عنترا
هيجتٍ وجدًا دونه نارُ القرى
كن عن ثغور أحبتي لي مخبرا
مرعى فكلّ الصيد في جوف الفرا

صباح الخير

قل: يا صباح الخير صباح وجه من
غيداء قد لعب الصبا بقوامها
يتموّج الحسن البديع بوجهها
تمحو بطلعتها دجى الأكدار
فتمايلت كالغصن والخطار
كتموّج الأنوار في الأقمار

وغزالتني، لا بل ضيا أفكاري
وجناتها لي أطيّب الأزهار
أجني ثمار الوصل في الأسرار
يرنو إليّ كراقب متوار
مثل الغزالة حامل الأنوار
إكليل زهر فاح كالمعطار
روحي وقد رنت به أشعاري
ظفر عليّ، فكللي بالغار
شوقاً إليك وأنت ذات نفار
إلا يعود بحيرة المحتار
تية السرى في سبسب غرار
وتدوس قلبي أرجل الجبار
متوقف كالنور فوق النار
أرجو معانقة الخيال الساري
لهب الزفير ومدمع مدرار
منها الدموع تبادر الأمطار
مُ فهاج بركان الزفير الواري

هي بغيتي، لا بل مليكة مهجتي
من ثغرها لفمي الذُّ طلاً ومن
كم ليلة قد بت وهي نديمتي
والنجم مشغل بنقب الغيم كي
تعطو بجيد كالغزال وجهها
وعلى بهي جبينها قد لاح لي
يا ربّة الحسن الذي سجدت له
كللت رأسك بالزهور وأنت في
يا طول ليل قد أطلت به البكا
ما فاز طرفي من سناك بنظرة
تاهت بي الأشواق في قفر الدجى
فكأنما أسد السما يبغي دمي
وخيالك الوهمي فوق نواظري
ألقي يدي على الخلاء كأنني
واها فلا شيء أعانقه سوى
فالشوق أملأ أعيني فتبادرت
وعلى حشائي برجله ضرب الغرا

وقال:

فغدا عقلي على سفر
غادرت قلبي على خطر
كبيدي بالغنج والحوار
بمياه الحسن والخفر
بسمت كنزاً من الدرر
ولكم للحسن من ظفر!
وأنا في الناس ذو نظر؟
ببديع المنظر النضر

أقبلت تسفر عن قمر
غادة هيفاء إن خطرت
وإذا ما نظرت سلبت
جلّ من ضرّج وجنتها
ثغرها يهدي المتيم إن
ظفرت بالعقل طلعتها
كيف لا أعشق منظرها
ما بدت إلا لتسلبني

لعب اللطفُ بمعطفها
 قدُّها يزهو بميلته
 والهوى لولا صفائرها
 ذاتُ فرعٍ قد رأيت به
 وقوامٍ لم يشنه سوى
 فسواها لا أروم ولا
 كم أتتني بالدلال فكم
 أرتجي القرب فتبعُني
 إن أكن أعتب فهو على
 قربت أو بعدت هي لي
 زادني إعراضها شغفاً
 بهواها ذقت كلَّ أسى
 ليت لي خلاً يساعدي
 لو ترى للخير من مائة

فانتنت تشكو من الأثرِ
 زهوة الأغصان بالثمرِ
 ما قضيت الليل بالسهرِ
 غيباً يعلو على قمرِ
 أنه يهتز كالسمرِ
 يرتجي الأعمى سوى البصرِ
 أودعت قلبي من شرر!
 وإذا استنجدتها تجر
 أعيني والقلب والفكرِ
 منتهى الآمال والوטרِ
 هكذا شأن هوى البشرِ
 وعلا الشيب على شعري
 أو يرى ألا يرى كدري
 واحداً لم تخش من ضررِ

وقال إلى صاحب له:

ما أومض البرق إلا أومض البصرُ
 وما سرت نسمة الأسحار نافحةً
 تهتاج وجدي ورق الدوح إن صدحت
 والحبُّ حربٌ لها نارٌ تثور على
 لا أشكون الهوى العذري إن عبثت
 هيهات يأمن من غدر الجمال فتى
 وطلعة الحسن إن لاحت لعاشقها
 بالنفس حسناء تحييني إذا نظرت
 لمياء تزهو بنسرين يكلله
 وتنثني بقوام زانه مِيلُ
 قد هداه الصبا عجباً وذا عَجَبُ

إلى منازل من سَكَّانها القمرُ
 إلا وقلبي بنار الشوق يستعرُ
 وكم أهيم إذا ما غرَّد الوتر!
 كلُّ القلوب، ومن أجنادها الفكرُ
 صروفه بفؤادي؛ فالهوى قدرُ
 يخونه الصاحبان: القلب والنظرُ
 يطوِّ التصبُّر، والأشواق تنتشرُ
 نحوي، ويقتلني من طرفها الحورُ
 وردٌ تجلى عليه النرجس النضرُ
 منه تبدَّى لعيني الليلُ والسحرُ
 فالغصن يهدي ولا يهدى له الثمرُ

وطرفها فيه يجلى الشوق والخفرُ
إذا بدت وهو في قلبي له شررُ
ولذّة الحبّ حين الوصل يُنتظرُ
لجّ الفضا وشرعُ النور منتشرُ
سطح السماء، وزوايا الأفق تزدهرُ
يوماً، ومما يصيبُ العاشق الحذرُ
من ذلك الهجر حتى كاد ينفطرُ
بالعهد تسكّبُ من آماقها غدرُ
رثى لجرح فؤادي بالهوى الحجرُ؟!
مني، وها اليوم عمداً جئتُ أعتذرُ
فليس يرحل حتى يرحل العمرُ
لو يحمل الصخر منه البعض ينفجرُ
وفي الحشا نارُ «إبراهيم» تستعرُ
ظرفاً به كلُّ ظرفٍ راح ينحصرُ
دوماً، ومنه مياهُ اللطف تنحدرُ
من تالدٍ وطريفٍ فهو مفتخرُ
أتى بها الشاهدان: الخبرُ والخبرُ
ضعفُ العزيمة والمفضالُ يقتدرُ
لم تستطع فعله الأسيافُ والسمرُ
حتى تعجّبتِ الجوزاءُ والزهرُ
طرفي برصدك قد أضحى له وطرُ
لما صفت، فاصطفتك البدو والحضرُ
تبدو فيغشى محياً وجهها الخفرُ
ريحُ الصبا ما بدا في الروضة الزهرُ

يميلُ سكرًا بخمر الدلّ معطفها
يبدو على الخدّ منها للحياء ندَى
كم ليلةً للقاءها بتُ منتظراً
تأتي وشهبُ الدجى كالسفن تسبح في
والبدرُ يرسمُ شكل الدائرات على
أحاذرُ الصّدّ إذ بالوصل تسمح لي
ما زال يحملُ قلبي كلَّ عائدةٍ
يا غادةً غادرت عينيّ مذ غدرت
أما رثى قلبك القاسي لسقمي إذ
إن كنتُ أذنبتُ ذنباً فهو عن خطيٍّ
أنأخ حبك في قلبي مطيته
فكم تحملتُ من تلك المحبة ما
دمعي كطوفان «نوح» سال منهمراً
أخو ودادي من أضحت سجيّته
ندبُ به الفضل قد قامت دعائمه
يزهو على الناس في علم وفي عمل
له على فصله والفضل بينة
يسعى إلى الخير سعياً لا يخامرُه
وربّما القلمُ المبريُّ يفعل ما
رقت إلى أفق النعمى مراتبه
يا كوكباً بسماءِ الودّ مركزه
شاعت صفاتك في عربٍ وفي عجم
إليك مني أيا مفضالٍ جاريةٍ
تهديك نشرَ سلامٍ راح ينشرُه

وقال:

وقلّما كان قلبٌ ما به نارُ

الحبُّ في القلب نارٌ لا خمود لها

أستودعُ الله رُوحِي فِي محبتكم والموتُ فِي الحبِّ لَا عيبَ وَلَا عارَ

ثمر الصداقة

وبعض نفوس العاشقين بها كبرُ
وربَّ وفاءٍ كان أحرى به الغدرُ
وما كلُّ ذي ذنبٍ يقوم له عذرُ
ولا ذنب للمحبوب إلا له غفرُ
ومن ضلَّ في كفر الدجى يهدى الفجرُ
إذا المرءُ يرضى العسر فهو له اليسرُ
وإن طاب حالٌ للفتى يطبُ العمرُ
ولا شك في الألاحظ قد وُجدَ السحرُ
وكم لذَّ من عين الحبيب لي الشذرُ!
ومن لم يمُت في الحبِّ ليس له أجرُ
وقنع الفتى يجنى به التبرُّ والدُرُ
وخيرُ لمن يسلو الهوى الموتُ فالقبرُ
لما لمتني، واللومُ يا صاحبي مرُ
وقد تفسدُ الأفهامُ إن فسدَ الذكرُ
وإنَّ الهوى جنسٌ وأنواعه كثيرُ
وفي الوصل ما تحيا النفوسُ وتنسرُ
وكم ساهرٍ في الليل ساهره البدرُ!
وأصعبُ شيءٍ في الهوى الصد والهجرُ
شهود الهوى: الأسقام والدمعُ والزهرُ
وقد قلَّ من يُخفي بجانبه السرُّ
إذا ما استوى بين الورى السرُّ والجهرُ
وربَّ رضيع كان داءً له النذرُ
رعى الله عيناً دأبها الفتك والأسرُ!
مقايسةُ الأحباب ما مسها ضرُّ

أطارحُها وجدي فتلوي فأزورُ
وأرجو الوفا منها فتظهر غدرها
تراني على غيظٍ فتبسطُ عذرها
وها إنني راضٍ بما هي ترضي
ضللت ولكن قد هداني جبينها
رضيت بضيم العسر في عيشة الهوى
وما عيشة الخالي بحالٍ يطيبُ لي
مهاةُ تريك السحر في لحظاتها
إذا نظرت شذراً إليَّ أهما جوى
تعشقتُها حتى قضيتُ محبةً
بلثم ثناياها قنعتُ وخدَّها
أنا لست أسلو حبها وجمالها
أيا عاذلي، لو كنت تفهم ما الهوى
ففهمك في ذكر السوى هو فاسدُ
تميل نفوس الناس طبعاً إلى الهوى
رعاها إلهي كم حبتني وصلها
وقد ساهرتني والكواكب طلَّعُ
وقد هاجرتني لا ملألاً تدللاً
فها بعثها رُوحِي وما احتجت شاهداً
وأخفيتُ سرَّ الحب حتى عن الصبا
ولا نفَعَ للإنسان في كتم سرِّه
رضعتُ هوى ذات الجمال فمضَّني
لقد أسرتُ قلبي بعين كحيله
من الغصن حازت ميله وهو لينها

لها طلعة غراء تزهو كأنها
صحيح مقال يسبق القول فعله
يصون ويرعى حرمة العهد والوفا
لبيب، زكي العقل، ذو فطنة جلا
وفكر له كالبرق يسرع حدة
فمن ذهنه نار، ومن فمه ندى
وإن يبك أهل الشح ضاحك سح
توهم قوم أسوة لهم به
ومن رام يحذو حذوه فهو عاجز
ولا أسوة للناس إلا إذا استوت
ولولا ذوو الراحات أين أخو الغنى؟
ثلاثة أشياء يسود بها الفتى
ألا أيها الحاؤون كل شهامة
وها حلب الشهباء روض، وأهلها
فحق لكم ما الأفق لاحت نجومه

وقال:

قتلًا دعا هممي لأخذ الثار
ما بين أشواقي ونزع العار
قد عدت أنت مكللاً بالغار
يا من كساه الحسن بالأنوار
منك الجفاء محملاً بنفار
كبدي سكت، وجلت في أفكاري
يحكي أخا هلع مريد فرار
ألقي خيالك فيه وهو الساري

قتلت لحاظك يا غزال تصبّري
ولذا بدت في القلب معركة الهوى
لكنّما الأشواق قد غلبت وها
فاحزن على ضعفي، وراع تخشعي
لا سلوة لي عن هواك ولو بدا
هيهات يشملني السلو وأنت في
ما لي أرى قلبي لصدري قارعاً
لم أدر من سبب سوى أنّ الهوى

وقال إلى صديق له:

علامة الشوق

بنير الكاس، وأصغ للوتر
مُدَّتْ إلى قطفها يدُ الكبر؟
وابتسمت بالندى عن الدُرِّ
لما شدا العندليبُ في السحرِ
في جيبها طيبَ نفحة الزَّهرِ
نهب الصفا نقضَ لذة العُمُرِ
لأفك أزارُهُ من الكُرِّ
كنرجسٍ في حدائقِ خُضرِ
بأنجمٍ لم تغبَّ عن البصرِ
على الفضا بين أنجمٍ كُثُرِ
تُبدي لنا رسمَ أفخر الصُّورِ
نحر الدُّجى، ثم صاح بالظفرِ
أعلامه فوقَ رؤوس الشجرِ
تجري إلى الغربِ وهي في دَعْرِ
يرمي الروابي ببندقِ المطرِ
كلُّ البرايا لخدمة البشرِ
بدُّ فلا تخشَ سطوةَ القدرِ
واغنمَ زمانًا صفا من العكرِ
وزنبقِ نافحِ الشذا عطرِ
كالشمس ما بين أنجمِ زُهرِ
أبدت من الغصن طلعة القمرِ
إلا غدت مهجتي على خطرِ
ترمي نبالَ الفتورِ والحوَرِ
نشرخَ لكم سرَّ ذلك الخفر؟

قم بكرةً، واجلُ ظلمة الكدرِ
واقطف زهورَ الصبا ألسنت ترى
في روضةٍ قد زهت بسندسها
فيها غصون الأراك قد رقصت
سرت نسيم الصبا حاملةً
فانهض بنا يا أبا السرور إلى
أما ترى النورَ كالوشاح غدا
والشهبَ في قبة السماء بدت
قد ظلَّ قطبُ الشمال مزدهراً
والأرض تجري بنا كمركبةٍ
أشعة البدر في الغمام دجى
حتى انتضى الفجرُ سيفه وفرى
دُقَّتْ طبولُ الصباح وانتشرت
والليل قد هارَ، والنجوم غدت
والقوس بالسحب عاد في أُصلِ
يا صاح، سبَّحُ بحمد ربك إذ
إن لم يكن عن قضاء ربك من
ولا تُضعُ فرصة الشباب سدى
ما بين وردٍ ونرجسٍ خُضِلِ
وخمرة إن مزجتها ظهرت
من كف غيداء إن تمسَّ وتلخَّ
هيفاء تحكي الرماح ما خطرت
سكرى بخمر الدلال مقلتها
قد كتب الحسن في الخدود: ألم

منديلة؛ كي تصون لي بصري
 ذلي، فإن أستجر بها تجر
 والفجر، يا حسن ذلك الثمر
 لعاهل الطرف قوس منتصر
 تصبر هو؟ قلت: لات مصطبري!
 عقلي وصبري وقيدت فكري
 إن كنت أذنبت فالهوى عذري
 عيني دموعاً جرت على أثري
 دمعي، وذو الدمع غير مستتر
 يا من روى قلبها عن الحجر
 تخفي أعاجيب حسنك النضر
 فكان حظ الإناث كالذكر
 قبيل أركاس دولة العمر
 فاجليه للعاشقين وافتخري
 إن الهوى للخطوب كالجسر
 فيه اغتنمنا الوصال وافتكري
 وكان قلب الحسود في شر
 منها سوى الذكر فهو لم يطر
 ما عنك غصيت ساعة نظري
 بال ولو جرت شاسع البحر
 من حوّلت وردها إلى الصّدر
 بنظرة، هل بذاك من ضرر؟
 قلب بنار الغرام مستعر
 ما بيننا صار فاقد الخير؟
 فالحسن للود غير مفتقر
 روعي فهل عاد دارس الأثر؟
 يرجو محالاً يقيد للكدر

تلقي على وجهها إذا ابتسمت
 تاهت بعزّ الدلال إذ نظرت
 قد أثمر البدر غصن قامتها
 وشيد الله من حواجبها
 قالت: ألا يا أبا الغرام ألم
 أفديك من ذات طلعة أسرت
 حتام ذا الهجر يا معذبتني؟
 درست حباً وطالما سفحت
 أخفيت سرّ الهوى فباح به
 بالمعطف اللين ارحمي سقمي
 زحى عن الوجه ذا الخمار ولا
 العين والقلب في الهوى استويا
 أبدي البها كي تصول دولته
 والحسن كالعقل قلّ صاحبه
 قد ذقت في الحب كل نائبة
 بالله يا منيتي اذكري زمناً
 أيام روحين كنا في جسد
 والآن طارت ولم يعد بيدي
 بالأمس قد كنت تعبتين إذا
 واليوم لا يخطر ذكرى في
 بمن تعوّضت عن محبّك يا
 جودي على المغرم القديم إذن
 ما من محبّ ترين مثلي ذي
 هل الوداد الذي انتشا ونما
 لا يجمع الحسن والوداد معاً
 أين الوصال الذي به انتعشت
 من يرج حالاً له تدوم فذا

رجوتُ دَوْمَ اجتماعِ شمليّ معَ
ذاك الحبيب الذي نأى فرمى
بقربه القلب في النعيم لقد
ودَّعْتُهُ والفؤاد ودَّعَنِي
مذ سار جاء الحسود يشمت بي
يا بين حمَلْتَنِي عدمتكَ ما
قد حَلَّتْ بيني وبينَ من شهدت
نجل الكرام الذين فطرتهم
سليلاً أصل، جليل طائفة
قد اكتسى العقل والذكا وزها
سألتُ طولَ اللقا له زمناً
يا نائياً قد تركتَ قلبي في
ما كان ذاك اللقا سوى حُلُمٍ
سهم النوى قد رمى الفؤاد ولو
شوقٌ أنينٌ تفكُّرٌ سهرٌ

خلُّ حبيبٍ، فلم أنل وطري
فراقه مقلتي بالسَّهرِ
ثوى، وبالبعد صار في سقرِ
وراح إثر الحداة في السفرِ
والبيدُ يعجبُنْ؛ كيف لم أسر؟
إن يحمل الطودُ بعضه يغر
بلطفه العذبِ نسمهُ السَّحر
قد ركبت من أطائب الفطرِ
والأصلُ يغني الفتى عن البدرِ
بالظرف واللفظ وهو في الصغرِ
جاد به، فاستجاب بالقصرِ
نار اللظى، والعيونُ في غدر
قد مرَّ في هجعةٍ من الدُّجر
أخطأ الكرى قلتُ: في المنام زُر
لي بعد ذا البعدِ، فاستمع سيرِي

وقال:

صن العلمَ إن جالستَ ذا الجهل في الصدرِ
فليس يلدُ العلمُ إلَّا لمن يدري
أُطربُ آذانَ الأصمِّ مغرِّدٌ
وهل لذِّ للأعمى سنا طلعةِ البدرِ؟
وما العلمُ عند الغمرِ إلَّا فضالةٌ
ومن أفضل الأشياءِ عند أخي الخبر
هو الدهرُ ميدانِ الثراءِ وذا ثرى
وفيه خيول الجهل طول المدى تجري
ومن كان ذا مالٍ ولم يكُ عاقلاً
فذاك حمارٌ حمَّله من التبرِ

ومن أحسن الأشياءِ علمٌ مع الغنى
ومن أقبح الأشياءِ جهْلٌ مع الفقرِ
يُعَيِّرُنَا بالعلم قومٌ وإننا
نرى ذلك المعيارَ ضرباً من الفخرِ
أخو اللبِّ إن لم يتحفِ الغمرَ حلمه
فهل لأولي الألباب فرقٌ عن الغمرِ؟
أرى العقلَ مرآةَ الطبيعةِ إذ بهِ
نرى صُورَ الأشياءِ في عالم الفكرِ

وقال:

لا تكلِّفْنِي القراءةَ إني هائمٌ في هوى الغزال النفورِ
فإذا ما فتحتُ يوماً كتاباً طاف طيفُ الحبيبِ بين السطورِ

وقال وهو في روضةٍ بحلبٍ يقال لها «الغوري»:

غار جيشُ النسيم صبحاً على الغا ر بروض «الغوري» فاهتز ذعراً
إنما الورْدُ في ظُبَا الشوك قد فا زَ عليه وحاز فتحاً ونصرأ

وقال ملغزاً:

من ذا يقيق من الجفونِ أو الحور؟ لا مهرّبٌ للناس من سيف القدرِ
صبراً على ما قد عراك من الضنا والصبرُ يحلو للفتى عند الكدَرِ
حلَّ الهوى، رحل النهى، جاء الجوى نأتِ القوى، مات الكرى، عاش السهرُ
ومهففٍ أَسَرَ الغزالَ إذا رنا وبوجهه فتن الغزالةَ والقمرِ
حلوُ المقبَلِ بكرةً، مرُّ الجفا رخصُ المعاطف، قلبه مثل الحجرِ
بدرٌ أتى باسم رباعيٍّ بهِ صغرٌ وفي كبر الوغى هو مشتهرُ
إن تبغِ تصحيحاً لمهمله تشمُ منه اسمُ شيءٍ في البطون قد استقرُ
احذف ثمانيةً وصحَّف بعدها فتراهُ من شجر الكروم قد اشتهرُ
واقسمه تلقَ النصف منه ماضياً والنصفَ بالتصحيف تهواهُ البشرُ

وقال:

خطرت تميمس كغصن بان غادة
وتبسمت، فالدرُّ ذا أم تُغرُّها؟
كُسيَتْ بأثوابِ المحاسن والبها
غارَت طباءُ البِيدِ من لفتاتها
وعن الترائبِ كم يشفُّ قميصها
رعوبةٌ قد أخلجت ريم الفلا
نفثاتها أذكى شذاً من روضةٍ
في وصف طرَّتْها سردتُ قصائدًا
لما سقى ريعُ الصبا أعطافها
غازلتها فكسا الحياءَ حدودها
ولقد تمشَّى حبُّها بأضالعي
وقد اتشحتُ به سراويل الضنا

وقال:

لا تعتبني الدهر إن يك غادراً
وخذِ التصبرُ في المصيبة مسعفاً
بكَ فهو من عاداته أن يغدرا
ودعِ الأمورَ إلى الذي خلق الورى

الصبر

صبورٌ على البلوى ولو لم يطل صبري
ألَمَّتْ بي النكباءُ من كلِّ جانبٍ
أفاطم، لو تدرينَ بعض صبابتي
أزدتِ الجفا لما رجوتُ الوفا فإن
يُضيغُ الهوى رشدي إذا ما انجلت لي
رعى الله هاتيك النهودَ فإنها
فسبحانَ مَنْ قد زَيَّن الحسن منك إذ
لما أمكن الواشي لمثلِك أن يُغري
فمنكِ ومن واشي الهوى ومن الدهرِ
لأدهشكِ الصبرُ الذي لي على الهجرِ
يكن ذاك ذنباً لي فإنَّ الهوى عذري
فأنشدُه بين الترائبِ والنحرِ
كواكبُ بلورٍ على أفقِ دُرِّي
خلقت بلطفِ الدَلِّ ياربَةَ الخدرِ

ولو كان ميلُ القلب للحسن وحدهُ
إذا ما اجتلاكِ الفكرِ كادت قريحتي
وإن مثلكِ العينِ كادت بمهجتي
فيا نزهةَ الأبصارِ، زيحي اللثامِ عن
صَبَتْ لمحياكِ الغزالةُ في السما
أميلي أميلي لا عدمتكِ قامةُ
بعيشكِ كَفِّي رُسْلَ لحظكِ فترةً
ولا تجعلِي ذاك الدلالَ مُطوَّلاً

لكان هوى التمثالِ أحرى لمن يدري
تطيرُ إلى «الشعري» بأجنحة الشعرِ
تهبُّ رياحُ الشوقِ مني إلى البدرِ
جمالكِ فهو البدرُ، أو كوكبُ الفجرِ
وصيبتُ بعينيكِ الغزالةُ في القفرِ
حكّت أسلاتِ البانِ في روضةِ الزهرِ
فما هُنَّ في ديني سوى رُسْلِ السحرِ
فربَّ دلالٍ يقتل الصب كالهجرِ

وقال:

يا صاح، لا تكِ بالعلياءِ مفتخرًا
إني أرى شجر الصفصافِ مرتفعًا
ولهُ لغز في عشق:

ما اسمُ إذا مات منه آخرهُ
مخزولُ محذوفهِ لكلِّ فتًى
دعا بعيش، وعاش طائرهُ
ودُّ وحبُّ وذاك سائرهُ؟

وقال تاريخًا يُنقش على قبر «ميخائيل أديب» في «أنطاكية»:

هذا ضريحُ فيه «ميخائيل» قد
هو كوكبُ بالأمس كان على السهي
أسفًا عليه فهو غصنُ يانعُ
فاسكبْ دموعك أيها الغادي على
إنَّ المنيةَ مثلَ ليثٍ ظالمِ
يا قبرُ، حزتَ ابنَ الأديبِ فلا تكنِ
فالموت هذي الحالُ أرخْ دأبهُ

أضحى طريقًا فاندبوهُ يا وري
يعلو فغار اليومَ في جوف الثرى
قَصَفَتْهُ أيدي الموت من أعلى الذرى
رمس الوحيد، ولا تَسْلُ عمَّا جرى
تطسُّ الكبير ولا تعاف الأصغرا
بنواهُ ذا طمعٍ لئلاً تخسرا
واعلمْ بأنك قد ضُمنتَ الجوهرا

ظهور الغرام

لما رأتك، فصرت شغلَ ضمائري
 بدمي، وقد كَمَنْتُ بكلِّ عناصري
 عَقِبَ اتفاقِ دمٍ شعاعُ أوامرِ
 غادرته ملقى صريعَ محاجرِ
 سرَّ الهوى؛ خوفَ النفارِ القاهرِ
 فأبان ما أخفاه قلبي ناظري
 وجرى عقيقُ دمي بدمعي الهامرِ
 وشغلتِ أفكارِي وكلَّ خواطري
 قلقًا كطيرٍ بين أيدي ناجرِ
 فأذاعه لذوي الصبابةِ ظاهري
 لانكفَّ عن عذلي وأصبح عاذري
 قد أتلفت كبدي بوقعِ بواترِ
 احفظ فؤادك من عيون جآذرِ
 بين الجوانح قيطَ شهرِي ناجرِ
 كالبدر تزهو فوق غُصْنِ ناضرِ
 جعلَ العقيقَ مرصعًا بجواهرِ!
 برء العليل به وورد الصادرِ
 بالقارظينِ وذاك مُعجز ساحرِ
 كبدي بسيف الطرفِ سطوة كاسرِ
 خلُق الخلي، فويح جفني الساهرِ!
 لا تحسُن الأنوارُ تحت ستائرِ
 أرعى الهوى، وخيال طيفك زائري؟
 والفكرُ في الخلوات خيرُ مسامرِ
 نحو الغروبِ بجيشه المتقاطرِ
 حوض المغيبِ بماءِ تبرِ زاهرِ
 وصبت إلى لقياك كلَّ خواطري

سكبتُ على قلبي الغرامِ نواظري
 وحرارةُ العشق الخفيّ تشعشت
 من مقلتيك هدت فؤادي للهوى
 أفديك بالقلب الذي في الحبِّ قد
 ما زلتُ أشغلُ عنك طرفي مخفيًا
 حتى نظرتُ عليك سيماءَ الرضا
 هامت بوادي الحبِّ كلُّ جوارحي
 أشعلتِ أحشائي بنيرانِ الجوى
 وتركت قلبي بالغرامِ معذبًا
 أخفيتُ سرَّ تشوُّقي في باطني
 لو كان يُدركُ قَدْرَ وجدي عاذلي
 ويلاه من تلك اللحاظِ فإنها
 كتبَ الجمالُ على عيونك هكذا:
 ما فزتُ منكِ بنظرةٍ إلَّا أرى
 فلقد حباك سنا الطبيعة بهجةً
 ناديتُ حينَ رأيتُ ثغرك: جل من
 رَوَّى فؤادي من لَمَاكِ فذا اللَمَى
 قد ألحقتُ عيناكِ حسنَ تصبُّري
 وسطا جمالِكِ يا سنا قمرِ على
 لكِ أعينُ تهوى الكرى أبدًا وذا
 حتامَ تخفينَ اللحاظَ بأجفينِ؟
 كم ليلةٍ قد بتُ منفردًا بها
 ولسانِ فكري عنكِ يروي في الخفا
 فإذا رأيتُ الشمسَ يطردُها الدُّجَى
 ويدُ الأصيلِ طلَّت جبين الأفق من
 حنَّت إلى مرأىِ خدودكِ أعيني

إِلَّا وَكَادَتْ أَنْ تُشَقَّ مِرَائِرِي
أَبَدْتُ لَهَيْبَ الشَّوْقِ فَوْهَةً نَاطِرِي
بِقَوَى الدَّلَالِ، وَمَا سِوَاكَ بِقَادِرِ
أَسْرَ الْعَبِيدِ فَهَا خَضَعْتُ فَأَمْرِي
قَوْسَ انْتِصَارٍ لِلْجَمَالِ الظَّافِرِ
أَعْرَضْتَ عَنِّي كَالْغَزَالِ النَّافِرِ
أَمَلْتُ طَوِيلٌ بِالْوَصَالِ الْغَابِرِ
وَعَلَى الرَّجَا تَرْتَاخُ رَوْحُ الصَّابِرِ
وَادِي الْغَرَامِ هَيَامٌ صَبٌّ حَائِرِ
غَدِرٍ فَحَازِرٍ شَرَّ هَذَا الْغَادِرِ
إِلَّا الْعَنَا مَنْ سَارَ إِثْرَ الْعَاثِرِ
سَيَكُونُ بَيْنَ مَخَالِبٍ وَأُظَافِرِ
عَهْدِ الْوَلَا أَوْلَاكَ صَفْقَةً خَاسِرِ
وَادْفَعْ بِصِمْتِكَ عَنكَ هَذَرَ الْهَازِرِ
صُورَ الْبِوَاطِنِ، فَاخْشَ نَقْدَ الْخَابِرِ
لَا تَسْتِرِ الشَّعْرَاءَ هَفْوَةً شَاعِرِ
حَكْمُ الْغَبِيِّ، وَرَفْعُ شَأْنِ الْفَاجِرِ
نَقِصٌ، وَيَهْبِطُ ذُو الْكَمَالِ الْفَاجِرِ
وَرِثَ الدَّنَاءَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ
يَوْمًا فَلَمْ تَسْلِبْهُ شُكْرَ الذَّاكِرِ
مَا عُدَّ إِلَّا فِي مَصَافٍ أَكَابِرِ
لَمْ يَنْخَرُطْ إِلَّا بِسَلَكِ أَصَاغِرِ
وَخَبِرْتُ أَهْلَ الْمَوْتِ خَبْرَةً مَاهِرِ
رَبْحًا، وَآخَرَ بَاكِيًا لَخَسَائِرِ
أَشْقَى إِذَا جَهَلَ الْأُمُورَ كَقَاصِرِ
أَبَدًا إِذَا لَمْ يُبْقِ حَسَنَ مَآثِرِ
وَالْمَالُ يَدْرُسُ تَحْتَ رَدَمِ مَقَابِرِ

مَا جَاءَ ذِكْرُكَ فِي حَدِيثٍ مَنَادِمِي
مَذْهَاجَ بَرْكَانِ الْجَوَى فِي مَهْجَتِي
فَلَقَدْ فَتَحْتَ حَصُونَةَ قَلْبِي لِلْهُوَى
وَأَسْرَتِ بِالْأَحْدَاقِ كُلِّ عَزَائِمِي
وَمِنَ الْجَوَى بَنَتْ الْحَوَاجِبَ فِي الْحِشَا
حَتَّى إِذَا مَا رَمَتْ مِنْكَ تَقَرَّبًا
فَأَنَا أَطِيلُ عَلَى الْجَفَا صَبْرِي فَلِي
وَمَطَامِعُ الْأَمَالِ تَعْزِيَةُ الْفَتَى
وَالْمَرْءُ فِي زَمَنِ الشَّبَابِ يَهِيمُ فِي
لَا تَرْجُ أَمْنًا مِنْ زَمَانِكَ فَهُوَ ذُو
وَاتَرَكْ مَصَاحِبَةَ الْجَهُولِ فَلَمْ يَصِبْ
وَإِذَا الْفَتَى أَلْفَ الْوَحُوشِ فَمَوْتُهُ
لَا تَعْطِ قَلْبَكَ لِلصَّدِيقِ فَإِنْ يَخُنْ
وَاجْعَلْ عَلَى شَفْتَيْكَ حَارِسَ حَكْمَةٍ
وَعَلَى الظُّوَاهِرِ تَنْجِلِي لِذَوِي النِّهْيِ
لَا تَسْتِرِ النُّقَّادَ عَيْبَ فِتْنَى كَمَا
أَمْرَانِ لَيْسَ يَكُونُ أَصْعَبُ مِنْهُمَا:
وَالدَّهْرُ كَالْمِيزَانِ يَعْلُو فِيهِ ذُو
وَاللَّهُ لَيْسَ يَفُوزُ بِالْعُلْيَاءِ مَنْ
إِنْ تَسْلِبَ الْأَيَّامُ نِعْمَةً فَاضِلِ
وَإِذَا هَوَى قَدْرُ الْكَبِيرِ إِلَى الثَّرَى
وَلَوْ ارْتَقَى شَأْنُ الصَّغِيرِ إِلَى السَّهَى
لَمَا فَحَصْتُ الدَّهْرَ فَحْصَ مَدَقِّقِ
لَمْ أَلْقَ إِلَّا ضَاحِكًا لِنَوَالِهِ
وَالْمَرْءُ يَحْيَا فِي الشَّقَا وَيَمُوتُ فِي
لَا يُذَكِّرُ الْإِنْسَانُ بَعْدَ مَمَاتِهِ
الْفَضْلُ يَلْبِثُ خَالِدًا فَوْقَ الثَّرَى

والجهل ليلٌ فيه تيهُ السائرِ
يرجو العلومَ، وذاك ربحٌ متاجرِ
يصلح، وقدّرُ الشيءِ عند الأثرِ
والعينُ مغرمةٌ بحسنِ مناظرِ
وبليّةُ المأمورِ جورُ الأمرِ

والعلمُ صبحٌ يُهتدى بسنائه
كلُّ له ميلٌ إلى شيءٍ فذا
قد يستطيعُ الشمُّ ما للذوق لم
فالأذنُ مولعةٌ بألحان الغنا
والدهرُ يأمرُ بالتقلبِ أهلهُ

أثر الفراق

معيدَ الثرى كالشهب والشهب كالثرى
وما رمتُ، لكن من يردُّ المقدراً
إليّ وراح الشرقُ يرجع للورا
وأطلقت أقدامي إلى حيث لا أرى
وكم أنت يا هذا النوى تنثر الورى؟
ودمعي غداة البين يدفق أبحرا
فعانقني، والقربُ عني تقهقرا
بجسمي فروحي عندكم لا مع السرى
وأنفذُ ساعاتي جوًى وتحسرا
يُقضي ليالِيهِ الطوال تذكرًا؟
وأشباحكم طيبي، وحظي في الكرى
فيا ويحه ما كان في البين مفكرًا
يحاربُ هذا القلبَ حتى تفتطرا
نضت بريقًا في حومة الحرب أحمرًا
على ذلك البعد العظيم الذي جرى
يميل الفتى منها، ولو كان عنترا
تقلبه قهراً ولو كان قيصرًا
دعاني كرهًا، هل أرى القربَ يا ترى؟
ترى هل تضمُّ الصحبَ أم صرت مقفراً؟
ولكن لعيني أن تنوح وتسهرًا

أعدوا السرى فالبدْرُ للغربِ قد سرى
دعاني النوى يومَ الرحيل فطعته
فسرتُ وعاد الغربُ يدنو تقربًا
ووجهتُ وجهي نحو أرضٍ بعيدةٍ
فيا موقف التوديع، ماذا فعلت بي
ركبتُ فسيحَ البحرِ أقطعُ لجّه
وما زلت حتى مدّ لي البعدُ باعهُ
أحبةً قلبي، إن أكن سرتُ عنكم
أقطعُ أوقاتي ضجيحًا بذكركم
فيا جيرة الأحياء، هل تذكرون مَنْ
تذكركم أنسي، وكاسي بغربتي
صروفٌ دعت قلبي إلى حمل بينكم
وما زال سلطانُ القضا بجيوشه
فقام اعتراك الشوق فيه وأعيني
لهيبُ جوًى أبقي الدموعَ جوارياً
وما كنت أدري أنّ في البين أكؤساً
وأنّ ببعدِ الإلفِ للمرءِ خطّةٌ
فيا أيها الدهرُ الذي للبعدِ قد
ويا أيها الربعُ الذي قد تركتهُ
لعينيك أن تحظى برويا أحبتي

كسرتَ فؤادي يا زمان تشتتي
بدورَ الحمى، إني غريبٌ بدونكم
فلا تحسبونني حلتُ عن عهد حبكم
أنا حافظُ عهدي، أنا راهنٌ يدي
فكلُّ ضياءِ الكونِ عندي ظلمةٌ
فيا ليت شعري! هل ألاقي مجبراً؟
ولو كنت في الفردوس في أرفع الذرى
إذا كنتُ في أرض الهوى متخطراً
أنا حارسٌ ودي، أنا واثقُ العرى
إذ كان طرفي لا يراكم ولا يرى

وقال يرثي المرحوم «ميخائيل أديب» في «أنطاكية»:

قف يا حزين على هذا الثرى سحرًا
وصحْ بقلبي من الأحزان منكسر
يا أيها القبرُ، بحرٌ أنت أم فلكُ؟
كم أنت يا قبرٌ ذو خصبٍ فما برحت
ويحاً عليك أيا نجلَ الأديبِ فقد
وها لوالدةٍ قد فارقتك على
فهل تُعيدُ اللقاء يا من رحلتَ بلا
من ذا دعاكَ إلى هذا الرحيلِ فيا
ما للعيون التي كانت تغازلنا
يا للمصيبةِ قد سلَّ القضاء على
فيا حمامَ الروابي نُحْ عليه، ويا
قولوا وتاريخنا نوحُ يعجُّ له:

واندبْ ونحْ إذ به بدرُ الحمى قبراً
يا ويل غصنٍ غداً بالموت منكسراً
فقد وجدناك تحوي البدرَ والدرا
تجني الخواطرُ منك الخوفَ والحذرا
ذقتَ المنونَ صغيراً لم ترَ الكبرا
رغم، وأنتَ وحيدٌ تشبهُ القمرأ
زادٍ وخلفتَ دمع الأهلِ منهُمرا؟
ويلي على كوكبٍ مذ غاب ما ظهرا!
مثل الغزال غدت لا تعرف النظرا
كلَّ العبادِ سيوفاً تفلق الحجرا
أهلَ الحمامِ اندبوا؛ فالصخرُ قد فطرا
كلُّ على موتٍ «ميخائيل» قد حُسرا

سنة ١٨٦٢

أثر الصداقة

غطني محيأك إن الطرف قد نظره
وإن بسمتِ احببي بالكفِّ ثغركِ عن
سبحانَ خالق هذا الحسن! كيف به
وكيف يعشقُ قلبي منك؟ وا عجباً!

فما محيأك إلا أسحرُ السَّحرةِ
عين المحبِّ وإلا فأحرسى بصره
تطيبُ نفسي، وقد أورى بها شرره؟
طرفاً بباترِ ذاك السحر قد بتره

لما أقامَ على عرش الهوى حَوْرَهُ
سطا على الحرِّ في الدنيا وقد أسره
شرع على صفحة البلور قد سطره
كان الجفا ليله بات الرجا قَمَرَهُ
برحتُ أسهرُهُ حتى أرى سَحَرَهُ
على فؤادي فإن الصدَّ قد فَطَرَهُ!

طرَفُ آثارِ حروبِ الحبِّ في كبدي
أفدي الجمالَ الذي مذ مدَّ شوكتُهُ
حسنٌ بقتلي قضى بين الترائب في
حتامِ حسناءٍ تجفين المحبِّ فإن
والله ما الليل إلا الفرعُ منك فلا
مهلاً فهلاً كفاك الصدُّ فانعطفي

وقال:

فطرتني يا حَجراً لا ينفطرُ
وأنت يا زجاجُ مني تنكسرُ

وحاسدٍ أسخطته فقالَ لي:
قلتُ: لأنِّي الماس في ثباتِهِ

قال وقد نظمها في الحلم:

وكلُّ امرئٍ يشكو شقاها وعُسرَها؟
فيسعى ليلقاهُ فتوليهِ شرَّها
وأجرت على كلِّ الخلائق سحرها
وكلُّ الوري تشكو وتندبُ ضُرَّها
وكم قد سقت أهلَ الدَّرايةِ مُرَّها!
فهمتُ معانيها وأدركتُ سرَّها
وإن كان كلُّ الناس ترفعُ قدرها

لِمَن هذه الدُّنيا ومن حاز يُسرَها
تُعْظَمُ في عينِ الفتى قدرَ خيرها
عجوزُ حوت كلِّ المكائِدِ والدُّها
سلاطينها ناحت، وأعيانها بكت
فكم أطمعت أهلَ الجهالةِ شهدَها
فَدَعْنِي مِنَ الدُّنيا خليلي لأنَّني
وَأَيَقَنْتُ حَقًّا أَنَّهَا لدنيَّةٌ

قافية الزاي

وقال:

أَيْسَلُ سَيْفٌ إِنْ لِحَاظُكَ تَغْمُرُ
يَا مَنْ بَدَا لِلصَّبِّ فَوْقَ خَدُودِهِ
لَكَ وَجَنَةٌ عَنْ نَارِ وَجْدِي قَدْ غَدَتِ
سَبْحَانَ مَنْ قَدْ أَوْدَعَ الْأَنْوَارَ فِي
خَفِّفْ تَنَاقُلَ ذَلِكَ الْهَجْرَ الَّذِي
هَلْ أَسْتَطِيعُ عَلَى الصَّدُودِ تَجَلُّدًا
وَوَعْدَتِي بِالْوَصْلِ وَعَدَ ذَوِي الْوَفَا
هَزَيْتَ مِنْ تَحْتَ الْغَلَائِلِ أَسْمَرًا
قَدْ يَرْنَحُهُ الدَّلَالُ كَأَنَّهُ
وَسَلَلَتْ مِنْ تِلْكَ الْعَيُونَ مَهْنَدًا
كَمْ بَتُّ أَكْرَزُ بِالْغَرَامِ عَلَى الَّذِي
فَأَنَا نَبِيُّ الْحَبِّ أَهْدِي لِلْهُوَى

وَيَلُوحُ بَدْرٌ أَمْ جَمَالُكَ يَبْرُزُ؟
وَرُدُّ بَرِيحَانِ الْعِذَارِ مَطَرَزُ
تُنْبِي، وَجَفْنُ عَنْ وَدَاكِ يَرْمِزُ
وَجْهِهِ عَنِ الْأَقْمَارِ لَا يَتَمَيِّزُ!
أُضْحَى لَهُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مَرْكُزُ
وَالصَّبْرِ مَيِّتٌ وَالْعَذُولُ مَجْنُزُ؟
فَمَتَى بُوْعْدُكَ يَا حَبِيبِي تَنْجِزُ؟
وَبِهِ غَدَوْتَ لِكُلِّ قَلْبٍ تَوْخِزُ
إِلْفٌ، وَلَكِنْ مَشَقُّهُ لَا يَهْمُزُ
فَقَتَلْتَنِي، وَالْقَتْلُ كَيْفَ يَجُوزُ؟
رَفَضَ الْهُوَى، فَأَكْرَمَ بَصْبٌ يَكْرُزُ!
قَوْمِي، وَلَطْفُ تَغْزَلِي هُوَ مُعْجَزُ

قافية السين

وقال موشحاً:

بدت شمسُ الحمى والليلُ عابسٌ فكان النورُ للظلماءِ لايس
مهاةٌ شاكلت قمر السماء
فذات سنًى تشعشع من سناء
لها مُقَلُّ زرت مُقَلَّ الظباءِ
فأجفنها اكتحلن بكهرباءِ
تجاذبُني مجاذبةُ الفوارسِ وهُنَّ لمهجتي أبداً فوارس
نظرتُ جمالها فأضعتُ لبّي
وعاد الوجدُ موجوداً بقلبي
فيا قلبي لذات العجبِ عَجْ بي
ويا شوقي لسرِّ الحبِّ سرِّبي
فللعشاقِ أنفاسُ نفائسٍ وألفاظُ بها تحلو العرائس
أنا أهوى العيون على الدوامِ
ولو أحشاي كن بها دوامي
ومذ حبُّ الجفون غدا مرامي
وجدتُ لهنَّ في كبدي مرامي
فخلَّ الحربَ يا قلبي وآيس فإنَّ الحسنَ يفعل كابين آيس
محَبُّ في الهوى قاسى عذابا

وقد وجدَ الشجونَ بهِ عذابا
فللآمالِ لو لم يرعَ ذابا
ولو كانت رواقبُهُ عذابا
لكان على سريرِ الوصلِ جالس
وللنعمى بأيدي الفوزِ خالس

التنبية

قومي بنا يا غزالة الأُنس
قومي فسترُ الظلام منسدلُ
قد نبهتني يدُ الغرامِ لذا
وكيف يرضى بأن ينامَ فتى
يا ربَّةَ الحسن والدلالِ ويا
ميلي على الصبِّ ميلَ غصنِ نقَّا
وإن شرحِ الغرامِ لي علنا
يا طالما فوقَ عاجِ زنديكِ قد
وفي الحشا كم ضمرتِ نارَ هوى
سَجَنْتُ في مهجتي الهوى فغدت
آهًا ووا حسرتاهُ كم فعلت
طبعِ في النفسِ رسمَ وجهكِ يا
فحيثما لحِطَ طاب لي تلفي

وقال:

رأينا لابن خياطٍ قريضا
إذا ما قال في تموز شعرا
يقرضنا بلا ناپٍ وضرسٍ
أعاد الثلج قنطارا بفلسٍ

وقال:

قايسُتهُ بالغصن لما زارني
فعلمتُ أنَّ الغصنَ ليس كقدِه
متسرِّبلا ثوبَ الجمالِ فماسا
وعلمتُ أني ما أصبْتُ قياسا

وقال:

يبقي لشاهِ الخصم بيت مداسٍ
ففقضى وقد حاقت به أفراسي

في رقعة الشطرنج كشي لم يكد
سقط الرخاخ عليه سطوة ضيغمٍ

مظاهر

بفؤادي حواجبُ الميَّاسِ
تارةً أو يجودُ بالإيناسِ
الثنايا، مُعَطَّرُ الأنفاسِ
يهدني نورُ وجهه النبراسِ
حسنه ثم راح يغزو نعاسي
بابنة الكرم بين طاسٍ وكاسِ
بازورارٍ من الحبيب القاسي
ليته كان عارفًا ما أقاسي!
يبقُ منه سوى عظامِ كواسِ
وأرى البرءَ عندَ ذاك الآسي
غسقًا عند غفلةِ الحرَّاسِ
بالحواجيبِ بالعيون النعاسِ
لم أكن قطُّ للعهود بناسِ
دحُ كاسِ الهوى وقلبي الحاسي
وبرى أعظمي وشيَّب راسي
غيرُ مرآك، هل بذا من باسِ؟
من محيَّاك نظرةً باختلاسِ
فبالقلب والحشا أنتَ راسِ
فاحتمالي قد جاء بالأجناسِ
بثيابِ الضنا ونعم الكاسي!
أتلوَّى، والغير كالأفراسِ

أَسْمَعْتُ أُنْذِي رَنَّةَ الْأَقْوَاسِ
أَغِيدُ كَالْغَزَالِ يُبْذِي نَفَارًا
أَحَوُّ الطَّرْفِ، أَنْوِّرُ الْوَجْهَ دَرِيًّا
شَعْرُهُ كَالدُّجَى فَإِنْ تَهَتْ فِيهِ
طَرَفُهُ قَدْ حَبَا عَيُونَ الْمَهَا مِنْ
إِنَّ سَكْرِي بَغْنَجٍ مَقْلَتِهِ لَا
رَمْتُ وَصَلًا فَازَوْرَ غِيظًا فَمَنْ لِي
كَمْ أَقَاسِي مِنْ شِدَّةٍ بِهِوَاهُ
يَا بَدِيعَ الْجَمَالِ، رَفَقًا بِمَنْ لَمْ
أَسْ تِلْكَ الْخُدُودِ أَمْرَضَ قَلْبِي
زُرْ مُعَنَّكَ أَمْنًا يَا حَبِيبِي
بِمَحْيَاكَ مِنْ أَحَلَّكَ قَتْلِي
إِنْ تَكُنْ قَدْ نَسِيتَ عَهْدِي فَإِنِّي
لَكَ عَيْنٌ يَا ظَلْبِي مَا بَرَحْتُ تَجْ
هَجْرُكَ الْمَرُّ قَدْ أَذَابَ فُؤَادِي
لَيْسَ لِي مِنْكَ وَالْهُوَى مِنْ مَرَامٍ
قَدْ أَطْلَتِ الصُّدُودُ عَنِّي فَهَلَّا
عَنْ عَيُونِي إِنْ غَبَتْ لَا قَدَّرَ اللَّهُ
إِنْ تَنَوَّعَ بِمَقْلَتِكَ عَذَابِي
لَمْ أَحِلْ عَنْ هَوَاكَ يَا مَنْ كَسَانِي
أَنَا كَالرَّخِّ فِي رِقَاعِ الْهُوَى لَا

وقال موشح:

رسم الشرق على أفق السما بخطوط الفجر أشكال قسي
اتخذ النور نبالاً ورمى عند دور الأرض جيش الغلس

دور

إنَّ ضوءَ البدرِ قد غَشَى السُّهى وحابا الأرضَ إزارًا من بهق
وأثار الصبحُ هيجاءً لها لاح وخطُ الشيبِ في فرع الغسق
صارمُ الفجرِ فرى الليلَ وها دمه خضب أذيال الشفق
قم إلى الروض، فذا الوقتُ سما وارشف الصهباء بين النرجس
فترى الشحرورَ يتلو الفرض ما سجد الغصنُ لشمس الأكوس

دور

فاح نشرُ الوردِ من تلك الرياض ساريًا في طي أبراد النسيم
وصدوحُ الورق ما بين الغياض نوّع الألحان كالنَّاي الرخيم
وغدا الزهو ضحوكًا حيث فاض مدمعُ الطلُّ على ذاك الأديم
يا سقى صوبُ الحيا روضًا نما ضمنه نبت الصفا والأنس
ومن البؤس تعرى مثلما بثياب البشر والنعمى كسي

دور

دارتِ الكأسُ على قطب العراق وصبا الشاذي إلى الدور الكبير
فاشرب الصهباء واملأ للرفاق واكتم الأسرار إن كنت الخبير
بنت كرم خدروها في زقاق وجلوها من يدي ظبي غرير
عنبري الخال، مسكي اللما لين الأعطاف، حلو الميس
ريقه الجريال يشفي السقما وبمرآة حياة الأنفس

دور

من يفز بالقرب منه فسعيد شاذن إن لاح يزري بـ «سعاد»
مدمعي في حبه بحرٌ مديد أين من يشرح حالي بمداد؟
خصره والقلبُ شمعٌ وحديد والحيا والطرفُ نارٌ وحداد

جمعَ الحسنَ ولمَّا قسما قسمةَ الميراثِ بين الأروُسِ
أورثَ البدرَ سنَاهُ والدُّمى دلَّهُ والغضنَ لطفَ الميسِ

دور

بأبي أفدي محياهُ النضير وبروحي لا بمالٍ ونضار
كلما قلتُ له: جدٌ للفقير قال: من عيني، ولكن ذو الفقار
ليت شعري! هل لذي الحبِّ مجير من رشا قاسٍ على العشاق جار؟
هزُّ من أعطافه سمرًا كما سلَّ بيضًا من جفون نعسِ
لا أبالي إن يرمُ قتلي ما دام لي في الحبِّ كلُّ الهوسِ

وقال:

قالوا لزيد: إنَّ عمرًا فاز إذ ربحت نجاتهُ بحظٍّ كيِّس
فازورَّ من غضبٍ، وسكرجَ عينهُ وتنفَّس الصُّعداءَ أيَّ تنفيس
وأجابهم مخرنطًا ومبرطمًا: ويلاه من تحسين حال المفلس!
وكذاك لما أخبروا عمرًا بأن بكرُّ غدا ذا رفعةٍ في المجلس
أرغى وأزبد خائراً كالمعتري وانتابَ سحنتهُ ظلامُ الحنـدسِ
وتوقدت عيناهُ أيَّ توقدِ بشرارة الحسد البهيم الغطرسِ
وإنحاز يصرخُ قد كذبتم فاصدقوا إنَّ السعادةَ لا ترى في المتعسِ
ورووا على بكرٍ بأنَّ صديقه يحيا بعزٍّ بعد ذلٍ قد كسي
فانساب كالأفعى وقال: أعوذ من غمرِ غدا متبخترًا بالأطلسِ
والكلُّ يبدون المسرةَ كلُّما سمعوا بنائبيةِ سرت بالأروُسِ
تبًّا لبغيك أيها الإنسان ما «إبليس» ربُّ النحس منك بأنحس
لولاك لم يُطرحُ بنار جهنم خزيًا وقدَّر مقامه لم يُركسِ
يا أيها الإنسان شرُّك قد نما في الأرض بين منوعٍ ومجنسِ
يؤذيك عطرٌ سواك إمَّا فاح وا عجبي وأنت تذمُّ طبعَ الخنفسِ!
ني كبرياؤك يا لها من آفةٍ كالأفعوانِ سعت لقتل الأنفسِ
أمُّ الكبائرِ والجرائرِ كلُّما شابت تشبُّ بطبعها المتدنسِ
وتعيّد من يبلى بها بين الورى متعرضًا لعروض ثوبِ الملبسِ

هي أصل كل خطيئة ولأجلها
لولا الخطيئة لم يكن شرع كذا
أنت الشريعة بالقصاص المركب
لولا الشريعة لم يكن خطأ يُسي

وقال:

عارٌ على الشعراء مدحُ الناس
ما الفرقُ بين يدٍ تُمَدُّ بذلّةٍ
لا أمدحنَّ سوى لبیبٍ فاضلٍ
ما لي وللألقاب فهي بأهلها
كم دولةٍ أو رفعةٍ أو عزّةٍ
كلماتُ تعظیم على مستحقٍ
لو كانت العظما تُلحق أهلها
كم من دنيّ تحت أسماءِ العُلَى
يتسربل الديباجَ مختالاً به
لكن يمدُّ يدَ السؤالِ لرشوةٍ
وإذا أردت خصامه أوما إلى
لوحٍ به لا حقٌ للشاكي ولا
إنّ الذي يشري القضاء يبيعه
لا أمدحنَّ نظيرَ هذا لا ومن
إنّي أرى باني القصورِ أحقّ من
كلٍّ يجدُّ إلى العلا وبقدر ما
فدوائر العلياء كالمخروط ما

فالشعرُ أفخر من لهي الأكياس
ويَدُ تخطُّ المدحَ دونَ قياسٍ؟
أو صاحبُ حامي الذمامِ مواسٍ
جاءت كأجراسٍ على أفراسٍ
شريتُ بمالٍ أو برشفةِ كاسٍ!
لم يسوَ فلساً في غلاءِ الناسِ
خفيت ولم تنصبَ لهنّ كراسي
يبغي التسامي وهو واطي الراسِ!
فخراً على بدنٍ من الأنداسِ
فيثُلُ عرشُ الشرعِ بالأركاسِ
لوحٍ عليه مرصّع بالماسِ
صاغ لمن يدعو سوى الحبّاسِ
ذا متجرِ الباغي وشغلُ الخاسي
سبحانه خَلَقَ الأسى والآسي
سكّانها بالمدحِ والإيناسِ
يعلو يرى ضيقَ العلا ويقاسي
برحت تضيق لتنتهي في الراسِ

وثبة النخوة

لِمَ الذلُّ؟ لا حزتُ المعزّةَ في جنسي
إذا بعْتُ في سوق الهوى شرفَ النفسِ
ألا يا لحا الله الجمالَ فكم به
يذلُّ لذي ضعفٍ قويٍّ أخو بأسِ

سلوتُ وما السلوانُ إلَّا لأنني
أرى الراس مني لا يميل إلى النكس
ولا عدتُ أهوى ربّة الحسنِ طالما
أبى الحسنُ أن يجدي المحب سوى النكس
إذا ما نأى عنكَ الغرامُ حذارٍ من
مفاعيل ردّ الفعل تنجُّ من البؤس
وإن أصبحتُ مثل السيوف عيون من
تحبُّ، فغض الطرف؛ فالغض كالترس
هويتُ فتاةً والهوى شرُّ نقيمةٍ
فرحتُ عديم الرشيد والعقل والحس
ذلتُ لها ذلّ الفقير لدى الغني
فيا ويحّ ذي عزٍّ غدا ناكس الرأس
ولكنني - والحمد لله - ساليًا
غدوتُ وسلوانُ الهوى راحة النفس
غرسْتُ بقلبي نصح أهل مودتي
فذقتُ ثمارَ الفوز من ذلك الغرس
بسجن الهوى قد غادرتني كمجرمٍ
حبيسًا وها إني خرجتُ من الحبس
وقد أطلقت عيني إلى النوح والبكا
كما قيّدت عقلي عن العلم والدرس
عشقتُ احمرارَ الخد منها ولم أكن
عليما بأن الفضل للصبيغ والدبس
ومن وجهه لم يكسه الطبع رونقًا
فموّه ذا قبرٌ تبيّض بالكلس
أرتني البها بينَ الحواجب وانتنت
تقول: أشمتَ الشمسَ في دارة القوس؟
فقلتُ: بلى لكنّ ذاك تصنّعُ
وما اليوم قد عيانتُهُ لم يكن أمس

إذا لم يكن لونُ المحيّا يلوحُ عن
تشعشع أنوار الجمال فذو فكس

وقال:

وبدت لديّ من الرماح شמושُ	دارت عليّ من الصفاح كئوسُ
قلبي شמושُ دميّ لهنّ نفوسُ	بأبي كئوسُ هوّى تدورُ بها على
ما شابهُ كدرٌ ولا تدنيسُ	من كل بيضاءِ الجبين عفافُها
والصبرُ عزٌّ، فذا وذاك نفيسُ	عذراء عزّ على المحبّ وصالُها
أبدًا بأسوارِ الحيا محروسُ؟	كيف الهجومُ على الوصال وبرجُها
عجبٌ فذا عطرٌ وتلك عروسُ	راق التغزلُ قلبها فصبتُ ولا
ما ليس تفعله الكماة الشوسُ	يا ربّة الحسن الذي هو فاعلُ
سحرًا يقودُ زمامهُ ويسوسُ	قسي فؤادكِ ما استطعتِ فإنّ لي
أبدًا، وذاك السحرُ مغناطيسُ	هذا فؤادٌ من حديدٍ باردٍ
وأرى الجنادلَ في النجوم تدوسُ	أهواكِ أو ألقى العدوّ مشاركي
ويلوحُ وجهُك وهو فيّ عبوسُ	وأرى الحسودَ يمرُّ بي متبسمًا
فَجَهَنَّمُ هذا وذا «إبليسُ»؟	أين الخلاصُ من الهوى وحسودِهِ
لا قامَ شرعٌ والقضاة نكوسُ	حتامَ يا قاضي الغرام تكذّني
فلإلامَ قلبي في الجوى محبوسُ؟	عيني جنتُ ذنبًا فكفرهُ دمي

وقال مؤرخًا جلوس عظمة السلطان «عبد العزيز خان دام ملكه إلى مدى الدوران»:

«عبدُ العزيز» ارتاحت الأنفُسُ	على سرير الملك لَمّا علا
خليفةً به الورى تحرسُ	أقامهُ الله على أرضهِ
عودُ الرجا أرخُ به يغرسُ	والمَلِكُ قد حيّاه فهو الذي

سنة ١٢٧٧

قافية الشين

وقال:

غفل الرقيبُ ونام طرفُ الواشي
أنت الحبيبُ وما لقلبي منية
عطفاً على سقمي، فحبُّك متلفي
كم ذا أرقُّقُ إذ تطارحُني النوى
لأحَ الجمالُ فهمتُ فيه مغرماً
يا طلعةً سبتَ العيونَ بصحبها
واستوقدت ناري، وأجرت مدمعي
يا من تلاشى في هواكَ تصبُّري
ما شام طرفي قبلَ قدِّك يا منى
نعمانَ خدكَ قد تملك مهجتي
بهواك زُرُ صباً إليك صباً فها

فزُرَ المحبَّ ولا تكنُ بالخاشي
إلاً وصالُك، فهو طيبُ معاشي
وارحمُ فؤاداً بالهوى متلاشي
دمعاً لأسرار المحبةِ فاشي
إنَّ الغرامَ عن الجمالِ لناشي
لما انجلت تحتَ الظلامِ الغاشي
حتى شكاني مضجعي وفراشي
لاشِ النفارَ عن المتيمِّ لاشِ
قلبي قضيباً في غلائلَ ماشي
وسبى النهى خالُ هناك نجاشي
غفل الرقيبُ ونام طرفُ الواشي

قافية الصاد

وقال:

وهيهات من هذا الهوى أتخلّصُ
عسى طول هذا الظلّ عني يُقلّصُ!
فإني وفيّ للمودّة مخلصُ
بذلّ الهوى يرضى ولا يتنغّصُ
فلم أنت لي يا أحسنّ الناس مرخصُ؟
ولكن حديثي فيك لا يتلخّصُ
يُغنّي وقلبي ذو الصبابة يرقصُ
لقاكّ ولي صبرٌ على العقبِ ينكصُ
على الشهب في أوج العلا لك أخصُ؟
وما كنت ممّن باللواحقِ يُقنصُ
هويتك بدرًا في الحمى ليس ينقصُ

هويتك بدرًا في الحمى ليس ينقصُ
أطلتُ على الهجران منك تجلّدي
فإن تكُ قد عفت المودّة والوفا
كفأك بعزّ الحسن تيهًا على فتّى
جعلتك أغلى الناس عندي قيمةً
وكلُّ حديثٍ من فمي هو ملخصُ
فيا من عليه بلبلُ الحسن والبها
ترفق فكم ليلٍ به بتُّ راقبًا
تجاذبني الأشواقُ نحو السهى فهل
بلحظك يا ريمَ الحمى قد قنصتني
ووجدني لم ينقصُ فديتك إنني

قافية الضاد

نتيجة الاختبار

فلا كنت ممَّن بالمدلَّة يرتضي
فلم أكَّ يومًا للهوان بمعرض
فيا طالما روحُ التعقُّل ما رضي
لسيف الشقا ذاك التنعم منتضي
إذا كان مردودًا لحكم التغرُّض
فإنَّ بها جهد العنا ليس ينقضي
عديم ثباتٍ مثل ركنٍ مقوِّض
إذا كان روض الحسن غير مروِّض
زمان الصبا والعمر غير معوِّض
مذ امتلكت قلبي: أيا غدري انهض!
يقوم بقلب للخيانة مبغض
لقد غيَّض حيث الأمر في سلوتي قضي
وبعد اختباري من هويت غدا مُضي
ولا يُحصِرَنَّ الحسنُ في المنظر الوضي

إذا كان هذا الحبُّ للذلِّ يقتضي
وإن كنتُ قد أعرضتُ نفسي للهوى
وإن كان روحُ الطبع بالعشق راضيًا
وأني نعيم في الغرام ودونه
أرى الحبَّ لا يسوى مزيد العنا به
لحا الله أيام الهوى، ما أمرها!
وقاتل ربَّ الحسن إن كان ودُّه
فلا زرعَتْ في القلب حبًّا يدُ الصبا
فوا أسفي! إنني نفقتُ على الهوى
على حبٍّ من قالت لكامن غدرها
لذا جئتُ بالسلوان حيث الغرام لا
فلا عادَ لي ميل فماء صبابتي
على أنَّ عقلي في الهوى كان مظلماً
رأيتُ فعال السوء فيه كوامنًا

وقال:

سَلَّتْ عَلَى قَلْبِي اللّوَاظُ بِيضًا وَيَلَاهُ مِنْ جُورِ الْعَيُونِ فَإِنِهَا
وَلَبِي لِدَائِرَةِ الْمَحَبَّةِ مَرْكَزُ إِنِّي أَمْرُؤٌ لِي فِي الْغَرَامِ سَرِيرَةٌ
أَهْوَى الْمَعَاصِمَ وَالْمَبَاسِمَ وَالطَّلَى وَلَرَبَّ رِيمٍ ضَاقَ فِي شَغْفِي بِهِ
قَدْ صَارَ مَحْبُوبًا لَدَيَّ بِحَبِّهِ جَفَنُ لَهُ مَا زَالَ يَنْهَبُ صَحْتِي
إِنْ يَبْتَسِمُ خَفَقَ الْفَوَائِدُ فَتَغْرَهُ

إِذْ قَمْتُ أَعْتَنَقُ النُّهُودَ الْبِيضَا سَلَبْتُ حَشَايَ وَقَدْ أَبَتْ تَعْوِيضَا
قَدْ مَرَّ قَطْرُ جَوَى بِهِ مَفْرُوضَا أَعْلُو الْجِبَالِ وَلَا أَجُوبُ حُضِيضَا
وَالْخَصَرَ إِنْ يَكُ لَا يَطِيقُ نَهْوِضَا ثَوْبُ اصْطِبَارِي وَهُوَ كَانَ عَرِيضَا
سَقَمِي، وَلَكِنْ عَاذَلِي مَبْغُوضَا إِذْ ظَلَّ يَغْزُو بِالْفَتُورِ مَرِيضَا
مِنْ كَهْرِبَاءِ الْحَسَنِ قَصٌّ وَمِيضَا

وقال:

جَلَا ظِلْمَةُ السَّخَطِ الْوَبِيلِ سَنَا الرِّضَا فَقَرَّبًا لِأَحْبَابِي فَسَعَدُ الْوَفَا أَتَى
بِرُوحِي حَبِيبُ أَخْلَصِ الْوَدِّ وَالْوَفَا تَلَقَّتْ نَحْوِي بَعْدَ إِعْرَاضِهِ وَمَا
وَهِيهَاتَ أَنْ أَسْلُوكَ يَا قَمَرَ الْحَمَى فَدَيْتُكَ مِنْ بَدْرِ لَهُ طَلْعَةٌ بِهَا
تَفَرَّدَتْ بِالْحَسَنِ الْبَدِيعِ فَأَعِينِي وَكَلَّتْ قَوَى الْعَذَالِ عَنْ هَدْمِ صَبُوتِي
أَسْلُو وَلِي قَلْبٌ يَذُوبُ صِبَابَةً تَمِيلُ إِلَى الْمَحْبُوبِ كُلِّ جَوَارِحِي
غَزَالُ يَسُودُ الْأَسَدَ فِي الْغَابِ إِنْ رَنَا إِذَا رَامَ قَتْلِي لَا أَبَالِي فَإِنِّي
فَإِنِّي مَلْزُومٌ بِحِفْظِ وَدَادِهِ

وَمَرَّ زَمَانُ الْهَجْرِ كَالظِّلِّ وَانْقَضَى وَبَعْدًا لِأَعْدَائِي فَنَحْسُ الْجَفَا مَضَى
فَأَفْرَحُ ذَا حَبٍّ وَأَحْزَنُ مَبْغُضَا ذَكَرْتُ سَلَوًا حِينَمَا كَانَ مَعْرُضَا
فَلِي مَهْجَةٌ أَضَحَتْ لِحَبِّكَ مَرَبُضَا! غَرَامِي وَصَبْرِي ذَاكَ عَاشَ وَذَا قَضَى
أَبَتَ بِسَوَى مَرَاكَ أَنْ تَتَعَوَّضَا وَهَلْ تَهْدُمُ الْعَذَالُ مَا شَادَهُ الْقَضَى؟
وَطَرْفُ بَرُوضَاتِ الْخُدُودِ تَرُوضَا؟! وَتَصْبُو إِلَيْهِ كُلَّمَا الْبَرْقُ أَوْمَضَا
فَمَنْ لِحَظِهِ سَيْفُ الْمَنِيَّةِ يُنْتَضَى مَحَبُّ بِمَا يَرْضَى الْحَبِيبُ لَهُ رِضَا
وَلَوْ أَنَّهُ أَضْحَى بُودِي مَفُوضَا

قافية الطاء

وقال:

جداله وسلاحُ الجاهل الشططُ	سلاحُ ذي العلم برهان الحقيقة في
وذاك في ظلماتِ الزورِ يختبئُ	هذا يسيرُ بنور الحقِّ مهتدياً
وما لذلك إلا هذرهُ نمطُ	هذا له نمطٌ من كلِّ راهنةٍ
وأحمقُ لحصى الوديان يلتقطُ	شتانَ بين فتى للدرِّ ملتقطُ
إن السفاهةَ لا يُحمى بها الغلطُ	وإن غلطتَ فسمِ علماً ولا سفهاً
فإنَّ ذاك بهذا ليس يرتبطُ	ولا تمازجُ بأمر الدين أمرَ حجى
عسك في سلك أهل الفضل تنخرطُ	وانصحْ ولا تقترفْ، واصفحْ بلا حقدٍ
وذو الولا في نعيم الحبِّ مغتبطُ	ذو الحقد في سقر البغضاءِ محترق

قافية الظاء

وقال:

لي بينَ غيد الحمى غيداء فاتنةٌ يفوتني شرحُ معناها بألفاظِ
مذ أسفرت عن هلالٍ فوق غصن نقًّا رَنَتْ إليَّ، فوا قتلي بألحاظِ!

قافية العين

وقال:

إِنَّ معنى الأشواق بعد الوداع كَلَّ عن شرحه لسانُ اليراع
أيها السائقُ الرواحلَ، مهلاً إِنَّ قلبي إثرَ الرواحلِ ساع
يا لكَ اللهُ خَفَّفِ السيرَ رفقاً قد قطعتَ الفؤادَ قبل البقاع
هل غداةَ النوى لجفني إلا أرقُ الليلِ؟! فهو للنجم راع
ما أمرَ الفراقُ يا أيها الندُّ خائئٍ وأحلى التلاقِ بعد انقطاعِ!

وقال:

شكوتُ الهوى لما أضربَ بي النوى إليها عسى شكوى المتيمِّ تسمعُ
فقلت: أرى منك التصبُّرَ واسعاً فقلت: نعم، لكنَّما السُّمُّ أوسعُ

وقال:

يا ظبيَّ أنسِ في فؤادي يرتعُ ارحمُ حشاشةَ مغرمٍ تتفجَّعُ
إن كنتَ تهجرني لأقضي بالهوى عمداً فيسعدُ مَنْ بحبك يهجعُ
إنَّ المنية لي بهجرك منيتي والموتُ من عيش المصيبة أنفعُ
ما ضرَّ يا ريمَ الفلا لو زرتني غَسَقَ الدُّجى حيثُ العواذلُ هجعُ
كيف الوصالُ ولا وصولَ إليك يا قمراً بأفاق المحاسن يسطعُ؟

كم يا قضيبَ البان عني تنثني والقلبُ مني عنك لا يتزعزعُ
ولكم عذولي فيكَ راحَ يلومني جهلاً، وكم لملامه لا أسمعُ!
طبعي إلى حبِّ المحاسن راجعُ والطبعُ في الإنسان لا يتطبعُ

وقال:

أودعتُها يومَ الوداع سرّاً خفياً لا يُذاع
وودّعتني والحشا مني ومنها بانفجاع

دور

يا قاتل الله النوى فكم به قلبي اکتوى
لولا تبارحُ الهوى لما بدا دمعي وشاع

دور

كم وقفة لي بالحمى ومقلتي تهمني دما
أرعى الدراري بالسما ومهجتي ترعى الشعاع

دور

أفدي بروحي حسن من بوجهها عقلي افتتنُ
مليحةً تجلي المَحَن بما حوت تحت القناع

وقال:

وشيخ مذ رأى نظمي ونثري أجاب وطبعُهُ شرُّ الطباع
أرى معنك مطروقاً كثيراً! فقلتُ: نعم، بمطرقه اختراعي!

وقال تاريخاً لـ «بطركخانة الروم» في حلب وقد نُقشت على الإيوان:

هذي ديارُ «البطريق» تجددت وغدت لكل تقى وفضل موضعاً
بعد احتراقِ وقته ولّى فإنْ أرخت قل: وقتٌ مضى لن يرجعاً

في عهد راعينا الموقر ذي التقى
فنقول حيث حوت بتاريخ ثناً:
«كيرليس» تمت بخير قد سعى
الله أسسها فلن تتزعزعا

سنة ١٨٥٩

وقال:

تميلُ إلى الجمالِ النفس طبعاً
ألاً كم بالهوى ذابتِ قلوبُ
فؤادُ في لهيبِ العشق يصلّى
عجبتُ لعاذلِ ألفِ اجتهاداً
أمرُ الحبِّ أحلى من كلامِ
كلفتُ بأهيفِ رطبِ الثنايا
غزالُ أنسٍ باهي السنا من
إذا ما ماسَ غصنُ القدِّ منه
شكتُ أسيافَ عينيه خدودُ
وكلُّ في سبيلِ الحبِّ يسعى
وكم تُركتِ نفوسٌ فيه صرعى!
وعينُ في رياضِ الحسنِ ترعى
بردعي حيثُ لا يجديه نفعاً
يكونُ لمن أبى السلوان ردعا
كأنَّ الخدَّ منه صُنْعُ صنْعاً
تبسُّمه استفادَ البرقُ لمعا
أجادَ عليه طيرُ القلبِ سجعا
لُه فأتى العذارُ لهنَّ درعا

حقيقة الغرام

أحرا ب نارٍ يخترقنَ ضلوعي
يا من أذابتِ بالدلالِ حشاشتي
ها قد سطوتِ عليّ سطوة كاسرٍ
وملكتِ كلَّ عزائمي وجوارحي
لكِ أعينُ فتحتِ حصون دمي لدى
فأنا أحبُّك يا مليكة مهجتي
هيهات أن أسلو هواك وأنثني
لا أرعوي عمري لقول مشنّع
عودي مريض الحبِّ يا عين الشفا
فبغيرِ قربك لا تطيبُ خواطري
أم لمحُ ذكركِ يستشيرُ ولوعي؟
واستنزفت بلظي الصدودِ دموعي
فترفقي بتدللي وخشوعي
ملكاً يحققه لديك خضوعي
وجهٍ توقّفَ مثلَ شمس يشوع
حبّاً سيصحبني ليوم هجوعي
عن منظرٍ يسبّي العقولَ بديع
بكِ فالحسودُ يميلُ للتشنيع
وتبصّري في حالة الموجوع
وبدون أنسكِ لا تُسرُّ ربوعي

تدنو وتلوي مثل ريم رتوع
عند اللقاء كساعة التوديع
أم قد ظننت الصب غير مطيع؟
ومتيم للطوع غير سريع
فلديك طوعي لا يزال طبيعي
رفقا بصب في الغرام سريع
بهواك يرقص رقصة الملسوع
وجواني مازلن في تفجيع
كالبرق ينفذ في سحب دموعي
وأطاحني في التيه فرط ولوعي
ويُعيد في الإقلال كل فنيع
شغل، فكيف أباح شغل ضلوعي؟
يبقيك باكية بكاء فجيع

أهلاً بمن زارت عقيب بعاها
ما لي أرى الوجه البشوش مقطباً
ماذا أغاظك؟ هل أغرك حاسد
تباً لعشق عاث فيه حسودُه
والله إنك عاصياً كل القوى
يا من أصابتني بسحر جفونها
وتعطّفي كرمًا على القلب الذي
فجوارحي بك قد غدت مفتونة
وغدا شعاع الشوق من نار الهوى
ظلعت بي الدنيا وضاعت حيلتي
والحب يقتاد النفوس إلى الضنا
إني عليم أن قلبك بي له
وكذاك أعلم أن موتي في الهوى

تأثير الهوى

إلا وراح الوجد يتلف أضلعي
كبدى، وعاد يسيل غيث المدمع
عطفاً على ضعفي وذلاً تخشعي
بالهجر لا أصغي لقول مشنع
فغيوم شوقي قط لم تتقشع
صاف بين لك فيه صدق تولعي
يحلو، فته ما شئت واحكم أخضع
طيب الوصال ولا ألد بمضجعي
تلفت، فبالله ارحم تفجعي
يا ظبي وهو بغفلة لم يسمع
فك والنفور وخدك المتضوع
ذات السهاد، وقلبي المتوجع

ما لاح وجهك من خلال البرقع
وبروق ثغرك حيث لاحت أرعدت
يا من يجور على المحب بصدّه
يكفيك أني لو لقيت منيتي
إن كان ريح جفاك دام هبوبة
انظر لجيدك فهو مثل طويتي
أنت الحبيب فكل شيء منك لي
ما طاب لي عيش إذا أحرمتني
ذابت بنار هواك روحي، والحشا
أشكو لجفنك من عذابي بالهوى
فبحق طرفك والفتور ولين عط
رفقاً بجسمي ذي السقام، وأعيني

قلبًا كطيرٍ في يد ابن الأربع
صبرٌ ولا بصرٌ فعدت كبلقح
يترك بقلبي للسوى من موضع
أدت عن المقتول درّ الأدمع
يغني العيون عن البدور الطلح
إن الجمال إذا مضى لم يرجع
عيني من طيب المنام تودعي
صادفت فيه كل هول لا أعى
وحشاي مثل عروضة المتقطّع
قلب اصطبّر تفرج، وإلا فاهجع

ضَعُ يا ظلومُ يدًا على صدري تجدُ
لم يبق لي جلدٌ ولا جلدٌ ولا
وهواك أشغل كلّ أعضائي ولم
قتلت فؤادي مقلتك وأعيني
لا تخفِ حسنك يا حبيبُ فإنه
هذا زمان الحسن فاغنم عرّه
زاد الجوى والصبر في نقصِ فيا
إني على شوط الهوى ماشٍ فلو
فكري يخوض بحار شعرٍ بالهوى
بعد الحبيب وعدت في ضيق فيا

ظهور الجمال

وبلبل الحبّ في دوح الصبا سجعاً
مذ شمتُ برقَ المحيا في الحمى لمعا
بالقرب والصبر كالسلوان قد هجعا
تُصلى وماء الهوى من مقلتي نبعا
أرعى النجوم وفي قلبي الغرام رعى
أنظر لصوتي غير الليل مستمعا
مع ارتفاعٍ مقامي صرت متضعا
يجاذبُ العشق لكن قط ما دفعا
متيماً بالجوى والوجد قد صرعا
أصبّت لقياك إلا والفراق سعى
عيناى درّا على الأوعال قد وُضعا
فصار لما علمت القصّد ممتنعا
أعود أهوى السوى؟ لا والذي صنعا
يدري إذا كان في بحر الهوى وقعا
إلا وكنت عن السلوان مرتجعاً

بدرُ المحاسن من برج الخبا طلعا
والقلب هام، وجفني كالسحاب همى
أرجو التصبر علّ الحبّ يسمح لي
هيهات أسلو وناز الشوق في كبدي
كم بتّ والليل كالأشواق مزدحم
أنوح جنح الدجى نوح الثكول ولم
قام الفؤاد على عرش الهوى فبه
تكهرب القلب من برق الطلا فغدا
ناشدتك الله يا ذات النفار صلي
إلى جمالك كم قلبي يتوق وما
حالت رعاع الورى ما بيننا ورأت
كان الملأل بهذا الهجر يمكنني
هبي سلوتك إن خنت الوداد فهل
سلي فؤادك عن قلبي فذاك بذا
تمثال حسنك ما ناجى مخيلتي

بالحبِّ لکنَّهُ لم یرعني سَمَعَا
یا لیتَهُ مثلُ قلبي بالجوى صُعدَا!
فضلُ المحبِّ، فهل تجفین من قنعا؟
إِلَّا وخطُّ النوى — وا حسرتي — قطعَا
أدري بأني فتىً بالحبِّ قد فُجعَا
إذ في لحاظك عنوانُ الهوى طبعَا
يكنُّ على باطن المحبوب مُطلَّعا
يُجيزُ من لجديد جاء مخترعَا
من حبُّها في فؤادي طالما رتعا
لو لم يكن لجميع اللطف قد جمعا
بل افخري بفتىً مثلي له خضعَا
سوى الجبان، وكم تُدْمى به الشُّجعَا!

أشكو لقلبك ما قاسيتُ من ألم
فربَّما الدُّلُّ عن شكواي أشغله
إنني قنعتُ بممرِّك الجميل وذا
ما مسَّ دائرةَ الأشواق حظ لقا
لا تظهرني لي شوقًا منك حسبي أن
وإن كتمتِ الهوى عني فذا عبثُ
من يرجُ تخفيف أثقال الغرام فلا
فها اخترعتُ جديدًا بالغرام فمن
يا منية القلب، يا ذات الدلال، ويا
ما كان بدد منك التيه مصطبري
لا تفخري بمحييِّك الجميل سدَى
والحسنُ سيفٌ ولكن لا يُقلِّدُهُ

غلبة الغرام

والقلبُ يعشقُ والتعقلُ يردُّعُ
بقوى الجمالِ وماله من يدفعُ
قلبٍ على شرف الهوى لا يطبعُ
أشهى من المجد الذي لا ينزعُ
في عمره إن كان لا يتولَّعُ
قلبي بآلام الهوى يتفجَّعُ
وجناتها وردُّ الصبا يتضوَّعُ
وعنت لطلعتها البدورُ الطلَّعُ
بيضٌ مجردةٌ وسمرٌ شرَّعُ
كم لي لديك تذللٌ وتخشُّعُ!
وإلامَ دمعِي كالسحابة يهمعُ؟
بسواكِ يا خيرَ الدُّمى لا تُصدعُ
وعلى سواكِ تجمُّلُ وتصنُّعُ

الحسنُ يمنحُ والتدللُ يمنعُ
والحبُّ يجتذبُ القلوبَ إلى العنا
وفمُ الجمالِ يقولُ لي: لا خيرَ في
ذقت الصبا في الصبا فوجدتها
والمرءُ لا يدري حقيقةً لذَّة
ولقد ولعتُ بغادةٍ قد غادرت
حسنا ينتعشُ الفؤادُ بها فمن
دانت لها دُولُ الجمالِ بأسرها
فإذا انثنت ورنْتَ قُتِلْتَ وفي الهوى
يا ربَّة الحسن الذي ملك النهى
حاتمَ تفتكُ بالفؤادِ يدُ الجوى
قلبي لغيرك لا يميلُ، ومهجتي
إنَّ الجمالَ عليك صنعةٌ خالقٍ

هامت بميلتها الغصونُ اليُنْعُ
إِلَّا وكان لها بقلبي موقعُ
قد كاد يقتلُّه الغرامُ المفجعُ
يا خيبة الشكوى لمن لا يسمعُ
تجدي فتىً هو من بنانك أطوعُ
طعتُ الهوى، فأنا عصيٌّ طيِّعُ
بملامي فلقد حمته الأضلعُ
غرقت به روحي، فماذا أصنعُ؟
عندي قبالة كلِّ عينٍ إصبغُ
نيل المنى، هيهات عنه أرجعُ
بك قد وهى جلدٌ وسحت أدمعُ؟
بشمول رقتها المتيمُّ مولعُ!
والصبُّ يُخفِّضُ بالغرام ويُرفعُ
إذ ليس في قلبي لغيرك موضعُ
عينيَّ جوهرهً وغيْرُك يرمعُ
طرب الزمانُ بها وطاب المسمعُ
بي عند قلبك ذي القساوة يشفعُ
قلبي فتاه وجنَّ وهو اللودعُ
نور المحاسن فوق وجهك يلمعُ
بصري، ففوق ستار قلبي تطبعُ
كبدِي غدا رعدُ الغرام يلعلعُ
فالبدرُ ليس عليه يوضعُ برقعُ
عيني فمن مراكٍ ليست تشبعُ
فمتى بلذات اللقاء أتمتعُ
بالشوق، لكن مقلتي هي بلقعُ
دهرٌ يُفَرِّقُ تارةً ويُجمّعُ
إن كان عني طيبٌ وصلك يُمنعُ

لكِ قامَةٌ قام الدلالُ بها وقد
ولواحظُ هنَّ السيوفُ فما رنت
رفقاً أيا ذات الدلالِ بمغرم
أشكو لقدك ما لقيتُ من الجفا
لهواكِ أخضعتني الزمان فأمري
ولقد عصيتُ العاذلين لأنني
هيهات أن يسطو العذولُ على الهوى
والعشقُ بحرٌ لا قرارَ له وقد
كثرت عيونُ الراقبين وإنما
قد سرتُ في سُبُل المحبَّة طالباً
أرحيمة الأعطاف، هل تدرين كم
لله ما أحلى شمائلك التي
رفع الهوى قلبي وأنت خفضته
مهما فعلت من الجفا فهو الوفا
والله لا أهوى سواكِ فأنت في
فلكم بحبكٍ قد نشدتُ قصائدًا
لكِ معطفٌ قد رقَّ حتى خلته
وتدلُّ أورى زناد الشوق في
فقت الغزالة يا غزالُ فطالما
لكِ صورةٌ بضياكِ قد نقلت إلى
فبروق حسنكِ ما بدت إلَّا وفي
لا تحجبي الوجه الجميل ببرقع
فأودُّ لو سكنت بوجهكِ ذي البها
طال الجفا والقلبُ ذاب تشوقًا
أضحت ببعدي مهجتي مأهولةً
فكرهتُ عمري حين فرَّق شملنا
لا أشتري طيب الحياة بدرهمٍ

فأنا بطيفك في منامي أقنع
لولا خيالك لم يطب لي مضجع
ألم الجوى ما للجبال يُصدع
ونواظر في روض حسنك ترتع
يا من تركت حشاشتي تتقطع
قلبا بحبك هائما يتوجع؟
أبداً وعند الغير أخضر مُفرغ!
كان الوداد تكلفاً لا ينفع
كالمال، لكن عند بعض ينع
جهة، ومن جهة يفيض وينبع

فإذا منعت الوصل ردي النوم لي
أرجو الكرى علّ الخيال يزورني
فلو اطلعت على الفؤاد لشمّت من
رعياً لقلب في هواك معدّب
أستعذب التعذيب في سنن الهوى
كيف السبيل إلى لقاك فإن لي
عجباً لغصن رضاك عندي يابس
أبديت ودّاً في التكلف لي وإن
والحبّ يحلّ عند بعض غرسه
والمال مثل الماء فهو يغيض من

وقال:

هُنّ السيوفُ وبى فتكن ذريعا
يضربن إلا أكبداً وضلوعا
قلب عنا ذلاً لها وخضوعا
سفكت دمي واستنزفته دموعا
يبرح لأمرِك سامعاً ومطيعا
لم ترّض إلا في حشاي رتوعا
فصبت إليه وعانقته ولوعا
غصن الأراك جثا لهنّ ركوعا
بشمولها فحسا ومالاً سريعاً
قلبي فعاد بأسرهنّ وقيعا
بضحى شباب لا يكفّ سطوعا
علياه خرّ لدى سناه خشوعا
خجلت وعادت لا تودّ طلوعا
وإلى متى أغدو به مصروعاً؟
قطعت قلبي بالجفا تقطيعاً

لولا عيونك ما غدوت صريعا
مقلّ يسلس سوادها بيضاً ولا
ويلاه كم جارت مضاربها على
يا أخت أم الخشف كفي أعيناً
وترفقي بمتيّم في الحبّ لم
وتلفتي يا طيبة الأنس التي
لله جيد فاق رونقه الحلى
ومعاطف هيف إذا خطرت لدى
وشمائط طافت على خلو الحشا
وغدائر وقعت سلاسلها على
تسري نسيم اللطف تحت ظلالها
هذا جمال إن بدا للبدر في
وإذا رأت شمس السماء طلوعه
يا للهوى حتام يتلفني الهوى
ولأنت يا ذات الجفا رفقا فقد

لا تقتلي صبًّا قتلتِ رقادهُ ظلمًا، فأمسى باكيًا مفجوعا
أترينَ بعدي مَنْ بحبِّكِ يعتني مثلي على طبع الوفا مطبوعا
لا والذي سواكِ أكمل عادةً وكسكِ سربالِ الجمالِ بديعا

وقال إلى الخواجا «إلياس صالح» في «اللاذقية» لحادثة جرت:

البدرُ من ذروة الدُّجى طلعا والنجم في لجة السنا وقعا
والأرض بُردَ الضياءِ قد لبست والأفقُ ثوبَ الظلام قد خلعا
فقطّع الليلُ سحبهً وغدا يلقي على وجهِ بدره قطعًا
حتى يحامي قلاعَ ظلمته فإنه لانقلاعها فزعا
فالكلُّ حتى البهيمُ وأعجبي! لم يحتمل سلبَ حقه فسعى
نعم فلا أصمتنُ عن رجلٍ بسلبِ إنعام خالقي طمعا
حاشا لمثلي يروحُ في هلعٍ والله غيرُ الدنيِّ ما هلعا
والموتُ خيرٌ لباسٍ برزت له الأعادي ففرَّ مندفعا
رأى حسودي جمالَ غانيتي فهامَ فيها، ورام أن يضعها
فأكثَرَ السعيَ بيننا وبذا أضرَّ أوطاره ولي نفعا
وشى فوشى الهوى بكلِّ هوًى فراخَ يرعى السكوتَ والوجعا
كالرعدِ رجَّ الجبال فاتصلت فغار في الهاويات منقطعا
ما الرعدُ في الجوّ يا عدولُ سوى برقٍ مُذ افتَرَّ ثغرها ركعا
فكيف لا أعشقنُ مبسمها يومًا وأرعى عواذلي سَمعًا؟
يا عاذلي، ما أصبتُ قطُّ فلا تعذّلْ وكنْ عاذرًا ومقتنعا
أتعبتُ مسعاك بالفساد وما لصانع الشرِّ غيرُ ما صنعا
ومن أعادَ الفسادَ عادتهُ أضحى عدوُّ الورى ولو هجعا
ما يفعلُ المرءُ يلقيه فإذا رعى تسامى، وإن بغى وقعا
لا بدَّ من وقعةٍ لكلِّ فتى ونهضةٍ كيفما صحا ووعى
من سار في مسلكِ الظلام غوى في سيره، فالحزوم من رجعا
على طريقِ الحياةِ كامنَةٌ أسدُ الشقا، والسعيدُ من قطعها
والناسُ يشكونَ دهرهم وهُم للدهرِ دهرٌ، فكم بهم صُدعا!

ما الدهرُ إلا طباعهم فإذا
 هم يُضرمون الحروبَ بينهم
 هم يسفكونَ الدما وهم شرعوا
 عصوا قضاءَ النظامِ فانتثروا
 والكلُّ من جزئهِ أَجَلٌ فَلِمَ
 حتى غدا ذا عدوٌّ ذاكَ لذا
 وها عليَّ العداةُ قد هجموا
 واسترجعوا يفسدونَ في حلبٍ
 فسلَّ ما حَسَبَ رأيهِ قلمٌ
 وغار كالباسلِ الشجاعِ على
 وراحَ كلُّ يلوُمُ صاحِبهُ
 هذا الأديبُ الذي الزمانُ له
 سعى فنال المرادَ منتفعا
 ونعمةُ الله لا تجيءُ سوى
 يا صاحبي أنتَ لي إذنَ عَضُدٌ
 كنْ ناحرا كلَّ من بغى وطغى
 فأنتَ لا تختشي أخا نكدٍ
 ألْبستني إذ حميتَ عن دُمني
 تاجَ امتنانِ أبي البلى، فعلى
 أنتَ الأخَ الحقُّ لا عدمتُك من
 لولاكَ كان العدوُّ منتصرا
 قومٌ كحياتهم غدوا حُكما
 أشتكي الدهرَ ذا الخطوبِ ولا
 فالدهرُ كالظعنِ، والجميعُ له
 قاسٍ وهيئاتُ أن يلينَ ولا
 ومن أصار القساءَ عادتهُ

شكا الفتى طبعهُ اشتفى طُبعًا
 هم يهدمونَ الحصونَ والقلعا
 لبعضهم ما الإلهُ ما شرعا
 والكلُّ للجزءِ كالجدا خضعا
 ذا الحكمُ في الناسِ رُدٌّ وانردعا
 كلُّ من الخوفِ باتَ منصرعا
 وإن رأوا حملتي انتثوا جزعا
 وصالحُ اللانقيّةِ اطلعا
 وحسبَ رأيي مهندٌ قطعاً
 جمع الأعادي ففرّقَ الجمعا
 حتى غدا اللومُ بينهم بُدعا
 أعدٌ إكليلَ رفعةٍ لمعا
 وكم فتى قد سعى وما انتفعا!
 أربابها لا لمن بها طمعا
 وصارمٌ راحَ يخرق الدُرعا
 وناصراً كلَّ من وعى ورعى
 حتى ترى الليثَ يختشي الضبعا
 أيامَ هجري حمى ومُرْتبعا
 رأسُ أبي العوثَ بالوفا وُضعا
 خلَّ إذا غابَ ذو وفاء طلعا
 ما بين قومٍ تدينوا الورعا
 وكالحمامِ الوديعِ هم وُدعا
 أضجُ مهما لنقمتي اخترعا
 حادٍ، فمن ضجَّ حتّ ما ظلعا
 يرى سوى الغبنِ من بذا شرعا
 لم يُثْنِه لا رجاً ولا شُفعا

ثمرة الود

صبُّ بحبك منصرع
 يا شمس حسنٍ قد علت
 إن أرجعتك يد القلى
 داوي المتيم باللقا
 كبدي على الحب التظت
 أصبو لوجهك في الدُّجى
 عينك سحرٌ لو سرى
 يا قلب لا تعص الهوى
 واعص العذول ولو لحا
 واقنع بوصل ربيبة
 فدلالها عطر الصبا
 وأنا هو الصب الذي
 صاد لسلسال اللما
 وإذا أشعت قصيدة
 كحبيب برنوطي الذي
 خلُّ له لاق الثنا
 خَلِصُ الفؤاد وفيه
 يرعى الوداد كأنه
 سامي الذكا، عالي النُهى
 ولذا اخترعت مديحه
 أفديك يا راعي الوفا
 حتام تكتم نفسك الـ
 هل تخفي شمس الضحى
 وبطول صدك منصدع
 رفقا بقلبي متضع
 عني فلست بمرتجع
 وارثي لصب منفع
 وصبت، ولي دمع همع
 ما لاح نجم مرتفع
 بفؤاد «هاروت» صرع
 عطف الحبيب حلا قطع
 وإذا هذى لا تستمع
 دلت، ونعم المقتنع!
 قات الفؤاد المنتجع
 لي بالهوى قلب ولع
 هل ردَّ صادٍ أو ردع
 فبغير خلٍّ لم أشع
 للود يومًا لم يبع
 فيه التعقل متسع
 بادي الدراية مطلع
 هو للمودة مشترع
 والعلم فيه مجتمع
 يا حسن مدح المخترع
 بالنفس ما وتر شُفع
 فُضلى؟ فدع هذا وذع
 والغيم عنها منقشع؟

قافية الغين

وقال:

فأنا لربِّ العذل لستُ بصاغٍ
بجميع ألحانِ الغرامِ تناغِي؟
طلب المحالِ، وكم يخيبُ الباغي؟
لعذرتني عوضَ الملامِ الطاغِي
طوقَ السنا، فأكرِمَ بلطفِ مصاغٍ!
إذ أقبلتِ نحوي بخيرِ صباغٍ
ضرمَ الفراقُ لهيبهُ بدماعي
إيداعهُ في الثغر والأصداعِ
دُرِّراً، ويحلو الدُرُّ في الأرساغِ
عني وليسَ عليه غيرُ بلاغٍ

دعني وشأنك لا تكن بي لاغي
كيف السلوُ عن الهوى وجوارحي
يا من بغى سلوانَ قلبي أنتَ في
لو كنتَ تعلمُ من أحبُّ من الدُّمى
غيداءُ قد صاغَ الجمالُ لجيدها
وغزالةُ صبغَ الحياءُ خدودَها
وا فرحتاهُ! مُدُّ التقينا بعدَ أن
وأطلت لثمَ المعصمينِ محاولاً
حتى جنت أرساغها من عبرتي
أرسلتُ دمعِي كي يبلغها الهوى

وقال:

فما بغتِ إن تمنَّتِ قتلتي وبَغَتِ
في مهجة الصبِّ منها شمسهُ بَرَّغَتِ
أشكو ولم أرها يوماً إلَيَّ صغتِ
وكلُّ باهرةٍ للناظرين طغتِ
ما برقعتِ وجَناتٍ من دمي صُبغتِ

لله عينٌ بعلمِ السحر قد نبَغَتِ
وقامةٌ مثلُ غصنِ البانِ قد خطرتِ
من لي بها، غادةٌ جارت وما رَحِمَتِ
ربيبةٌ كلُّ حسنٍ، تحتَ برقعها
لو لم تُكُنْ قتلتِ قلبي بمقلتها

وكلُّ نفسٍ عصتُ أمرَ الحبيبِ بغت
كانت إلى شمس ذاك الخدر قد بلغت
آلت ولكنني برّيتُ وهي لغت
ولاطفتها دموعُ كالبحار طغت
إلى دم أزيدت من زفرتي ورغت
كنانةً من نبال الغنج ما فرغت
بين الطلى والطحى حيث النجوم صغت
نار الجوى حدقُ في جنّةِ ربغت
والسنُّ النار عنها للقلوبِ نغت
ونقمةٍ أولدتها نعمةٌ سبغت!

مهما جنتُ فأنا راضٍ بما رَضِيتُ
لولا تذللُ نفسي في الغرامِ لما
آليتُ حلفةً صدق لا سلوتُ وقد
أصلت فؤادي نارًا قطُّ ما لطفَت
ذي أبحرُ الدمعِ سحرُ الطرفِ حولها
أفدي عيونًا رمتني، والجفونُ لها
لمّا أضعنَ فؤادي رحتُ أنشدُهُ
يا للهوى! من لقلبٍ قلبتهُ على
ذي جنّةِ الحسن منها للحشى سَقَرُ
كم نعمةٍ أنتجتها نقمةٌ دمغت

قافية الفاء

وقال:

وعاملُ الهجر عني ليس يصرفهُ
والقلبُ في موضعِ الأشجانِ موقفهُ
أُعْطيتُ بحرَ دموعٍ كنتُ أذرفهُ
حتامَ أنتَ بنارِ الصّدِّ تتلفهُ
ليت الحبيبَ يرى شوقي ويعرفهُ
وردًا أكادُ بأيدي الفكرِ أقطفهُ
وذي دموعي ولكن لا تُلطّفهُ
وذا اصطباري ولكن لا يخففهُ
تُلقي نقابًا على وجهٍ يشرفهُ
ولا تركتَ شفاةَ السّترِ ترشفهُ
ضياكُ ينفذُ في قلبي ويكشفهُ
إلّا وكاد ببرقِ الحسنِ يخطفهُ
من مغرمٍ لم يَنلُ فوزًا معنّفهُ!
ولا تدعُ فلتاتِ الهذرِ تسعّفهُ
بنعمةٍ ظنُّ أن الدهرَ ينصفهُ
إذ ليس يعلمُ أن الناسَ تأنفهُ

شوقٌ لوصلكِ وأو الصدغِ تعطفهُ
فما احتيالي وسيفُ اللّحظِ منصلتُ
ويلاهُ قد قتلتِ صبري العيونُ فلو
يا من بقلبي هواهُ قد هوى ونما
ناديتُ إذ فتكتِ أيدي التشوّقِ بي
يا طالما قد حمت عن ناظري مقلُ
هذا فؤادي، وذا جمرُ الغرامِ به
وذاك قلبي، وهذا الوجدُ أثقلهُ
لو كنتَ تعلمُ ما يلقي فؤادي إذ
لما جعلتَ على ثغر الضحى حجبًا
سرُّ الهوى غامضُ، فارخِ اللثامِ عسى
ما لاح وجهك ذو البشرى لدى بصري
بيني وبينك قد جدَّ العذولُ، وكم
لا ترعَ سمعك للواشي أيا قمري
إن الجهولَ إذا ما الدهرُ جادلهُ
يتيهُ عجبًا، ويُعلي أنفهُ عجبًا!

وقال:

وإلام أنت علي لا تتعطف؟
 رفقا؛ فجيئش الصبر أوشك يتلف
 ذنب؟ أجبنني؛ قد عهدتك تنصف
 عدد الجمال وما ثناه مخوف
 والطرف سيف، والقوام مسقف
 أبدا، ولي طرف لغيرك مطرف
 يثني فؤادي عن هواك معنف
 سمعي تؤثر بالفؤاد فيرجف
 قمرًا، ولكن نوره لا يخسف
 ورد بغير نواظري لا يقطف
 هذا لنا كاس، وذلك قرقف
 إلا لأبصار المتيم يخطف
 لكن لذاك اللطف وهو الأشرف
 قلب يذوب، وأعين لا تنشف
 رفق، فكيف ظلمتني يا «يوسف»!
 إلا ومن جفني المقرح أرفع
 بك أيها الغصن الذي لا يقصف
 لطفا، ولست به لغيرك أتحف
 فإذا أضفت إلى الرضا أتعرف
 قلبي على بلوك ما لك مسعف
 جلدًا؛ فإن الحب داء متلف
 جبل أصم، وذاك قاع صفصف؟
 إن التصبّر في البلية يُعرف

حاتم وعدك بالوصال يُسوف
 يا من أثار على الحشا حرب الجفا
 أحل في شرع الهوى قتلي بلا
 أفديك من ظبي أعد لقتلتي
 فالخذ نارًا، والعذار سلاسل
 يا بدر لي حدق بوجهك حدق
 أنت الحبيب فلا أروم سوى ولا
 خطرات ذكرك كلما خطرت على
 أطلعت من تحت القناع لأعيني
 وعلى خدودك قد بدا لذوي الهوى
 لك مبسم عذب، وريق طيب
 ما لاح برق من جمالك في الحمى
 إني عشقتك لا لحسنك وحده
 هيهات أن أسلوك يا قمري ولي
 أورثتني أحزان «يعقوب» بلا
 لم أرع في غسق الدجى شهب العلى
 هلاً ثناك عن الصدود تغزلي
 غزل حكي الصهباء فعلاً والصبا
 إن كنت يا ذا السخط عندك نكرة
 أبلى الهوى قلبي بكل أسى فيا
 فاحف الهوى عمن يلومك وادرع
 أيعينني جلد على البلوى وذي
 والصبر يحلو للفتى بمصابه

وقال:

يا أيها العشقُ حيث الرشدُ لا يقفُ
فليس للصبِّ إلَّا الذلُّ والتلفُ
حربٌ وسحرٌ لديه القلبُ يرتجفُ
عينيَّ إلَّا وكادَ العقلُ ينخطفُ
قد ذلَّ من قام فيه الكبرُ والصِّلَفُ
ويلاهُ! فالقلبُ مني غاله الدَّنَفُ
باللهو، لكنني بالعجز أعترفُ
لأوشكت تحتها الأمواتُ تنشغفُ
يزهو بنهدين لا يغشاهما كلفُ
إلَّا لسلبِ فؤادٍ كله شغفُ
كذا لها فضلٌ حسنٌ فيه تتَّصفُ
فصلًا به عن جميع الكونِ يختلفُ
وفي فؤادي عناءٌ ليس ينصرفُ
بحريرةٍ قد ثوى في جرحها اللهفُ
فرط العذابِ الذي يجري به الأسفُ
يد الغبيِّ وأبقى الشهمَ ينتزفُ
أوغادُهُ في هوى يعزى له الشرفُ

ماذا أقولُ: أذلُّ فيك أم شرفُ؟
هيهات ما دام حكمُ الحسنِ منتصرًا
حكمُ له خضعت كلُّ النفوس بلا
فما بدت طلعةُ الحسنِ العجيب لدى
يا طلعةً غلبت كلَّ القوى ولها
وا حسرتها! فبي أودى الغرامُ، ويا
أفدي التي طالما قاومتُ سطوتها
بديعةً لو مشت يومًا على تُربٍ
وغادةٌ ذاتُ جسمٍ كالرخام بدا
نهدان كالفضة البيضاء ما برزا
فلي غدا حبُّها فصلًا أقوم به
كلُّ من الكونِ أعطته طبيعته
يا من على أعيني ألقت غشاءً هوًى
طعنَت قلبي فوا حزني، ووا ألمي!
أبكي وليس البكا يجدي المحبَّ سوى
بئس الزمان الذي ألقى عنانك في
فلا رعى الله دهرًا فيه زاحمني

وقال:

بهنَّ شهيدًا من عن النهم ما عفا!
فتندمَ عمَّا فات، إذ تلدُّ الحتفا

تجنَّب طعاماتٍ غلظنَ فكم قضى
ولا تزوجنَّ البطنَ بابنة أكلةٍ

وقال:

أعطافُها قد شربنَ خمرة الظَّرفِ
فكان سكري قُبيلَ الراح بالطرفِ

بالطرف أومت إلى الكاساتِ ناهدةً
فرحتُ سكرانَ لا عقلٌ ولا جلدُ

وقال:

أرتنا في رياض الحسنِ لمّا
عليه بلبلُ الألبابِ غنّى
تثنتُ غصنَ قدّ ذا شنوفٍ
فقامَ اللحظُ يرقصُ بالسيوفِ

خيانة العهد

وغدرُك لم يترك بقلبي سوى الوفا
وما كنتُ أدري ما بقلبك من خفا
فمن يسلمها رغمَ الهوى يجد الصفا
ثناني الحجا عنه، فحسبي تشرفاً
خلّثها ساءت، وعنّها الوفا انتفى
تركتُ الهوى، لكن ودادي ما عفا
إذا لم يكن باهي السجية منصفا
فإنّي ممّن قابلَ الغدرَ بالوفا
ولكنّه أقوى احتمالاً من الصفا
فذا شبهُ قبرٍ بالبياضِ تزخرفا
بوجهك يوليكَ المقامَ المشرفاً
وكنّتُ على حتفي بحبك مشرفاً
زمام، وأن تبدي البديلَ الوفا جفا
فحسبي ما لاقيتُ منك وقد كفى
بذاتك عمري لم أكن متعرّفاً
بوادي هواك هائماً متلهفاً
وها قد دعاهنّ السلوُ إلى الشفا
سدّى فعليه اليومَ تبكي تأسفاً
فيا ليتني طعْتُ العذولَ المعنفاً
يحاولُ أن يُغري النفوسَ ويُتلفاً!
فتى ليس يهوى من تُسيءُ التصرفاً

دعاني إلى السلوانِ صدك والجفا
عشقتُك جهلاً مذ تظاهرت بالولا
وهيهات أن تُصفي المودّة غادةً
إذا جذبتني للتصابي يدُ الصبا
وما أنا ممن يرتضي بهوى التي
فإن كنتِ قد عفّتِ الودادَ فإنني
أنا لستُ أهوى ذا بهاءٍ بوجهه
ولم أحنِ الميثاقَ حتى منيتي
فقلبي صافٍ كالزلال وليّن
إذا لم يكن فعلُ الجميل كوجهه
فلا تحسبي أنّ الجمالَ الذي بدا
سلوتك مذ خنتِ العهودَ جهالةً
ومن عادةِ الحسناءِ ألا تقومَ في
جرعتُ كنوسَ الذلِّ والعزُّ جانبي
أضعتُ شبابي في المحبّة، ليتني
لحا الله أياماً بها كنتُ ضارباً
بحبك قد أودى السقامَ بأضلعي
وإن تكُ عيني بالهوى هدرت دمي
فكم من عذولٍ في هواك عققتّه!
وما الحسنُ إلّا ساحرٌ خادعٌ، فكم
دعيني دعيني من هواك فإنني

إذا ما رأى ودَّ الحبيبِ تكلفا
بثورة عقلٍ طالما كان مسعفا
على دوح قلبي طائرُ العزِّ رفرفا؟
رياض قويقٍ حيثما الطيرُ قد هفا
هناك الأمانى والتهانى والصفاء
كواعبٍ أتراباً يعاطينَ قرقفا
جفته الصبا ما الغصنُ يحنو تعطفاً

وقد ينثني قلبُ المحبِّ عن الهوى
فحرَّرتُ روحي من عبوديَّةِ الجوى
أرجعُ للحبِّ المذلَّ وكم وكم
ولم يمحُ عن صدري رسوم الهوى سوى
هناك جلاء الحزن والكرب والضنا
سقى الله روضاً قد ألفتُ بظله
فلا باعد الوسميُّ ذاك الحمى ولا

إلى «الخوaja إلياس صالح» في «اللاذقية» جواباً لرسالةٍ أتته منه:

ومسَّقَفُ أرداك أم ذا معطفُ؟
وسلافَةُ أخذتك أم ذا مرشفُ؟
لك أم غزالٌ حسنه لا يكسفُ؟
وجدُ تمورٌ به القلوبُ وتتلِفُ؟
خذُ منه حذركَ فالهوى لا ينصفُ
فهى الظُّبا ولكم جريحٌ مدنِفُ
بلواحِظِ يعنو لديها المرهفُ
قد قام حيثُ الصبرُ قاعُ صفصفُ
كلفُ لحبِّ الغير لا يتكلفُ
تُوحى له بالطيِّباتِ فيعرفُ
لا زلتُ من كاس الصبابةِ أرشفُ
وضياء عَيْنٍ بالمدامعِ تنزفُ
ورضيتِ قطعَ الوصلِ وهو المسعفُ
قد عادَ في صدري يجدُّ ويجدفُ
عينيَّ طيفُكِ واقفُ مستوقفُ
شُهَبَ العلا فغدت كمثلِي ترجفُ
خُطبَ السكوتِ وبالتصابي يهتفُ
ترجو الهدى وسوى الضيا لا يكشفُ

حَدَقُ سفكنَ دماك أم ذي أسيفُ
وسوالفُ غشيتُ فؤادَكَ أم دُجى
وهل الغزاةُ قد بدت من أفقها
وضرام جمر في حشاك يثورُ أم
يا أيُّها الصبُّ المقيمُ على الهوى
وتوقُ إن غازلتِ ألحاظَ الظُّبا
بأبي وبى أفدي التي هدرت دمي
هيفاءُ في قلبي هواها كالرُّبى
ومليحةٍ لم يألُ عهدَ ولائها
وإذا المحبَّةُ مزجت روحَ الفتى
يا وردةً بيد الصبا يا من بها
بل يا مليكة مهجة بك قد عفت
رضيتِ قلبي تحت أثقال الجفا
وقصصت جَنح الصبرِ من قلبي لذا
فشردتُ لا ألوي على أحدٍ وفي
يا ليلةً ليلاء هالَ ظلامُها
حيثُ الدُّجى يتلو على كلِّ الملا
والأرض في عمق الفضاءِ شريدةُ

سلمُ هناك ولا خلاصُ يسعُفُ
فالقصدُ عندي صالحُ مستظرفُ
وله يُجرُّ من اللياقةِ مطرفُ
وبلفظه لوحُ الفصاحةِ يُرصفُ
وبدُرِّه أذنُ الزمانِ تُشنِفُ
خمرًا وأين الخمرُ فهو الأشرفُ؟
وتضجُ عن طربِ إليها القرقفُ
يُتلى كأنَّ السحرَ فيه مُخَلَّفُ
علَمًا باللقابِ الصلاحِ يُعرَفُ
تبغي الوفا، وأنا لديها محجفُ
وصفت فشمْتُ بها خيالك يعطفُ
وكأنها لما أتتني «يوسفُ»

وأنا أخوضُ بحارَ شوقٍ حيث لا
وإذا غدا أملُ التخلُّصِ فاسدًا
فتى احتوى كلَّ الحذاقةِ والذكا
ينسابُ في ثوبِ المعارفِ مارحًا
شعرٌ له طربت إليه ذوو الحجا
أننى ثملتُ به وملتُ ولم يكن
كلمُ يصح بطيبها كلمُ الحشا
من كلِّ معنى يسلبُ الألبابَ إذ
كن يا بن صالحٍ بين أربابِ النهي
وردت عليَّ اليومُ منك خريدةُ
وصفت صفاتك لي بخير بلاغةٍ
فكأنني «يعقوبُ» من شوقي لها

وقال:

وثغرك أم عقدُ الترائبِ أشرفُ؟
خدودك أم وردُ الخمائِلِ أتحفُ؟
فأشرقُ في قلبٍ من الوجدِ يتلفُ
رأيتَ غصونَ البانِ تصبو وتعطفُ
وإن شامتِ الأقمارِ نوركَ تخسفُ
تكادُ شמושُ الكونِ في الأوجِ تكسفُ
لماها وريقُ الثغرِ مسكُ وقرقفُ
فيا حبذا غصنُ رشيقُ مهفهفُ
وقلبي في نارِ الصبابةِ يرجفُ:
لهُ جسدٌ من لطفِ ودكِ أنحفُ؟
وإني ضعيفُ من جفونك أضعفُ؟
على حملِ أثقالٍ، فإنني مدنِفُ
وإني في الهجرانِ مضنى ومُتلفُ

حسامك أم عيناك أمضى وأرهفُ
وفرقت أسنى أم هلالُ السما؟ وهل
فديتك يا بدرًا تلاًلاً حسنهُ
إذا رنحت عطفيك رائحةُ الصبا
وإن رأيت الغزلانُ جيدك أطرقت
بروحي من الغاداتِ غيداءَ إن بدت
عليلهُ أجفانِ صحيحةُ أعين
وقامتها غصنُ بقلبي غرستهُ
أقول لها والطرفُ سح سحابهُ
رويدك حتامَ الجفا لمتيم
وكيف أطيّقُ الهجرَ أحملُ ثقلهُ
فلا تحسبيني مثلَ خصرِكَ قادرًا
فخصركِ يقضي الوصلَ منك على المدى

إِلَامَ إِلَامَ الْهُجْرِ يَهْتَكَ أَعْظُمِي
أَمَّا أَنْتِ غَصْنٌ فِي رِيَاضٍ مُحَاسِنِ
وَلَكِنْ دَلَالُ الْخَوْدِ يَجْدِي نَفَارَهَا
وَلِلصَّبِّ قَلْبٌ لَا يَزَالُ عَلَى ظَمَا
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا كَالزَّمَانِ فَإِنَّهُ
زَمَانٌ لِقَوْمٍ بِهِجَّةٌ وَتَرْفُهُ
فَكَمْ يَبْتَلِي نَاسًا وَيَهْتَكَ عَيْشَهُمْ
كَأَنِّي بِهِ يَأْبَى الْوَفَا لَذَوِي النَّهْيِ
وَحَتَامَ مِنْكَ النَّفْسُ لَا تَتَعَطِفُ؟
وَعَهْدِي أَنَّ الْغَصْنَ يَدْنُو وَيَعَطِفُ
فَهَلَا التَّفَاتُ لِلنَّفَارِ سَيَخْلِفُ!
وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا مِنَ الثَّغْرِ يَرْشَفُ
يُذَلُّ الْفَتَى طَوْرًا وَطَوْرًا يَشْرَفُ
كَذَاكَ لِقَوْمٍ حَسْرَةٌ وَتَحْيِيفُ
وَكَمْ لِأَنَاسٍ رَاحَ يَرْعَى وَيَسْعَفُ!
وَيَرْعَى ذِمَامَ الْجَاهِلِينَ وَيَنْصَفُ

قافية القاف

وقال:

لقد قلَّ مَنْ في الناسِ ينطق بالحقِ
فلا شرفٌ يعلو على شرفِ الصدقِ
وفى حقّه أضحى به أكبرُ الخلقِ
بل الكبرُ في هزِّ اليراع على الرِّقِ
وعزَّ شريفٌ بالتواضع قد رُقي
ولم يهبط الجريالُ طوعاً إلى العمقِ
فذا خُلُقٌ يَأْبَاهُ كُلُّ أخِي حذقِ
ترقى العلا وهو الكبيرُ على الأفقِ!
فكم بينَ فعلِ الخيرِ والشرِّ من فرقِ
وهل لعلعت يوماً رعودٌ بلا برق؟
بلا طلبٍ فالسحبُ من طبعها تسقي

أما والذي قد زيّن المرءَ بالنطقِ
فما أشرفَ الإنسانَ إن كان صادقاً!
لسانُ الفتى في فيه أصغرُهُ فإن
وما الكبرُ في هزِّ الخصور تبخترًا
فذلَّ دنيُّ بالتكبرِ يرتقي
وليت دخانُ الأرض لم يصعدِ العلا
يُصغِرُ قدرَ المرءِ تعظيمُ نفسه
ألم ترَ أنَّ البدرَ يصغرُ كلما
فعالُ الفتى تعلو به أو تحطُّه
إذا لم يبنَ فضلٌ فلم يشدْ مادحُ
وكلُّ أخِي فضلٍ يجوّدُ بفضلِهِ

حوادث

إلّا وهام القلبُ بالأشواقِ
إلّا وسالَ دمي من الآماقِ
ولّى وجرّ عني أمرٌ فراقِ

ما لاح برقُ الغور في الآفاقِ
والورقُ ما صدحت على أفنانها
أبكي على زمنٍ نعمتُ به فقد

فاليومَ بينَ والغداةَ تلاقِ
 إِنَّ السَّهَادَ دَلَالَةُ الْعِشَّاقِ
 هذا النوى! عطفًا على المشتاقِ
 بجنونِ «قيس» وحرقةِ «البراقِ»
 رشفِ اللمى وتوسُّدِ وعناقِ
 والوصلُ للعشاقِ كالدرِّياقِ
 يزري وميضُ البارقِ اللَّاقِ
 وبنارِ خدِّكِ رحتُ في إحراقِ
 كان الهوى خمراً وطرفكِ ساقِي
 والحبُّ مصدرُهُ من الأحداقِ
 خطِّي ذاكَ القَدَّ أينَ الواقِي؟
 عاينتُ عقلاً بيعَ في الأسواقِ
 أرجو النوالَ، ولستُ ذا إملاقِ
 عهدَ الولاءِ وذمةَ الميثاقِ

ومن المحالِ دواؤُ حالٍ للفتى
 بَعْدَ الحبيبِ فلا رقادُ بعدهُ
 بالله يا ذاتَ الدلالِ إلى متى
 تركتني البرحاءُ بعدكِ رافلاً
 لم يطفِ ما في القلبِ من حرِّ سوى
 وبغيرِ وصلِك لا تطيبُ جوارحي
 لك طلعةٌ تُسبِي النهى وتبسمُ
 فبنورِ وجهكِ قد هُديتُ إلى الهوى
 ولقد سكرتُ بمقلتيكِ وطالما
 فإذا نظرتِ إليَّ همتُ صبايةً
 وإذا انتنيتِ تمرَّقتِ كبدي فمن
 قد بعثُ في سوقِ الهوى عقلي وما
 ولقد مددتُ يدي إليك بذلةٍ
 فتعطَّفي يا نورَ عيني واذكري

وقال ملغزاً بثلاثة أغان:

خلَّ يداً أبكيتهَا كالحَدَقِ
 وها أنا أشقُّ عطرَ الزنبقِ
 أغفلتني، قلتُ: إذن لم تعشقي
 وكلَّ عينٍ عاشقٍ لم تُطبِقِ

قالت وقد أطلتُ قبضَ يدها:
 فقلتُ: ما هذي يدُ بل زنبقُ
 قالت: دح الهزو فإن رقيتهُ
 فإن للمعشوقِ عيناً طُبقت

وقال:

واسعِفْ معاشرَ كادَ الشوقُ يمحَقُهُم
 كمثُلَ آنيةِ الفخارِ تسحقُهُم

قصَّرَ نواك فقد أودى البَراخُ بنا
 أنزلت صاعقةَ البينِ الملمَّ بهم

وقال موشحاً:

أيها الظبي المفدى أنت للبدر شقيق
لك عيس الحب تحدى وعلى قلبي الطريق

دور

خذك القاني أراني ماء ورد في لهيب
ومحيأك سباني بسنا الحسن العجيب
أنت ما بين الحسان بدر تم لا يغيب
وغزال راح عمداً لدم الأسد يريق
ثغرك الباسم أبدى لؤلؤا بين عقيق

دور

بالذي أنشا قوامك فتنه بين الأراك
زر أخوا الشوق غلامك لا تخف عينا تراك
حمل الصبح أمامك وحمى الليل وراك
وغدا العنبر عبداً لك، والمسك رفيق
والمعنى لك مدداً يد ميثاق وثيق

دور

لين الأعطاف رفقا لمتى عني تميل؟
أتلف الأحشاء رشقا طرفك الرامي الكحيل
وسبى القلب وأشقى ناعم الخد الأسيل
فجرى دمعي وجدا من لظى العشق المحيق
من لصب قد تصدى لغريق وحريق؟

دور

لست لا والله أسلو عن هوى في استقر
فالهوى يندو ويحلو كلما جف ومر
ورخيص السعير يغلو فيه والغالي استمر

بئس من لم يهوَ قَدْ
فهو غاوي ليس يَهْدَى
لَدِنَ العطفِ رشيق
وَنَثْوَمُ لا يُفِيقُ

غواية الدعوى

ومذ كثر الكذابُ قلَّ المُصَدِّقُ
ولكن إذا ما شاهدَ الغابَ يخفقُ
وإن خاضَ في ماءِ الجداولِ يغرقُ
فرارٌ وعندَ الخبرِ كلُّ يُحَقِّقُ
أخو حمقٍ فذمٌ فذلك أحمقُ
يُداوَى، فإنَّ التركَ أخرى وأليقُ
فَدَعُهُ لتدبيرِ الطبيعةِ أوفقُ
ولكنَّ سوقَ اللؤمِ والجهلِ ينفقُ
لكلِّ امرئٍ فصلٌ عن الغيرِ يَفْرُقُ
فذا نابحٌ يعوي، وذلك ينطقُ
يُرَدِّدُهُ في ذهنهِ ويُدَقِّقُ
ولو كان يدري ما رأى راح يصفقُ
شجاعٌ، ولكن بالحقيقةِ يَرْهَقُ
ولا بالرجالِ المكثُ في الخدرِ يَلْبَقُ
وبابُ الهدى دونَ الغوايةِ يُغْلَقُ
ولم يدرِ شمسُ الأفقِ من أين تُشرقُ؟
فقابلُهُ من فضلِ حلمي فيلقُ
وما هو إلا عندَ ذي الخبرِ برجقُ
ضعيفٌ يقاويني وإنِّي أرفقُ
ولا سعةٌ في العيشِ والرزقِ ضيقُ؟
فذاك بأغلالِ القبائحِ يوثقُ
وهل بذليلِ نعمةِ العزِّ تلحقُ
بها قزلُّ، تبأ له! كيف يصدقُ؟

قليلٌ بذَا الدهرِ الكلامُ المحققُ
يقولُ: أَرَدُ الأُسْدَ، من يدَّعي القوى
وكم من قليلٍ يدَّعي خوضَ أبحرٍ!
وفي السَّلمِ سيفُ الجبنِ قولٌ وفي الوغى
ومن لا يسدُّ الأذنَ عَمَّا يقوله
أرى الجهلَ داءٍ يقبلُ الزودَ كُلُّما
إذا كان داءٌ لستَ تدري دواءَهُ
بذا الدهرِ سوقُ الفضلِ والعقلِ كاسدُ
وما لجميعِ الناسِ بالعقلِ أسوءُ
فهل ميِّزَ الحيوانَ إلَّا فصولُهُ؟
وذو العقلِ لم يحكم على الشيءِ قبلَ ما
وغمرِ رأى بي مذ صفوتُ صفاته
قويٌّ ولكن تحتَ سقفِ جدارهِ
وليس يليقُ الكرُّ في الحربِ للنسا
دعوه فقد أغواهَ فرطُ ادِّعائه
أيدركُ ما فرقَ الصوابَ عن الخطأ
وشنَّ عليَّ غارةَ الذمِّ والهجاءِ
أنا ذلك السيفُ الصقيلُ فرندهُ
كليلٌ يجارينني، وإنني لاعبُ
وهل يفعلُ المحتاجُ فعلَ أخي الغنى
ومن لا يردُّ النفسَ عن شهواتها
عجبتُ لذي ذلٍ يحاولُ عِزَّةً
أتى يدَّعي سبقَ الجيادِ ورجلُهُ

دليلُ الفتى: خلقُ وفعلُ ومنطقُ
على كلِّ مَنْ بالكبريا يتخلَّقُ
وباطنه فيه الردى متعتِّقُ
وهيهات من أين الصديقُ المحقِّقُ؟
بحبِّ ولكن بالشتيمة يرشِّقُ
وأبقت حشاهُ بالهوى يتعلَّقُ
فتلك انتفت عنه، وذى فيه تَلصِّقُ
ففألُ، فمنه أقشعرُّ وأزهقُ
فلا البردُ يضيئه، ولا الحرُّ يحرقُ
بطلعتِه يزري البدورَ فتمحِّقُ
على الدَّعجِ الفتانِ والدِّلْ تُطبِّقُ
ومن صانَ حرصاً ماله ليس يُسرقُ
بها قد سبى قلبي فيا ليت يشفقُ
بدا في رياضِ الوردِ والآسِ يعبِّقُ
فنمن، وباتت مقلتي تتأرقُ
أباحَ بهِ الدمعُ السخينُ المرققُ
لكم ذلك الظبي الذي أتعشِّقُ

وما هزَّه للقولِ غيرُ تكبُّرِ
وإني أرى العلياء يصعبُ نيلُها
يُرى الناسَ طبعاً ذا صفاً وسلامةٍ
وقد يلبسُ الأعداءُ ثوبَ أصادقِ
وها اليومُ هذا الخلُّ جاء مبرقَعاً
أحبَّ فتاةً غادرتُه مشتتاً
بغرَّةٍ أضحى ملغزاً لي وعزَّةٍ
وألغزتُ في «سعدى» فصادف قشعرِ
ومن يفقدِ الحسَّ استوى الكلُّ عندهُ
بروحي جميلُ الخلقِ والخلقِ أهيفُ
غزالٌ غزا القلبَ الشجِّيَّ بمقلَّةٍ
يصونُ عن الأقمارِ والشمسِ حسنهُ
لهُ وجنةٌ حمراءُ عن شفقِ بدتِ
على خدِّه قد لآخَ خالٌ كعنبرِ
قد اختلستُ مني الرقادَ جفونُهُ
أحاولُ إخفاءَ الغرامِ وطالما
فيا زمرةَ العشاقِ لستُ بمعلنِ

وقال:

سَحَرًا، وسبَّحَ حكمةَ الخلاقِ
والبدرُ كأسٌ والثريا السَّاقِي

نزَّهَ لحاظك في حدائقِ بالسما
فالأفقُ روضٌ والمجرةُ جدولُ

وقال:

مهفهفًا رام تعذيبي وما شفقًا
جعلتُ أرجو إلى مرضاته طرقًا
وطارقُ السهد بالأجفانِ قد طرقًا

عشقتُ ظبيًا يحاكي خدُّه الشفقًا
مذ حلَّ قلبي هواهُ والهوى قَدَرُ
الرشدُ فارقَ عقلي في محبتهِ

نفقتُ في حبِّه رُوحِي ومصطبري
أرعى اللثامَ ضحوكًا وانثنى فبدا
إنَّ الأطباءَ خجلنَ عندَ لفتتهِ
يا مَنْ أراقَ دمي هجرًا وغادرني
يا طالما باتتِ الأماقُ سائلةً
هجرتُ نومي وواصلتُ السهادَ دجىً
لم يبقَ لي في الهوى جلدٌ ولا جلدٌ
ترى أيعطي وصولاً لي بما نفقا؟
بدرٌ تبسّمَ نورًا فوق غصنِ نقا
والبدرُ عندَ اسفرارِ الوجهِ قد مُحقا
سهرانَ عُذْ مدنفًا لولاك ما أرقا
سيلَ العقيقِ وبات القلبُ محترقا
والصبُّ من شأنه لا يهجع الغسقا
وفُكُّ صبري ببجرِ الدمع قد غرقا

وقال:

نامت عيونُ النجوم في الأفقِ
قدّمتُ في هيكل الهوى كبدي
حبُّ الدُمى قد أعادَ فودي في
أفدي بروحي مليحةً خلقتُ
لمياء، فتانةَ العيون لها
تهتزُّ كالسمهريِّ قامتها
أبدت من الفرع غرّةً فبدت
قبلتها فانجلى بوجنتها
تغرّلي راقٍ للحزوم بها
في حبّها قد عشقتُ شيبِي مذ
وما هويتُ البياضَ في عنقِ
ومقلتي لم تزل على أرقِ
ضحيةً للحدودِ والحدقِ
شيبٍ وأبقى الفؤادَ في حرقِ
من اللطافاتِ لا من العلقِ
خدُّ بدت فيه حمرةُ الشفقِ
فلم تدعُ للمحبِّ من رmqِ
زجاجةُ الصبح في يد الغسقِ
وردُ الحيا تحت لؤلؤِ العرقِ
لكنّما للحسودِ لم يرُقِ
حاكى بياضًا بذلك العُنُقِ
لو لم يكن مثلَ قلبٍ «هند» نقي

وقال إلى أحد أصدقائه تاريخًا لمولود له:

زال عنكم ليلُ الأسى وتبدى
بهلالٍ ولدتموه أصيلاً
فأخبروا يا مؤرخون أباهُ
سَحَرُ الأنسِ، فأبشروا بالشروقِ
ينجلي بالسعودِ والتوفيقِ
فَرَجُ الله قد أتى بعدَ ضيقِ

الفراقُ

وشوقٌ حلَّ من صبري الوثاقا
يضجُ جوى ولا يرجو انطلاقا
تقاسي في جهنمه احتراقا
كأن عليَّ من عشق نطاقا
وصارعتُ الأسى عضداً وساقا
إذا كان الحبيبُ بغى افتراقا؟
فهل يدري لأيِّ دمٍ أراقا؟
فيا ويلاهُ! كم أصلي اشتياقا!
إطالتكم ضنا قلبي فراقا
يُعاطي مُهجتي كأساً دهاقا
هواها لي اصطبأحاً واغتباقا
بقربي منك لاقيتُ المحاقا

هوى مذ تمَّ أورثني المحاقا
وقلبٌ في شراكِ الحبِّ أضحي
هو الحبُّ الظلومُ وكلُّ نفسٍ
فأننى ملتُ شمتُ هوى وشوقاً
ألفتُ ضنّى، وألفتُ التصابي
وكيف يطيبُ لي في الحيِّ عيش
أحبائي، أراقَ دمي نواكم
ضمرتم في الحشا نارَ الأثافي
أطيلوا باللقا بلوى حسودي
وليلٍ بتُّ فيه وفرطُ شوقي
أرددُ ذكرَ من أضحي وأمسي
أشمسَ الحسنِ، إنِّي بدرُ حبِّ

قافية الكاف

وقال:

حدُّ عنه، إن التَّيَّهَ في سوء السلوكِ
ويلٌ لمن تأتي على يده الشكوكِ

يا سالِكا شوط النميمة في الورى
شككت أرباب السذاجة والتقى

الصباية

ونورُ نصبَ عيني أم بهاك؟
أطبي أنت أم غصن الأراك؟
وتيهك لم يذر لي من حراك
فعن وصلي فديتك من نهاك؟
ولا عجب فهدب كالشباك
فهلاً رشفة لي من لماك
بمن لم يحيه إلا لقاك
مقيم يا مناي على وفاك
بدا، ولكل تيه قد هداك
تذوب جوانحي إذ لا أراك
حكي طيراً يرفرف في شراك
شجي تيمته مقلتك
على جمر زكي من هواك

أنارُ ضمن قلبي أم هواك
أيا ذات التلفت والتثني
دلالك قد سبى صبري وعقلي
عن السلوان حسنك قد نهاني
ببحر الحب جفك صاد قلبي
حشاي بنار هذا الوجد ذابت
جفوت فكنت أن أقضي فرفقا
إذا ما رميت أن تجفي فيني
جمالك قد هداني للهوى مذ
عيوني إذ رأتك تذوب لكن
ولي قلب بحبك يا حياتي
إذا ما كنت خالية فيني
عيوني قد شهدن بأن قلبي

فإن لم ترحمي سقمي ودمعي
ولا يخلو المحبُّ من اتضاع
إذا ما شئت تعذبي فعذبٌ
وإن أك في هواك قتلت ظلمًا
فها إنني قضيت ولم أنل من
يروم العاذل الخالي سلوي
فليس سواي في حلب محبٌ
ألا يا نفس، ما هذا التصابي؟
علام تغازلين الحسن إذ لا
حياة عاشقين شقا وموتٌ

فبالله ارحمي ذلَّ انتهاك
ولو بلغ الوصول إلى السماك
لدي إذا غدا فيه رضاك
فروحي يا معذبتني فداك
وصالك ساعةً ليدم بقاءك
فليت عيونه يومًا تراك
كذلك ليس محبوبٌ سواك
وما هذا الهوى؟ فدعي عناك
يفيدك غير بوس واشتباك؟
وراحتهم هلاكٌ في هلاك

وقال:

فتكت بالفؤاد أعظم فتك
ودمي شاهدٌ فإن جرحته
بين عيني والثغر منك طباق
لا تشكي إذا شكوت بعادي
لك قرطٌ يشكو مسافةً بعد
لا تشكي بلوعتي وهيامي
خصرك اللدنُ قالبُ التيه فيه
إنما الثغر واللمى زق خمر
فلك الحسن هاج بحر غرامي
أنت مديونةً بعهدي فإن أنـ
بظلام الأثيث أمسى افتضاحي
لي نفس ذابت جوًى وجفونٌ
أجفنٌ مذ نثرن لؤلؤً وجدي
يا لصب بالروح أشرق لماً

صعدة القد يا مليحة منك
عينٌ ظبي فخذ ورد يزكي
فهو مستضحك بما هي تبكي
عنك، فالصب مؤلّع بالتشكي
عن عقود تبتز دمعني لتحكي
لا تشكي يا منيتي لا تشكي
سبك الظرف والهوى خير سبك
ختمته يد الجمال بمسك
وفؤادي يطفو عليه كفلك
كرت فالسر في يدي خير صك
وبصبح الجبين أصبح هتك
تضرم الحب بالدموع وتذكي
كان جسمي النحيل أليق سلك
غص بالدمع، يا لصب مبك!

وقال موشحاً:

صرتُ يا قاتلَ الأسودِ قتيلك وأنا لم أزل أراعي سبيلك
كم أعانيك كم أقاسي كحيلك! يا طيببي، أمرضتَ قلبي دخيلك
يا مداوي العليل داوِ عليك

دور

يا غزالاً غزا فؤادي نفارا وهلاً على الأهلّة جارا
كلما لحتْ غابَ عقلي وطارا طال هذا الصدودُ، فاقصرْ طويلك
يا مداوي العليل داوِ عليك

دور

رأتِ الشمسُ حسنَ وجهك طالع فشكتْ غبنها لكلّ الطوالع
ثم ناداك بدرها وهو والع تَه، فوالله ما رأيتُ مثيلك
يا مداوي العليل داوِ عليك

دور

هاجري لو علمتَ بعض مصابي كنت ترثي لشدّتي وعذابي
في هواك الظلوم شاب شبابي وأنا لا أودّ خلاً بديلك
يا مداوي العليل داوِ عليك

دور

خنتَ عهدي وما رعيتَ نمامي وأنا لم أخن عهدَ غرامي
رُدُّ يا ظالمي عليّ منامي علني أن أرى الخيالَ خليلك
يا مداوي العليل داوِ عليك

دور

إن تكن أنت يا حبيبي غزالا فانعطفْ، فالغزالُ يعطفُ حالا
وعلى كلّ حالةٍ لن أحالا حاشا لله أن أخونَ جميلك
يا مداوي العليل داوِ عليك

دور

ضاق صدري وعيل صبري بهجرك وأنا أسهر الليالي بشعرك
ليت شعري! أنا خلقت بأمرك كل عزمي وما رحمت كليلك
يا مداوي العليل داو عليك

دور

وقال متخلصاً باسم صاحب له:

يا أيها القلب، ما الذي شغلَكَ
إن كنتَ تصبو لذي الجمال فسم
يا قلبُ يا قلبُ لا تملُ أبداً
واخضع لأمر الهوى فذا ملكٌ
وظببيةً عنك حيثما كتمتَ
هيفاء إن أدبرت أرى بشراً
إذا انتنت فالقوامُ غصنُ نقاً
أتت وستر الظلام منسدلاً
قالت وقد ضمت النهود يدي:
بتنا ونور العفاف يرشدنا

أغرى بك الدهر أم هوى شملك؟
صبراً على هجره ولو قتلك
عن التصابي بمن به جبلك
يصول، واعص الخلي إن عذلك
سر الهوى تفضيه اللواحظ لك
لكن إذا أقبلت رأيت ملك
وإن بدت فالجمال بدر فلك
والقلب من حاسد الوصال هلك
أطلت بي يا أبا الجوى أملك
ل «يوسف» فهو بالعفاف سلك

وقال:

على مزاياك قد دلت ثناياك
حزت الجمال مزاناً بالحياء فما
من أين للبدد ذي الأنوار وجهك، أو
من لي بها أعياناً إن غازلت وغزت
أفدي جمالك بالنفس التي قتلت
صلي إذا شئت، أو صدي فحسبي أن
يزيدني الهجر أشواقاً فأشكره
تيهي فكل جميل عن جمالك قد

فحسن وجهك يحكي حسن معنك
أحلى حياك، وما أجلى محياك!
للغصن قدك، أو للطبي عينك؟
صالت على كل فتان وفتاك؟
به، فيا طالما عاشت بمرآك
تشي، وحسبك في الحاليين أهواك
ومنه أشكو، فيا للشاكر الشاكي!
روى، وكل لطيف عن سجاياك

ما للنسيم سرت في الروض عاطرة؟
وما لزنابق ذاك الروض يرفل في
لولاك لم يشتمل لفظُ الجمال على
وكلُّ وصفٍ أتى عن كلِّ غانيةٍ
في كل جاريةٍ مني هواك ثوى
وكلُّما لحتِ قالت كلُّ كاعبةٍ:
وإن تَبَسَّمتِ قالَ الدرُّ وهو شجٍ:

لعلَّها لَنَمْتُ لَمَّا سرت فاكِ
ثوبِ البياضِ؟ فهل ضمتهُ نهداكِ؟
معنًى، ولم يدرِ قلبي العشقُ لولاكِ
بالحسنِ بُولِغَ في معناهُ إلَّاكِ
لذاكِ أَرَجَفُ كُلِّي عندَ ذكراكِ
سبحان من لجميعِ الحسنِ أولاكِ!
على مزاياكِ قد دَلَّتْ ثناياكِ

وقال:

إذا كنتَ في أرضٍ بها يتهمُ الورى

أخا سلطنةً بالعدل؛ خوفًا من الفتكِ

وقال:

بحقٍّ مَنْ بالحسنِ قد جَمَّلَكَ
يا غصنَ بانٍ مالَ عن صَبِّهِ
ملكْتَ قلبي بالجمالِ فُسِّدُ
كُلُّ خضوعٍ في الهوى حُقَّ لي
سلكتَ طَرُقَ الصِّدِّ عَنِّي وما
وتهتَ حتى لو قدرتَ لما
أفديكَ ريمًا نافرًا آنَسَا
أَقْصِرْ نَفارًا مِنْهُ يا قاتلي
أَحْرَمْتَنِي مَرَسَخَ طيفِكَ هل
هيهاتَ أَنْ يَأْوِي الكرى مُقْلِي
أَحْسَنْتُ مَثْوَاكَ بِقَلْبِي أيا
أَخافُ مِنْ كُلِّ عَلَيْكَ فَلَوْ
بِاللَّهِ يا وَرْدًا على وَجْنَةٍ
حارسِكَ الطَرْفُ صَمَى كِبْدِي

من ذا على الهجرانِ قد حملك
ما أعشَقَ الصَّبِّ! وما أَمِيلُك!
بالعدلِ يا مَلَكًا بوجهِ مَلِكِ
وكلُّ حكمٍ فيه قد حُقَّ لك
داريتَ مِنْ طَرُقِ الودادِ سلكِ
أَبَيْتَ أَنْ تَصْعَدَ فَوْقَ الفلكِ
تبارك اللهُ الَّذي كَمَّلَكَ
تعجَبَ الطَّبِيبُ ومنَ عَذْلِكَ
تَحْرَمْنِي فِكْرِي إذا مَثَلَكَ
فهو لِعَمْرِي عاشِقٌ مُقْلِكَ
مولاي، أَحْسِنِ بالوفا عَمَلَكَ
زارَكَ طيفي خَفْتُ أَنْ يَصْلَكَ
زهراءَ لا تَعْتَبُ فَمَّا قَبْلَكَ
لذاكِ بِاللِّثَمِ فَمَيَّ أَشْعَلَكَ

وَأَنْتَ يَا ذَا الثَّغْرِ هَلَّا تَرَى	قَدْ نَهَضَ النَّهْدُ لَكَ يَنْهَلُكَ
وَأَيُّهَا الرَّدْفُ الْغَلِيظُ أَتَّيِدُ	مَا أَرْشَقَ الْخَصْرُ! وَمَا أَثْقَلَكَ!
وَسِمَ أَيْ ذَا الْخَصْرِ صَبْرًا عَلَى	تَثَاوُلِ الرَّدْفِ وَلَوْ أَنْحَلَكَ
هَذَا جَمَالٌ مَا لَهُ مَثَلٌ	فِي حُبِّهِ قَلْبُ الْمَعْنَى هَلَاكَ
يَا قَلْبُ أَنْهَكَتَ الْقَوَى بِالْهَوَى	سَبْحَانَ مَنْ عَلَى الْهَوَى جَبَلَكَ!
جَرَحَكَ الظُّبْيُ بِالْحَاضِلِ	لَيْتَ الَّذِي أَدْمَاكَ قَدْ أَدْمَكَ
لَا يَصْدُقُ الْحُبُّ إِذَا لَمْ تَمُتْ	شَهِيدَهُ، فَالْحُبُّ مَا قَتَلَكَ

قافية اللام

وقال يمدح جناب «نصر الله أفندي عبدالله دلال»:

بالُّ أبى إلّا انصلاتَ مقالِي
قولُ فهاك من الحجا أقوالي
حسبُ الفضيلِ شهادةُ الأجيالِ
هذا حسودُ لي، وذلك قالِ
وكذاك والدُهم أبو الأهوالِ
فكأنَّهم يرجونَ هدمَ جبالِ
أنا بالسميع، وما أنا بالسّالي
صمّتْ مسامعُه عن العدّالِ
تدعو الهوى بشمائل ودلالِ
جُنَّ الشَّجِيّ بها وحنَّ الخالي
أبدًا وما كانت لترحمَ حالي
طولَ الزمانِ على جفّا ووصالِ
نسيّتْ، وقلبي والولا في بالي
ينسى القَتيلُ خناجرَ القتالِ؟
ضي الحبِّ واستقضينهُ بوبالي
قطن المشيبِ عليّ ثوبَ خبالِ
غدرُ الزمانِ مشيبُ الأطفالِ

ما كان قطُّ فمي ليعصي بالي
إن كنتُ ذا نطقٍ وربِّ فمِ فلي
مالي وما للمنكرين فضائلي
جهدي أحبُّ بني الزمان وكلُّهم
بشُرُّ حذارٍ فأهمهم أم الدها
لي حُسْدُ يرجونَ هدمَ عزائمي
وعواذلُ حاولنَ تسليتي وما
وإذا الصبابةُ خامرت قلب الفتى
بأبي من الغيد الرباربِ عادةً
لله أَيْةُ آيةٍ في وجهها
ما كنت في الدنيا لأهوى غيرها
عاهدتها أني أكون أسيرها
فاسترهنت قلبي الوفيّ وللولا
تلكَ المحاجرُ قد سفكنَ دمي فهل
فبفضةِ النحر العيونُ رشين قا
مقلُّ غَزَلنَ ولي بذاك نسجن من
والله ما كبرًا مشيبِي إنّما

أَمْضَى وَأَقْتَلَ مِنْ ظُبَا وَنِبَالٍ
 ذَاكَ الْمَوَافِي مِنْ بَنِي الدَّلَالِ
 بَدْرُ الْكَمَالِ وَفِي الصَّبَا كَهْلَالٍ
 فَهَوَى عَلَيْهِ بِهَا بَدُونِ سَوَالٍ
 يَمْدُدُ يَدًا، فَالْحَرُّ غَيْرُ مَبَالٍ
 يَعْطِي وَلَا يَبْسُطُ يَدًا لِنَوَالٍ
 قَدْ قَرَّبَ الْقَاصِي وَأَدْنَى الْعَالِي
 تَطْفُو عَلَيْهِ بَوَارِجُ الْأَمَالِ
 فَاسْتَطْلَعَ الْأَيَّامُ دُونَ لِيَالٍ
 دَارَتْ عَلَيْهِ دَوَائِرُ الْإِجْلَالِ
 وَبَكَتْ عَيُونُ الْجَهْلِ وَالْجَهَالِ
 يَضْرِبُ بِهِ إِلَّا طَلَا الْأَشْكَالِ
 مَا زَالَ ذَا ثَمَرٍ بِغَيْرِ زَوَالٍ
 وَكَفَى اللَّئِيمُ قَبِيحُ ذِكْرِ بَالٍ!
 عَجَبًا! فَلَا بَحْرُ بِغَيْرِ لَالٍ
 أَهْلُ النِّفَارِ مِنَ الْمَقَالِ الْعَالِي
 وَأَخُو الْحِمَاقَةِ مُحَسَّنُ وَمَوَالٍ
 وَاسْجَعْ وَلَا تَسْمَعْ لَذِي أَقْوَالٍ
 لِمَقَامِ ظَرْفٍ أَوْ قَرِينَةٍ حَالٍ
 يَوْمَ الْكِرِيهَةِ مِنْ هُجُومِ قِتَالٍ
 عَالِيِ الْمَقَامِ الْكَامِلِ الْأَفْضَالِ
 هُوَ مَذْ رَأَى شَرَاكَ بِالْأَمْوَالِ
 شَرَفُ مِنَ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ
 خُسْفَ الْحَدِيثُ، وَتَمَّ كُلُّ مَقَالٍ

وَكَذَا اغْتِيَالِ الصَّاحِبِينَ فَإِنَّهُ
 كُلُّ رَمَى بِالْغَدْرِ مَعْرُوفِي سَوَى
 أَغْنَى بِنَصْرِ اللَّهِ مَنْ هُوَ فِي الْحَجَا
 شَهْمٌ رَأَى الدَّهْرُ أَخْلَقَ بِالْعُلَى
 وَأَمَدَهُ كُلَّ الرِّغَائِبِ وَهُوَ لَمْ
 سَيَّانِ إِكْثَارٌ وَإِقْلَالٌ لِمَنْ
 مِنْ لِي بِهِ رُكْنَ الْحَجَا بِيرَاعِهِ
 جَمَعَ الْعُلُومَ فَكَانَ بَحْرَ مَعَارِفٍ
 وَجَرَى يَمْزُقُ بِالسَّنَا حَجَبَ الدَّجَى
 وَحَوَى الْمَفَاخِرَ فَهُوَ قَطْبُ كِرَامَةٍ
 ضَحَكَتْ تَغُورُ الْعِلْمَ وَالْعُلَمَاءُ بِهِ
 ذُو مَنْطِقٍ أَمْضَى مِنَ الْهِنْدِيِّ لَمْ
 هُوَ مِنْ أَصُولِ الْفَخْرِ غَضْنُ مَكَارِمِ
 حَسْبُ الْكَرِيمِ مَلِيحُ ذِكْرِ دَائِمِ
 يَهْدِي لَنَا دُرَرَ الْكَلَامِ وَلَيْسَ ذَا
 وَيَهْزُ سَيْفُ مَقَالِهِ الْعَالِي عَلَى
 قَوْمٍ لَهُمْ ذُو الْعَقْلِ خَصْمُ سَيِّئِ
 قَلْ مَا تَشَاءُ فَإِنْ قَوْلَكَ رَاهُنْ
 عَارُ عَلَى أَهْلِ النِّهْيِ أَنْ يَصْمَتُوا
 وَمَنْ الْمَعِيبُ عَلَى الْكُفَاةِ فَرَارِهِمْ
 يَا أَيُّهَا الشَّهْمُ الْهَمَامُ الْعَالِمُ الـ
 مَا أَنْتَ بِالْأَمْوَالِ تَشْرِي الْعَزَّ بَلْ
 أَنْتَ الْكَرِيمُ أَبَا وَجَدًا مُحْتَدًا
 وَمَتَى كَرِيمُ الْأَصْلِ أَطْلَعَ وَجْهَهُ

وقال:

هَائِمَ الْوَجْدِ، هَائِجَ الْبَلْبَالِ؟

مَنْ لَصِبٍ غَدَا أُسِيرَ الْجَمَالِ

ما سباهُ سوى ذوات قدودٍ
بوجودِه كأنهن بدورُ
غانياتُ أطلعن من فلك الإز
بأبي غادةً إذا ما تبدَّت
لستُ أدري قتلي أمن طرفها النَّبُ
إن تثننت فبانةٌ من دلالٍ
خدُّها والجبينُ نارٌ ونورُ
دأبها الفتكُ والقتالُ بألحا
إن يكن حبها بقلبي داءٌ
لي فؤادٌ لرشفٍ مبسمها اشتا
ذاتُ تيهٍ تميلُ في قامةِ الغص
مذ طلبتُ الوصالَ والقربَ قالت:
وإذا ما المطلوبُ جاء على الطا

هزَّهنَّ الدلالُ هزَّ العوالي
وشعورُ كأنهن ليالٍ
رارٍ شهبًا بدت على آسالٍ
أخجلت بالجمالِ بدرَ الكمالِ
ببالٍ أم من قوامها العسال؟
أو تجلَّت فنيرٌ من جمالٍ
واللمى والطلأ ندى ولالٍ
ظ جعلن القلوب مرمى النبالِ
فالدواءُ العناقُ عند الوصالِ
قَ اشتياقُ الظمآن للجريالِ
ن وترنو بعين خشف الغزالِ
هل ينال الفتى طلابَ المحال؟
لبٍ صعبًا فالفورُ بالإهمالِ

وقال:

مهما تشنُّ الليالي
يا ويل جيش البلايا
إن كان درعي صبري
عارٌ عليَّ انثنائي
فالخطب كالريح عزمي
لا أشتكي فعل دهري
فالدهرُ خيرٌ دليلٍ
الدهرُ شيخٌ كبيرُ
يغنى ويفقر لكن
كل الأنام سكارى
حياتهم كمنام
وكل شيءٍ عليها

فإنني لا أبالي
من حملتي باحتمالي
فما سيوف النكال؟
تحت الخطوب الثقالي
أمامه كالجبالي
مهما جنى بالفعالِ
يهدي سُرَّةَ الضلالِ
مؤدَّبٌ للرجالِ
يأبى دواءًا لحالٍ
فيه بخمر المحالِ
وطيبها كالخيالِ
مصيرُهُ للزوالِ

وقال يهنيء سيادة المطران «بولس حاتم» رئيس أساقفة الروم الكاثوليكين في حلب بقدوم علامة الشرف له:

فحلّ فيه حلول الشمس في الحملِ
أحبابه فأتاهم طالب القبلِ
وراح يفتّر ثغر العزّ عن جذلِ
طاب الهناء ولذّ النيل للأملِ
إلاّ الحسود، فدعه في يد الخجلِ
وسام فخر أتى من أفخر الدولِ
أنوار آلائه الغراء في المللِ
مثل ازدهاء الربى بالنرجس الخضلِ
فأنت «بولس» في علم وفي عملِ
وفوق صدرك نجم المجد لم يفلِ
تكسرت بقواه شوكة الزلِ
كادت تخر لديه هامة الجبلِ؟
شأو المفاهر منذ الأعصر الأولِ
راع لكم يرعى ساهر المقلِ
تجري على القوم رفعا صيغة البدلِ
فعائل لم تشبها ريبة العللِ
من التشوّق ميل الشارب الثملِ
أهل سواه فوافته على عجلِ
فليهن بالأطولين: الباع والأجلِ
بين الورى وهو فرد فاقده المثلِ
ليس التكلّل في العينين كالكللِ

رأى الفخار محلاً عالي الكللِ
والدهر قد أطلع المجد الوطيد على
فعاد يهتز عطف الفوز عن مرجِ
وقد غدا هاتف البشرى يقول لنا:
فلم يعد من فواد غير مبتهجِ
كن بالغ البشر يا ذا الحبر «بولس» في
فأنت يا أيها الراعي الذي لمعت
قد ازدهيت بما أوتيت من شرف
لا بدع إن نال شعب الله منك هدى
فمن شفاتك شمس الرشيد مشرقة
رنت بوعظك أعماق القلوب وها
وكيف ذا القول لا يشجي النفوس وقد
روموا الهنا أيها الروم الذين رقوا
فقد أتى شرف من ذي الجلال إلى
وكلما ازداد رب القوم رفعتة
حبر أخو همم تحكي الصفاح وذو
على صفات إليها مال كل فتى
ومز رأت رتب العلياء ليس لها
أرضى المليكين في أرض وفي فلك
وحين خال سواه أن يماثلهُ
نادى السنا والسنا أرخ أضاء بنا

وقال:

وغازلت فاننتضت سيفاً من الكحل
وقدها يفضح الأغصانَ بالميل
منهنَّ أضحتْ خدود الورد في خجل
وأصبح الوجهُ منها سكر المقل
ريح الصبا، فانتثت كالسمرِ والذبل
أخطأ؛ فما لغصونِ البانِ من كفل
وريقها بهمي أحلى من العسلِ
إلا تغادرني كالشاربِ الثملِ
تأتي من الخدِّ عند اللثمِ والقبل
قلبٍ قضى بالهوى؟ وا حيرتي وبلي!
فليس من عوضٍ عنها ولا بدل
عيني إلى الغير حتى ينتهي أجلي

بدتْ فلاحَ هلال السعد من أسل
غيداء تجدح كاس السحر مقلتها
تسبي النهى بخدودِ زانها خفرُ
بي غادةُ جفنها خمرَ العقول غدا
عاتبتها وعتاب الحب ألطفُ من
من قاس يوماً بغصنِ البان قامتها
ألذ لي من عبير المسكِ نكهتها
فتانة الطرف لا ترنو مغازلةً
تلوح إن أسفرت شمساً حرارتها
بلي بنار الهوى قلبي الكئيبُ، وكم
كل المحاسن في أطوارها جمعتُ
لا كنتُ معجزةَ العشاق إن نظرت

الإقرار

فإلى كم تبدين تيه الدلال؟
قَ بقلبي صليل تلك النصال
غادرت مهجتي على تشعال
بهق الأرض تحت قوس الهلال
كل شيءٍ مصيرُهُ للزوال
قلةُ الودِّ شرُّ كلِّ الخصال
تُ تركتُ الهوى على كلِّ حال
ن جهولٌ وأعقلُ العقَّال
فِ وهذا من عادة الجهال
بِ ولو كنتِ كوكباً في الأعالي
رُ عظيم يعزى إلى الأنذال

أذنت بالمغيبِ شمسَ الجمال
وسيوف الألحاظ فُلَّت فلم يب
وخبث نارُ وجنتيك التي كم
وغدا نورُ ذلك الوجه يحكي
لا تلومي إن قلتُ: حسنُك ولَّى
لم يدُم منك غيرُ قلةٍ ودَّ
لو يدومُ الودادُ منك لما كن
لك نفسُ تهوى الجميعِ فسيّاً
قد بحثت بالظلف جهلاً على الحث
لا تظني أني سأرجعُ للحُبِّ
فرجوعُ الكريمِ عن قصده عا

كيف أهواك بعدما لاح لي منذ
 أين تلك العهود؟ أين الوفا؟ أيـ
 هل جميع الذي بدا منك لي مرَّ
 إن يكن فخره لك الغدر أضحي
 لي نفس عزيزة ليس ترضى
 إن تكوني بلا وفاء ولا ودَّ
 وأنا لم أزل وفيًا ودودًا
 لك إن كنت قد خضعت فكم يخـ
 وعلى القلب إن سطوت فقد يسـ
 قد كفاني ما قد لقيت من الحبِّ
 كم سفحت الدموع من حرِّ ذيًا
 إنما الآن لم يعد في فؤادي
 ومن الممكنات إن تك نفسي
 كلُّ شيءٍ فيه التناقض لم يو
 فاغتنم من دنياك يا قلب ما طا
 كن بما أنت في قضاؤه مجداً

وقال:

كل امرئٍ خُصَّتْ به أفعالُ
 لولا رجالُ الغوث ما بين الورى
 ذو الفضل إن ينهض لعونٍ لم يعد
 من يفرقُ الشهم الغيور من الذي
 والعقل أخفى ما يكون من الفتى
 لا يجني بالأموال عقلٌ لامرئٍ
 لم يخلُ دهرٌ من رجال مكارمٍ
 ولكلِّ فعلٍ نسبةٌ ومقالُ
 لعرا الضعيف تشئت ووبالُ
 للغاصبين من الأنام مجالُ
 يبغي الأذى لو لم تقم أعمالُ؟
 ذاتاً وعنه تظهر الأشكالُ
 لكنمّا بالعقل يجنى المالُ
 ولكلِّ دهرٍ دولةٌ ورجالُ

وقال إلى الخواجا «جبرائيل دلال»:

إن كنتُ أسمعُ عذلَ العاذلِ الخالي
لا تعذّلوا فأنا راضٍ بذِي الحالِ
شوقي إليها عنْ أذني صوتِ عذالي
كما يلذُّ لصادٍ نهْلُ جريالِ
حسبي هواها غدا بين الوري مالي
فاعجبْ لضدين وفقاً أتلّفا حالي
تميسُ تيهًا ويثنيه كعسّالِ
والقلبُ كالنارِ مني في الهوى غالي
بنارِ حبِّ ذكتها ريحُ بلبالِ
هذا الحجابُ بأحشائي، فبشرى لي
وجدتهُ في هواها خيرَ سربالِ
يغنى عن المسعفين الأهل والمالِ
فتهنُ سكرًا، وملنَ ميلَ آسالِ
من حسن طلعة «جبرائيل دلال»
قد حاز كل مقامٍ زاهرٍ عالِ
وراحةُ الحبِّ عنه تدفعُ القالي
هار النفائسِ ندبُ خيرُ مفضالِ
دوح الفعائل فخرُ الصحبِ والآلِ
عقيلةُ الفكرِ، فانظرْ جيدها الحالي
بلؤلؤٍ قد أتى من أبهر الببالِ

لا كنتُ صباً صبا للخذِّ والخالِ
يا من مددتم إلى لوم المحبِّ يدًا
خيالُ «لبنى» بعيني دافعُ بقوى
يلذُّ لي شغلُ قلبي في محبتها
ما لي اقتناء سوى حبي لها أبدًا
الكسرُ والنصرُ في أجفانها اتفقا
قوامها يسلبُ الألبابَ إن خطرت
الخصرُ كالماءِ منها قد غدا رخصًا
غنصُ اضطباري ذوى تقدي معاطفها
بالسمر والبيض لما أعرضت حجب
مذ سربلتني ثوبَ السقم أجفنها
الصبُّ يسلو بمرآها الربوعَ وقد
أعطافها ثملت من خمر مقلتها
زادت محاسنَ حتى خلتها اقتبست
فرعُ الأصائل بل أصل الفضائل منْ
ظلّت عيونُ السنا والمجد ترمقه
صدرُ المجالس نبراسُ الدوامِس مظل
ربُّ الجمائل محمود الفضائل مم
قد جنّتك اليوم يا بادي الشهامة في
خودُ بدت لك من خدر النهى وزهت

وقال:

وعودي مغرمَ الوجه الجميلِ
وقاكِ الله، ما ذنبُ القتيلِ؟
فملتُ وما لسكري من مثيلِ

أميلي عودَ قامتكِ أميلي
قتلتِ الصبَّ بالهجران عمداً
أدرتِ كئوس بينِ يا حياتي

إذا ما كنت ظاعنةً فقلبي
ببعدي قد غدا جسمي نحيلًا
فهل من عطفةٍ يا هندُ يومًا
سباني نرجسُ يعلو شقيقًا
فتنتِ بخدك الوردِيّ عقلي
سكرتُ بخمر عينيك وفيه
على جذب العقول عمدت حتى
خذيهِ حادي الناقِ الذلولِ
وطرفي راعي النجم الضئيلِ
على المسلوب بالطرف الكحيلِ
على رمانتي غصن نحيلِ
بروحي نضرة الخد الأسيلِ!
أريتكِ كيف عربدة الثمول
كأنك كهرباء للعقول

وقال مقرضاً كتاب مجموعة أشعار إلى الخواجا «إلياس فرج اللبناني»:

لكلّ مجدّ في الورى نفعُ فاضلِ
يسابقُ بعضُ الناس بعضاً بجهدهم
إذا لم يكن نفعُ لذي العلم والحجا
كذاك إذا لم ينفع المرء غيره
ولا يحسبن المرء أن اجتهداه
فكلُّ امرئ بين الصروف موقعُ
حذارِ فتركُ الجهد عارٌ على الفتى
أضاق انتشار العلم حبلُ جهالةٍ
أديبُ جنينا اليوم من ثمراته
أتانا بما للعقل ينهجُ مسلّكا
بتحفة أبكار القرائح والنهى
أرانا مقام الخال في كلِّ حالةٍ
وجاء بترصيع الحقائق بالهدى
فمن غرر غراء تحلو لدى الذكا
أحبّ انبثاث العلم في الناس فأنبرى
وما الحبُّ إلّا خصلةٌ إن تغلّبتْ

وليس يفيدُ العلم من دون عاملِ
وما كلُّ كَرٍّ بالهوى كَرٌّ باسلِ
فما هوَ بينَ الناس إلّا كجاهلِ
يُعدُّ كشوك بين زهرِ الخمائلِ
يحاشيه من طاري صروف الغوائلِ
وقوعُ صريفِ الإسم بين العواملِ
ولو كان مغلولاً بكلِّ السلاسلِ
ومن فرج كان انفراج الحبائلِ
نواضح تحلو في غصون المسائلِ
إلى الرشد والتهذيب بين الأفاضلِ
زرينَ بأقمار السماء الكواملِ
وأظهر بطلانَ الحسودِ المقاتلِ
بمحموعة ترنو إلى كلِّ سائلِ
ومن جكم يصبو لها كلُّ عاقلِ
يُطارحُ أربابَ النهى بالمشاكلِ
على المرء كانت فيه خير الفضائلِ

وقال إلى «محمد عاقل كاشف زاده» في الإسكندرية جواباً له عن قصيدة بعث بها

إليه:

وغازلت، فجميل الصبر مقتول
عيناي غصناً عليه البدرُ محمول
طرفٌ بائثم ذاك الحسن مكحول!
فالرمح يهتزُّ، والهندي مسلول
هدى بصبحٍ عليه الليلُ مسبول
بدرٌ له من صفات الحسن تكميل
صبري وشوقي مقطوعٌ وموصول
فهل لظلمك يا ضحاك تعديل؟
فراح للطرف يشكو وهو مذهول
إلى الهوى، ففؤادي اليوم متبول
تُبدي شمائلَ فيها الظرفُ مشمول
له على نفحات العطر تفضيل
حملت قلبي ما لا يحمل الفيل
يوليكَ رفقا وصبرُ الصبِّ مقبول
ذوق، وما الحبُّ ممن ذاق مملول
والعقلُ منِّي بالآمالِ معقول
لكن لذي الصبر منحاتٌ وتجميل
أكداره فاجتلاء الصفو مأمول
وعادة الدهر تغييرٌ وتبديل
هيهات ما ذاك للإنسان مبذول
وربَّ يؤس عن النعماء معلول
لكن ذا الجهل مغلوبٌ ومغلول
يرى الحقائق، والمجهول مجهول
وحكمة لا كما قيل المثاقيل
يباع في سوقه إلا الأباطيل

بدت فقلبي بذاك الحسن مشغول
خودٌ إذا ما أماطت برقعا نظرت
ترنو إليّ فكم للوجدِ يجذبني
فإن رنت وانثنت لم أستطع جلدا
ضللتُ في صبح ذيك الجبين ولا
ومذ دجى ليلُ ذاك الفرع لاح به
من لي بها ذات دَلٍّ في محبتها
أبكي فيضحك بي ظلماً مقبلها
صبا إلى قدها قلبي فأتلفه
ولحظها بقوى الإدلالِ جاذبني
دبت بقلبي شمولُ الوجد حين أتت
شهيّة الظلم وا ظلمي! ومبسمها
كفي دلالك يا ذات الجمال فقد
يا قلب، صبرا على جور الحبيب عسى
فالحسن يقتادُ نحو الحبِّ كلَّ أخي
كم بتُّ والليلُ يغريني بنيّره
إن الغرام لمن لم يصطبر محن
وراحة المرء بالصبر الجميل على
لكلِّ حال بهذا الدهر مُنقلب
يرجو البقاء على السراء كلُّ فتى
وكم شقا لنعيمٍ قد غدا سببا
ذو العقل في معرك الأقدار مقتدر
وعقلُ ذي الحزم مرآة الأمور بها
وقيمة المرء علمُ زانه عمل
من يطلب العلم لا يهو الثراء فلا

وذو الجهالة بالأموال مردول
فالعاقل الفرد سيف سلّه الجيل
ندب، أديب، بماء اللطف مجبول
روض بظل الصفا والبشر مطلول
فخرًا وليس لذا التركيب تحليل
فيما فتاهت بذكراه البهاليل
عليه من رقة الألفاظ إكليل
وللمسامح تهليل وترتيل
سكّان مصر على حُسادكم صولوا
لثابت الرأي منه قطّ تحويل
له من الناس شكرًا وتبجيل
قلبي؟ فقد جُمعت فيك التماثيل
بالفضل كم لي منك اليوم تخجيل!
فلا قرى غير قلبي وهو مهزول
لا أستحقّ وللأشكال تأويل؟
درّ تحلّت به عذراء عَطْبُول
نضو السقام وفيها البرء محمول
ما صاح فوق رُءوس الأيك زغلول

أخو الدراية بالإقلال مُنتدب
والجهل إن مدّ بين الناس شوكته
شهم، حزوم، لبيب، فاضل، فطن
من يلقه يألف البشرى فطلعت
تركبّ الحسن والحسنى به فسما
هو الأديب الذي شاعت براعته
لكلّ معنى دقيق شعره ملك
ورقة الشعر للحوباء كاس طلاء
فدّ بمصر تسامى بالعلوم فيا
إذا رأى فهناك الحزم قام وما
أبدى التواضع إذ حاز العلا فلکم
بمن تمثّل ذا الشخص الفريد أيا
يا أيها العلم المهترّ جانبّه
بعثت نحوي بضيف المدح وا خجلي
لم أدر هل ذاك مدح أم هجّا لي إذ
منظومة منك قد جاءت تتيه على
فقمّت أبسط أعذاري لها وأنا
ورحت أهديك شكرًا قد غدا شغلي

وقال:

هذا الذي قد رمى «هاروت» بالخجل
به على مُقلّ سالت من المقل
يضرّبن قلبًا فماذا ضربة البطل؟
تلاسم تنجلي والسرّ غير جلي
من وقعها أصبحت تشكو من الملل
في فتكها الصبّ أضحي فاقد الحيل
ما بت أسهر طول الليل في الغزل

يا للصبابة، كلّ السحر في الكحل
هو الهوى فخذوا حذرًا فكم مهجّ
للأعين السود بيض لا تقلّ فإن
ينفثن سحرًا على لوح الفؤاد له
تلك العيون التي ما ملّ قلب فتّى
ضعيفة الحيل تزري الأسد قوتها
ولا مغازلة الألحاظ ناعسة

زال الهوى حيث لا شيءٌ بلا أجلٍ
 لكنَّما جوهر الأشياءِ لم يَزَلِ
 كما تحارُّ بأصل الشيءِ والأزَلِ
 ذا الحدُّ يشملُ أدنى الشيءِ فانذهلِ
 عجائبًا لا ترى في خلقه الجمَلِ
 فالصمتُ أولى من التبكيتِ للرَّجلِ
 إلى السدادِ استردَّتْها يدُ الخطلِ
 بأسهم الزورِ لا يلقى سوى الفشلِ
 كالغمر والزُّورُ أن يعشق فلم يحلِ
 توحشت وغدت وحشًا بلا مثلِ
 تُبنى على النارِ والبتارِ والأسلِ
 حصد الأمانِ وزرع الزعرِ والوجلِ
 على الملا، وأتى بالبؤسِ والعِلِ
 تحت المصائبِ نضو الكدِ والعملِ
 عينٌ ولا زلقت رجلٍ إلى الزلِ
 بلا نياط، فقد ذابت على الغلِ
 فقلتُ: بل قَبَحَتْ كَفُّوا عن الجدِ
 حَلِي؟ فقلتُ: وما أحلاه في العطلِ!
 يبدو له كلُّ أمرٍ غيرٍ محتملِ
 في البيدِ يرتع بين السهلِ والجبلِ!
 والأرض تغذيه بالألبانِ والعسلِ
 ولم يكن قلبه يدري سوى الجدِ
 يُهدى بها غيرَ هيأٍ ولا وجَلِ
 ولا يهابُ صروف الدهرِ والدولِ
 بالنهبِ والسلبِ والتدليسِ والختلِ
 أو رُبَّ مالٍ رماه الله بالبَهَلِ
 أردى الفتى، وأعاد العيشَ في ثقلِ

لي في الهوى نفثاتٌ لا تزول ولو
 ولا يزولُ سوى الأعراضِ حادثةً
 ذي حكمة الله تحار العقولُ بها
 خذ العجيبه ما يسمو العقولُ إذن
 خذ البعوضة وانقذها عساک ترى
 واصمت إذا لم تجد رأيًا على سندِ
 وكلما اتجهت آراء معترضِ
 الحقُّ حقٌّ، فمن يقصدُ رمايته
 لمَّا رأى الزورُ هذى الأرض هام بها
 قالوا: تمدَّنت الدنيا؟ فقلتُ: نعم
 بئس التمدن إن كانت قواعدهُ
 تمدُّن ما رأينا في حماه سوى
 هذا الذي اجتلب البلوى وأثبتها
 لولاه لم يَكُنِ الإنسان منحنياً
 لولاه ما طمعت نفسٌ ولا طمحت
 ولا رأيتُ قلوبًا لا تُعدُّ غدت
 قال الكثيرون: هذي هيئتهُ صلحت
 قالوا: ألم ترَ جيد العقل أصبح ذا
 لا يُقلِّقُ المرءَ إلَّا عقله فبه
 ما أسعد المرءَ لما كان منعزلاً
 ويأكل الصيدِ والأثمار دانيةً
 ما كان يودى به همٌ ولا نكدُ
 كانت شريعتهُ ناموسَ فطرته
 ما كان يخشى أميرًا لا ولا ملكًا
 ولا يبيت طوال الليل مفتكرًا
 عساه يرضي أخا حكمٍ بلا حكمٍ
 ويلاه ويلاه من هذا التمدُّنِ كم

والضدُّ بالضدِّ متبوع على البديل
لكنَّه لم يسرْ إلَّا على مهلٍ
قد سابقت جحفلًا يسعى على عجلٍ؟
وبالدراية دعوى الناس لم تزل
علم، ومن قال: أدري، فهو منه خلي

فسوف تسترجع الدنيا توحشها
وسوفَ يبلغ هذا الحكم غايتهُ
أما ترى نملةً تسعى على مهلٍ
وفي الطبيعة ما لم يدره بشرٌ
من قال: إنِّي لا أدري، فذلك ذو

وقال:

ومعرضين وعنكم ليس لي بدلٌ
عني الأوانسُ إلَّا الذكرُ والأملُ
فليس لي غيرها شغلٌ ولا عملٌ
على البعادِ، وقد أعيتني الحيلُ
هذا الجفاء وما في عادكم خللٌ؟
فتنظفي جمرَةً في القلب تشتعلُ؟
فيرتوي الزامئان: القلب والمقلُ؟
فيرجع المؤمنان: الحظ والجلُ؟
يمين صدقٍ عليها يشهد الخبلُ
عني ولو غيروا عهدي ولو بدلوا
يجود بالروح إن صدُّوا وإن وصلوا
عارٌ على جبلٍ قد دكهُ جبلُ
سوى نزولهم فيه فما نزلوا
مقيمة فيه إن حلوا وإن رحلوا
تذوب أو عبرة كالطلِّ تنهملُ
حتى أميلَ كأني شاربٌ ثملُ
بمهجتي البيد والأحداج والإبلُ؟
دعني فلا كتبٌ تجدي ولا رُسُلُ
فلا تزولُ، وكم زالت بها دُولُ!
سقط عليه سيوفُ سلها الكحلُ؟

يا راحلين وفي قلبي لكم نزلُ
غبتم فغاب سروري بعدكم ونأت
لا شيءَ والله ينسيني محبتكم
عودوا فلا عاد لي صبرٌ ولا جلدُ
عودتموني على حفظ الوفاء فلم
يا ليت شعري! متى أحظى بقربكم
وهل تعودُ لي الدنيا بطلعتكم
وهل يعود زمان الوصل يجمعنا
إنني وحقٌ غرامي والجنون به
ماغيرتني الليالي بعد بعدهم
هم الأحبة لا زال المحب لهم
ما دك قلبي سوى ذاك الصدود ولا
ماذا يريد فؤادي من أحبَّته
توطنوه فلم تبرح شخوصهم
فما ذكرتهم إلَّا ولي كبِدُ
يهذُ كل عظامي ذكرهم طربًا
من ذا يبلغهم حالي وما فعلت
كتبَ العهود ورسَل الودِّ قد قطعوا
إنَّ الهوى دولةٌ دان الجميع لها
فمن يجير ومن يحمي المحبَّ إذا

صواب الكلام

لئن ضاق صبري في هوى «هند» كالحجل
فقد طاش مثل المرط من حصرها عقلي
رداح كعاب صاغها الله للهوى
كما شاء تمثالاً تنزه عن مثل
يُذِلُّ نبيلَ القدر عزُّ جمالها
ومقلتها ترمي بأنفذ من نبيل
إذا خطرت والخصر يقلق متنها
عجبتُ لحزن كيف يقلق من سهل؟
أتتني وقد راض الرضا صخر قلبها
تجرُّ ذبولَ العجب والتيه والدل
ولم يك في الحي الذي ضمَّ شملنا
رقيب سوى المنشور والنجس الخضل
فعانقتها ضمًّا وهصرًا كأنني
أعانقُ غصن البان فوق نقا رمل
أقبلُ خديها، وأرشف ريقها
فمن ثغرها خمري، ومن خدها نقلي
وعاذلة قالت: جنيت بلثمها؟
فقلت: نعم، ورد الحيا ساعة الوصل
جنيت لذيذ الوصل حلواً معطرًا
لعمري فهل أهفو إلى حنظل العذل؟
ومذ نقلت عيني إلى القلب شكلها
فأدركه فهمي وصدقه عقلي
جرى الدمع برهان الهوى متسلسلاً
وقامت ضروب الحب من ذلك الشكل
فما عدل اللاحي الذي قد نعى الهوى
فقد قل بين الناس من سيم بالعدل

أَمِلْ يا خَلِيَّ البال سَمْعًا إِلَى المِلا
فَتَسْمَعْ شَكْوَى الظلم تَأْتِي مِنَ الكُلِّ
فَقَدْ عاش قَبَحَ الجَهِلِ والزور والغوى
وَمَاتَ جَمالَ الرشد والحَقِّ والفضلِ
وَلَمْ يَبْقَ فِي الدنْيا سِوَى ذِي تَعْصِبِ
يُودُّ ضِياحَ الفضلِ حَرَصًا عَلَى الرِذْلِ
إِذَا رَمَتْ يَوْمًا أَنْ تَمِيتَ قَبِيلَةً
فَبِثَّ بِهَا رُوحَ التَعْصِبِ والجَهِلِ
وَهَلْ أَبْطَلَ الإِنْصافَ واستَعْبَدَ الوري
سِوَى الجَهِلِ؟ إِنْ الجَهِلِ مَجْلِبَةٌ البَطْلِ
لَقَدْ صال سِيفَ الشرِّ والإِثمِ والخِنا
عَلَى الأَرْضِ حَتَّى عومَلَ الشَّرْعُ بِالْفِعْلِ
وَعَامَتْ سَماءُ العِلْمِ وانكسَفَ الهِدى
وَمَا زالَ حَتَّى اغرورَقَ الناسُ فِي الظِّلِّ
لَنَا كُلَّ يَوْمٍ بَدْعَةٌ مِنْ جَهَنَّمَ
بِهَا جاءَ شَيطانُ الخَدِيعَةِ والخِثْلِ
رَأَتْنَا العَدَى كَالنَّحْلِ فاغْتَلَنَ شَهِدُنَا
وَلَيْتَ لَنَا دُونَ العَدَى إِبْرَ النَحْلِ
فَمَا شَأْنُنَا نَحْنُ العِراةُ عَنِ القَوَى
سِوَى شَأْنِ نَمْلِ ما خَلا هِمَّةَ النَّمْلِ
أَجارتُنَا، إِنَّا ضَرَبْنَا خِيامَنا
بِمَطْلُولَةٍ بِالوَيْلِ لا بِنَدَى الوَيْلِ
فَلا تَعْتَبِي إِلَّا عَلَيْنَا ولا عَلَي
مَنْ اسْتاقَنا فِي أَخْشَنِ السَّبيلِ كَالإِبِلِ
يَرَأْسُ قَوْمٍ لا رِءُوسَ لَهِمْ وَذا
هُوَ الخارجُ الجَبْرِيُّ مِنْ قِسْمَةِ الأَهِلِ
لِعَمْرِ أَبِي إِنْ الرِّئاسَةَ ما لَها
عِيونُ، فَإِنْ تَتَرَكَ تَضِلَّ عَنِ السَّبيلِ

بوق المحبة

فتدلّلي يا ذاتَ كلِّ دلالٍ
جيدُ الغزالِ وقامةُ العسالِ
نورًا على طور الحشا متلالي
تمزيق أحشائي بغير نصالِ
فتكت وما عدت من الأبطالِ
في مهجتي فارتدَّ يحرقُ بالي
كبيدي بوقعِ ظبًا ورشقِ نبالِ
حلمٍ وسفكٍ دمي بدون سؤالِ
الظبي الغرير، وغرّة لهلالِ
إلا وعدت برعدةٍ وخبالِ
شنّ الغرامِ عليه جيش وبالِ
لنواظري متردّيًا بجلالِ
بيدِ الهوى وتقطعت أوصالي
وبنشيدِ حبكِ قد غدت أقوالي
عن ذلِّ صبٍّ ذابَ في البلبالِ
سكري بها مثلًا من الأمثالِ
يصبو إليك، وذاك غيرُ مبالِ
ظلمًا فويحي من حبيبٍ قالِ
يجدُ السلوُ به مكانَ مجالِ
سالٍ وقلبي منك في تشعالِ
إلا وترجعُ لي بكلِّ نكالِ
عينيك عارضها فتورُ دلالِ
حُسنك لكن فيه كان ضلالي
فألذُّ بالنجوى مع التمثالِ
وتصدني عنه يدُ الأشغالِ
أضربت عن شغلي وعن أعمالي

هو ذا جمالكِ فاقَ كلَّ جمالٍ
وتلفتي وتخطري يا من لها
يا صورةً في الذهن قد طُبعت، ويا
لم أدر من أفعال لحظكِ بي سوى
لكِ أعينٌ قد حيرت عقلي بما
رتع الصبأُ بها فأوقع نورها
مُقلٌ وقاها الله كم قد أثخنت
فكأنها خلقت لتعذيبي بلا
يا نهجة القمر المنير، ومقلة
لكِ طلعةٌ ما فاجأتني بغتةً
عطفاً على سقمي ورفقا بالذي
ما ملتُ إلا شمتُ حسنكِ ينجلي
فجميعُ أفكارِ عليكِ توصلت
وكذا إليك جميعُ أفعالي انتمت
حاتمٌ يلهيك الجمالُ بعزّه
طفحت كئوسُ هواكِ حتى صرتُ في
قلبي لقلبكِ قد غدا ضداً فذا
ما نابني يا هندُ منك سوى القلى
فأودُّ أن يسلكَ قلبي حيثُ لا
وكذا أصدُ الطرفَ عنكِ كأُنني
لكِ نظرةٌ ما لاطمتها نظرتي
وإليّ إن ساقَ الهوى النظرات من
نورٌ بحسنكِ قد هُديتُ به إلى
يوحي التشوُّقُ لي بطيفكِ خفيةً
ما زال يجذبني لعشقكِ ناظري
حتى لزمَت العشق في الدنيا وقد

طرباً وغيرو هائم في المال
 يتمرغ الخنزير في الأوحال
 لو لم يكن معناه عند غزالي
 وغزالة صالت على الرئبال
 قدمي يحبك لا دم العذال
 يسلو فأخلص من هوى قتال
 كرة على صخر هوت من عال
 يوماً على صوت الهوى المتعال؟
 من غصن قدك ذي الدلال الغالي
 نحو السوى وأقال عهد وصالي
 ما بالها تمشي مع الأوعال
 من طيب أيام وصفو ليال
 وأعادني أبكي على أحوالي
 ذكر توطن في فؤادي البالي
 وأبى القضا إلا فنا آمال
 تلك الغدو البيض والآصال
 يحنث بشر أن يديم قتالي
 ممن عشقت ولا بطيف خيال
 وجميع أدويتي غدت أدوا لي؟
 ورمتني الأهواء في الأحوال
 والروح ترعى الحب دون ملال
 يرعى وداك ثابت الأحوال
 وجه المزاحم أو يد المحتال
 يهواه منقلباً ولم يك سالي
 إن الفنا خير من الإذلال
 لمليحة فاقت بحسن خصال
 وأنا أمد الفكر للآزال

وغدوت أقطف زهره فيروقني
 والظبي يرتع في الحقائق بينما
 قد طاب لي الغزل الشجي ولم يطب
 يا فتنة خضعت لها دول النهى
 ظن العذول سلوت لا بلغ المنى
 ولكم طرحت على السوى قلبي عسى
 فيرد مندفعا إليك كأنه
 أين السلو؟ وكيف يرفع صوته
 ما زلت أجنى في الخفا ثمر الولا
 حتى ثنك الدهر عني عنوة
 يا ظبية كانت تجول مع الظبا
 أسفاً على ذاك الزمان وما حوى
 ولّى وجرعني أمر كئوسه
 لا عاد لي مما نعمت به سوى
 ذكر أبى إلا الرسوخ إلى المدى
 أسفاً على ذاك الهنا أسفاً على
 فكأنما ذا الدهر أقسم وهو لم
 يا حسرتي! ضاع الزمان ولم أفر
 فبأي واسطة أداوي علتي
 وبى الهوى أفضى إلى كل البلا
 فالقلب ملّ جراحه وبغى الفنا
 لا تهو يا قلبي سوى من دأبه
 يكفيك أنك لا ترى بكذا هوى
 وأذل نذل من يرى قلب الذي
 لا عاد لي شيء سوى نفس ترى
 والآن قد سلّمت كل جوارحي
 يا طالما أسهرت فيها أعيني

بالصمتِ كي يصغي لشجو مقالي
 تُملي عليَّ حوادث الأجيالِ
 كيف الهزيرُ عنا لعين غزالِ؟
 بلغ الغرامُ إلى الشهابِ العاليِ؟
 وبِه الدُّنا لبست ثيابِ كمالِ
 كونًا يدورُ بعين تلك الحالِ
 أنواعها تحت النظام الآلي
 أبدًا ولم يظهر أخو إفضالِ
 ينبوعُ كلِّ عظامٍ الأفعالِ
 ولكم بها خضعت رءوس جبالِ!
 ما عدَّ ساكنها من الأوغالِ
 والدهرُ يعدمها من الإقبالِ
 فلم الظلامُ لذي المدينة مالي؟
 ضررًا فلا تخلو من الإقلالِ
 فهمُ الذين سبوا جيوبَ المالِ
 منها الهواءُ فصار ذا إعلالِ
 وتدوس أرجلهم على الصلصالِ
 دفعًا لذا أضحوا بلا آمالِ
 ويسرُّهم طربًا دنوُ العاليِ

حيثُ الدجى يمشي الهوينا موحياً
 ونجومه ترنو إليَّ كأنها
 يا أعين الفلكِ العظيم تأملي
 ما لي أراك سواهرًا مثلي؟ فهل
 فالحبُّ محراكُ الوجودِ وأصله
 وبِه تجاذبتِ الجواهر فانبرت
 وكذاك أجناسُ الحياة حمت به
 لولا المحبةُ لم يقم ذو غيرِ
 للغيرةِ الحرى وللفضل انتمى
 كم من بلادٍ بالمحبة عمّرت
 لو كان في حلبٍ أقلُّ محبةٍ
 كلا، ولا كان الخرابُ يعمها
 كل البلادِ اليوم أملأها السنا
 ما دام كلُّ يشتهي لقريبه
 لا يجهدونَ بغير ملء جيوبهم
 تركوا المزابل في الأزقة فاغتذى
 يضعونَ فوق رءوسهم أثر الغنى
 ويرونَ خيرَ الغير شرًا يقتضي
 فيسوءهم كربًا علوُ دنيهم

الثناء

وأهل الجود دهرهم بخيلُ
 رأيتُ الغدرَ بينهم يجولُ
 فيا ويلاه! قد ندر الجميلُ
 بلا فعلٍ وقد قلَّ الفعولُ
 فليس مقالُه إلَّا فُضُولُ
 لعمرُ أبيك أيهما الدخيلُ؟

رجال الفضل في الدنيا قليلُ
 سبرت الناس فاسترجعتُ لما
 جمال المرء في الدنيا جميلُ
 وقد كثر القنولُ وبئس قولًا
 إذا لم يستطع ذو القولِ فعلاً
 أنادي همّةً فأصيبُ همًّا

وها إن همَّ رزقُ الله يومًا
كريمٌ من كريمٍ من كريمٍ
ألا يا ابن الأفاضل دُمَ فضيلًا
وحزَّ رغمَ الحسودِ دوامَ فخرٍ
أما أنت الذي أرجعت شاني
فها أثني عليك مدى حياتي
وإني عن وفائك ربُّ عجزٍ
إليك الهممة العلياء تعزى
وقد أولاك ربُّك باعَ فضل
فعانقت المكارم والعنايا
فعش يا ابن الوكيل لكل راجٍ

على فعلٍ يتم ولا يقولُ
فهذا الفخر والكرم الأصيلُ
وسدَّ وانعمَ ففضلك لا يزولُ
كنجمٍ ما له أبداً أفولُ
وكاد يضيعه الغمرُ الجهولُ؟
كما يثني على الشهبِ الضليلُ
ولا عجبٌ إذا عجز الكليلُ
كما يُعزى إلى السيف الصليلُ
طويلاً دونهُ قَصُر الطويلُ
ورحت لكل قلبٍ تستميلُ
وكيل الخير يا نعم الوكيلُ

وقال:

الطرفُ والقدرُ: ذا سيفٌ، وذاك أسلُ
والصد والوصل: ذا داءٍ، وذاك دوا
أفدي بروحي رداً ذات مائسة
أحظاها أثبتت سحر الصبابة لي
يا للهوى من لصبِّ صبِّ مدمعه
غزاةً لحظها الفتان يغزلُ لي
أصبو إليها بقلبٍ ذائبٍ قلقٍ
ناديتها: يا مهابة البان، حسبكِ ما
قالت وأعطاها تهتزُّ عن مرجٍ
إن كنتَ تعشقُ حسني يا أبا شغفٍ
أجبتها وضلوعي من لواظها
هيات أصبر إذ لم يبق من جسدي
حليت جيدكِ من دمعِي بلؤلئهِ
قد أكثر العاذل اللاحي نصائحهُ

والخال والثغر: ذا مسكٍ، وذاك عسلُ
والعذر والعذل: ذا أحياء، وذاك قتلُ
كالغصنِ تحمل ليلاً فرق شمس حملُ
بشاهدين هما غنج حلا وكحلُ
في حب غانية تسبي النهى بمقلُ
ثوبَ الجوى آه من لحظ غزا وغزلُ!
وإن بدت لي أعذ من لهفتي بوجلُ
قاسيتُ من ألمٍ قد كلَّ عنه جبلُ
ووجهها صبغتُه أعيني بحجلُ
فاصبر عليه وإلا لست أنت بطلُ
تمضُ رشقُ نبالٍ ما لهنَّ مثلُ
عضوً ليحمل صبراً فالغرام شعلُ
وقد كسوتكِ يوم القرب خير حلُ
ولو درى بعض وجدي ما لحا وعذلُ

لبي لغادرني في فتنتي ورحلُ	ولو رأى آيةَ الحسن التي فتنت
تطفي اللظى باللظى طاب الهوى بقبلُ	يا جمرة الخدِّ هلاً قبلة لشج
وأتلفتني ولا عدلُ لهنَّ نصلُ	ويا نصالَ عيونٍ قد فرت كبدي
مالت وكم طعنت من مهجتي بميلُ؟	ويا معاطفُ تذري بالرماح إذا
لجرحها ولها ليت الرضاب دملُ	ويا ضنا كبدي الجرحى ولا مثلُ
صبرُ به كلُّ جرح بالعيون حملُ	وقلبُ كلِّ شجيٍّ مثخنٌ وله
إذا على قلب صبَّ بالغرام حملُ	والحسن غازٍ ولا عزمٌ يطاردهُ

قافية الميم

قال يرثي المرحوم الشيخ «ناصيف اليازجي»:

عدمنا العنايا مذ هوى عَلمُ العلمِ
ومن أين في الدنيا لنا عَدَمُ العدمِ؟
قضى ومضى مَنْ ذكره خالداً فلا
زوالٌ لذكرٍ شاع في العُربِ والعجمِ
وكيف نصيفُ العصرِ مات وفضلُهُ
حياةً لميتٍ أو شفاءً لذي سقمِ؟
أما تحزن الأيامُ ويلاهُ إذ ترى
ضجيع الثرى محيي دياجرها الدهمِ
فمن بعد هذا الحبر للعلمِ والحجا
ومن ذا حل المشكلات ولفهمِ؟
ومن للمعاني والبلاغةِ بعدهُ
ومن للذكا والحزم والنثر والنظمِ؟
على مثله الأقلامُ تندبُ حسرةً
وتفصح عن خسرانه ألسنُ البكمِ
يشقُّ على لبنانَ والشامِ فقدهُ
كما شقَّ فقد ابنٍ وحيدٍ على الأمِّ

وفرضُ على الملكيّة النذبُ والبكا
عليه فذا فردٌ يعزُّ على الجمِّ
ودينٌ على قلب النُّهى نذب ندبه
وعين الهدى غسل ابن بجدتها الشهم
صبت روحه لله والجسم للثرى
فروحٌ إلى روحٍ وجسمٌ إلى جسمٍ
ولو شاء ربُّ العالمين لما قضى
بموت رجال العلم والفهم والحزم
وما كانت الدنيا لتبقي أخا الحجا
فيمحو دجى بهتانها بسنا العلم
لحا الله دنيانا فما عندها سوى
وبال لذي فضلٍ ووبل لذي لؤمٍ
وما هي للواني سوى جنة الهنا
وماهي للعاني سوى سقر الهمِّ
حياةً بها النعماءُ تستحدث الشقا
بأرضٍ عليها الغنمُ يقبلُ بالغمِ
هو العالمُ الغرَّارُ فاحذر غروره
فما هو إلا مرسحُ الغشِّ والوهمِ
تكرُّ المنايا فيه غائرةً على
جميع البرايا كالخيولِ بلا لجمِ
فكلُّ أديم الأرض من رُمٍ ولا
يروع امرءًا وطءٌ على الكبرِ والعظمِ
جمادٌ يعير الحيَّ بعضُ ثرى وإن
يرى ذا الثرى حيًّا يتوق إلى الهضمِ
فكلُّ بني الأحياءِ تربُّ ومنهمُ
رجالُ النُّهى والمأس من عنصر الفحمِ
ولولا عموم الناس ضاعَ خصوصهم
ولولا ظلامُ الليل ضاع سنا النجمِ

ولكن نجومُ الليلِ تُمحي ولم يزل
على أفقه نجمُ الورى ثابتَ الحكمِ
فإنَّ ضياءَ العقلِ لا يُمحي وها
ضيا «اليازجي» باقٍ فما ميتةُ الجرمِ
هزَّبَرُ قضى ناديت: والله ما قضى
ألم تنظروا الأشبالَ تسرح في الأجْم؟
نعم، إن هذا الحبر ليثٌ فكم وكم
بحكمته قد صارع الدهر ذا العزمِ
أقول لمن قاموا بمحملِه: أما
تبالون من وضعِ اليتيمةِ في رجم؟
قفوا ساعةً وابكوه وانعوه واثموا
يديه وداعًا فالسها حنَّ للثم
وكادت رُبًا لبنانَ كالشحم حسرةً
تذوبُ وموجُ البحرِ يجمد كالعظم
على الجواهر الفرد الذي ضمه الثرى
ولم يدرِ كم كسرٍ أتاح بذا الضمِّ
على الجهبذ الشهم السميزع من غدا
نتيجة هذا العصر والأعصر القدمِ
على النخوة العظمى على الجهد في الهوى
على الهمة الكبرى على العفو والحلمِ
لهذا الحكيم الحلمُ لاقٍ وعفوهُ
ولا لأناسٍ يحكمون على رغمِ
فإنَّ يراعَ العلمِ أمضى من الظُّبا
وأحكامه أقوى نفاذًا من السهمِ
فيا كلَّ هذا الشرق نُحْ وابكِ وانتحبِ
فأنت خسرتَ اليومَ كنزًا بلا كمِّ
فطوبى لربعٍ راح يحضنُ قبره
وطوبى لهذا القبر فهو أبو الغنمِ

بماذا أعزي اليومَ بيروتَ بالذي
جرى ومجال القول أضيق من سمِّ
ولكن إذا ما الخطبَ أشهرَ سيفه
فهل غير ترس الصبر يصلح للصدم؟
تقومُ على الحرِّ الخطوب كأنه
مليكٌ عليها قام يحكم بالظلم

الأسوة

صدقوني كلُّ الأنامِ سواءً
كل نفسٍ لها سرورٌ وحزنٌ
ولكلٍّ من هذه الأرض قوتٌ
وعناءُ الأفكار أعظم جرماً
كم أميرٍ في أمره بات يشقى
وملوكٌ نفوسهم كامداتٌ
والغني في شقاءٍ بالٍ عدیلٌ
كيف لا يحسد الفقيرَ غنيٌ
قاتل الله قسمةً هي ضيزى
أي فضلٍ على هديرٍ لنمرٍ
وصغيرٍ الأكوان مثل كبيرٍ
هو ذا العنكبوتُ يفعل ما لا
وبيوتُ الزنبور أعجبُ صنعاً
ما اختلاف التركيب والشانِ إلا
ذاك أصلُ الأصول طراً فكانت
إن دوداً في الصخر ينمو ويحيا
هل وليدٌ حلّ الثرى غير باكٍ؟
يا صغاراً يستكبرون اغتراراً
أتخموا كبرياءكم فهي خطبٌ
من ملوكٍ إلى رعاة البهائمِ
وملذاتٍ عيشةٍ وألائمِ
يستوي في عناءه مولى وخادمٌ
من عناء الأعضاء والكلُّ لازمٌ
باله والأسيرُ في الأسرِ ناعمٌ!
سأماً من لميع مجدٍ مداومٌ
لافتقار في غبطة البال قائمٌ
خائفٌ والفقير في الأمن نائمٌ؟
شرعتها أطماعٌ باغٍ وظالمٌ
فوق أرضٍ للكلٍ منها غنائمٌ؟
فلهذا وذا مزايا تلائم
تقدر الأسد والبزاة الحوائم
من قصور الإنسان ذات الدعائمِ
عرَضُ، فالترابُ أصلُ العوالمِ
منه في أسوة جميع النواجِمِ
مثلنا بيد أنه لا يُزاحمُ
هل فقيدٌ عنه نأى غير باسمٍ؟
بدعواو يمجها كلُّ حازمٍ
ووبالٍ على الطبيعة صارمٍ

كان منكم فليمس للكلّ خادمٌ
وامتيازاً إلا ثلاث لوازِمُ
مستقيمٌ برٌّ، وفعلُ المكارمِ

كلّكم إخوةٌ وأيّ كبير
ليس يجدي الفتى على الغير فضلاً
أدبُ جامعُ الشروطِ، وقلبُ

وقال:

وتعالى على الجبالِ غرامي
من فؤادي فعاد دمعِي هامي
فيه ألقى حبيبَ قلبي أمامي؟
فوق راسي موشحٌ بالغمامِ
من شعاعٍ تشقُّ بطنَ الظلامِ
قابلُ الغربِ وجههُ بالسلامِ
فائضُ الدمعِ تائهُ الأقدامِ
والنوى بالأتواقِ يفني عظامي
فهو ملءُ الأوهامِ والأحلامِ
طلع الصبحُ لاصطبّاحِ الأنامِ
وأنا بأسطُ له ألامِي
شدوّ صبّ يصبو بقلبِ ظامي
وإلى كم تدعو على الأيامِ؟
فهو يرمى قلبَ الفتى بسهامِ
هجرتني والهجرُ هدّ قوامي!
واستشبتْ مني لظى الأوهامِ
نحوها أجفّلت بمنع الكلامِ
فهو مما جنى على إسقامي
ومماتي وبالوصالِ قيامي
كنت طولَ المدى أراك أمامي

هامَ قلبي وشبَّ جمرُ هيامي
واستفزَّ الجمالُ كل اشتياقِ
أيها العاشقون، هل من سبيلِ
طالما همت والدجى مدلهمُ
ونجومُ الديجور ترمي حراباً
كلما لاح من ورا الشرقِ نجمُ
وأنا أغدو بين شرقٍ وغربِ
والهوى بالأشواقِ يصدع قلبي
إنَّ عيشَ المحبِ غيرُ صحيحِ
يا جبين الحبيبِ إن لحت ليلاً
باسطاً للقا ذراعيهِ شوقاً
وحمامُ الآراكِ يشدو صباحاً
فلإلامَ يا ابن الغصونِ تناغي؟
يا لحا الله كل يوم فراقِ
وا هيامي إلى جمالِ فتاةٍ
قد أذاقت قلبي عذاباً أليماً
كلما رمت أن أديرَ حديثاً
ذاتُ جفنٍ إن كان أضحى سقيماً
يا حياتي ودون قربك موتي
لو تذوقين بعضَ ما ذاق قلبي

وقال:

سلكت والناس حيارى تهيم
شبه ذباب فوق شيءٍ وخيم
كما ترى العقرَبَ عينُ الفطيم
يبدو الشقا منها لهم كالنعم
إلا نزاعٌ صارمٌ مستديم
بقوةٍ تنسف طودًا جسيم
ويقطع البحرَ ويفري الأديم
دُويبةٌ تنساب بين الهشيم!
مثل فراشٍ حام حول الضريم
ولا ينال المال غير اللئيم
أردى من الشيطان ذاك الرجيم
يخطفه إلا هزبرُ الجحيم
بلى، وما أحسنها في الكريم!
أقتل من سم بكاس الحكيم
أقطع من سيف بكف الغشيم
أرض فهل تلبث فيها مقيم؟
يعنون كالبهم لحكم البهيم
فاختر لسكناك المحل السليم
والحكم إما جائرٌ أو حليم
تدعو بديل الذم مدحًا ذميم
قد دمرت كل بناءٍ قديم
تترك صحيحًا قط غير سقيم
زلزلة الساعة شيءٌ عظيم

على صراط مستوٍ مستقيم
يضج فوق الأرض سكانها
كذا ترى الدنيا عيونُ الورى
سبحان من أسدى الورى ألفة
فما حياة المرء في عمره
يجد في المسعى على قوته
يعارك الصخر ويبري البرى
وكم طوى جوعًا فأزرت به
كل امرئٍ حول القضا حائم
والكل يرجو المال مغرًى به
نو اللؤم إن أحرز مالًا غدا
إن غنى الغبي ذئبٌ ولا
ما أقبح الثروة في زندق
والخمر في كاس الجهول يرى
إن العصا في كف خابرها
إذا رأيت الوغد يحكم في
إن القطا أرشد من بشر
إن بلاد الله واسعة
والناس إما راشدٌ أو غو
وقوة الجور إذا سلطت
يا ويلها يا ويلها قوة!
وأفسدت كل صلاح ولم
زلزلت الدنيا ولكنما

وقال:

لولا الجهالة بين الناس تقسمهم في الدين والرأي أحزابًا من القدم

لما سطت فئةٌ منهم على فئةٍ ولا انحنوا تحت وقرِ الأسر كالنعم

وقال:

وتلك روابيها وذاك غمامها
هنا علقت روعي وطال هيامها
لدى البرق ليلاً لازدهاءُ ابتسامها
سكارى فقد طاشت من الشوق هامها؟
يقال على نفسٍ فناها غرامها
تروت بدمعي أسها وبشامها
على مهج العشاق قام دعامها
بهذي المغاني قد غناني اغتنامها
يَعُدُّ غيرُ أشجان يثور اضطرامها
بغير مكان لا يباحُ انسجامها
يطيب على هذي الصخور التظامها
وجن الدجى والأرض ضاع زمامها
أناجيه إلا وحشها وهوامها
يضاعفُ أشواقي كذاك انضمامها
شريدًا طحاهُ البين وهو غلامها؟
صباة نفس قد تسامى مرامها؟
فعطرت؟ أم لي معك آتٍ سلامها؟
نفاحك للنفس النفيس مقامها
وقامت به البلوى وطال قيامها
ولي همّةٌ في الصبر عزَّ انصرامها
ومن أعين الحساد تبري سهامها
وما أنا ذا نفس يهون اقتحامها
تساوى لديه حربها وسلامها

حداة السرى مهلاً فهذي خيامها
قفوا ساعةً نشتم رائحة الحمى
هنا لي من الغادات من لو تبسمت
أما تنظرون العيس تعدو كأنها
إذا كان يلهو بالمطيّ الهوى فما
هلموا انظروا هذي الرُّبا فجميعها
هلموا انظروا هذي القبابَ فكلها
هلموا هلموا نذكر الفترة التي
مضت ومضى طيبُ الهنا معها ولم
دعوني هنا أبكي وسيروا فأدمعي
دعوني أهُم بين الهضاب فأعظمي
فهمت على وجهي وقد سارت السرى
ولم يبق لي في ذي القفار مؤانسٌ
وما لذ لي مرأى النجوم فنورها
فهل ذكرت تلك المنية في الخبا
وهل علمت «أسماء» وهي عليمّة
نسيم الصبا، هل قد عثرت برندها
تعطرت البيداء منك وقد حلا
حلا لفؤادٍ أثخنه ظبا النوى
تقلبني الدنيا على موقد البلا
وتوتر أقواس الردى لرمائتي
ويُجري عليّ الدهرُ جيشَ خطوبه
ومن خبر الدنيا وأدرك سرّها

وقال:

بشبيه قامتها، فمن ذا لا يهيم؟
فرأيتُ قرنَ الشمس في الليل البهيم

ماست فلا والله ما غصن النقا
وبدت وقد نشرت غدائرَ فرعها

وقال إلى أحد أصحابه الكهنة:

وحيث يهدي العقلُ يسعى القدمُ
يُظهرُ إعمال قواه القلمُ
علماً وهذا عن قصور الهمم
به ولكن أن ينله فلم
وفي فساد القول لذ الصمم
وما لكل الطير صيد الرخم
وأصغر الموجود خير العدم
تعليم ذي جهل بكل كرم
أنت محل لجميع الحكم
ما خطرت في عَرَب أو عجم
يشهد ما علمت بين الأمم!
عن حسد إذ قلبه في ضرَم
وناصح الناس نصح الشيم
من يزرع الخيرات يجن النعم
من وثبة الأشرار لا يقتحم
غم، وذو العقل كثير الغمم
أغناك عن عود رхим النغم
وراحة الأذهان بالمختتم

سعيت للعلم فكنت العلم
والعقل محجوب ولكنما
رُب امرئ يزري بمن يرتجي
ومن رأى ما لم يطله ازدرى
أفسد بعض الناس أقوالهم
ما كل ذي علم له عمل
كل على مقدار طاقته
ذو العقل يقضي الليل ملتصاً
يا أيها الحاوي جبا وزكا
أتيتنا في كل معرفة
لا تنكر الأتعاب منك فكم
من يجحد الأفضال منك فذا
كم قد بذلت النصح مجتهداً
خير بكرم الله تزرعه
شيدت بالبيعة حصن التقى
إن شمت جهلاً بامرئ كنت في
يا صاح، إن يسمعك أقواله
مختتم الآراء آراؤه

وقال:

لما أطلت الجفا يا بانة العلم

لو كنت تدرين ما في القلب من ألم

على الصدود الذي فيه بدا سقمي
وذكر وصلك أضحى كالندى بقمي
تحلُّ شمسُ الصبا في دارة الهرم
من الغرام الذي يسطو على الأمم!
بهْدُ صبري، وعيناك بهدرِ دمي
يحلو الجمال على مستظرف الشيم
يطيبُ حالاً ويغدو تائه القدم
سعي الوشاة وهذر العذل والتهم
دعا عظامي وأحشائي إلى العدم
وربَّ نورٍ بدا من أعظم الرُّم
بدا وويحك يا طرفي فلم تنم
وقد غدا جسدي لحماً على وضم
عيناَيَ في نَعَمٍ والقلبُ في نَقَمٍ
ترجو لقاها، وذا إن يلحقها يضم
أنوار بهجته كالبدْر في الظلم
مع الحبيبِ وعهداً مرَّ كالديم
بمقلتي وبأحشائي لظى الضرْم
أنوح والناس تقضي لذة الحلم!
أنواره كانتشار الشيب في اللحم
تلك الليالي التي مرَّت ولم تدم!

مهلاً فلم يبقَ لي صبرٌ ولا جلدُ
هواك في القلب نارٌ ضمحت جسدي
قد شابَ رأسي مما ذقت منك ولم
هلاً كفاني ما قاسيت مصطبراً
فكم دلالُك يا ذات النفار سعى
عشقت لطفك لا الوجه الجميل وكم
ليت الذي حال ما بيني وبينك لا
هيهات ينجو فتى يهوى الكواعب من
حسن بقلبي لمّا لاح مرتسماً
فإن غدت زفرتي نوراً فلا عجب
بشراك يا قلب بالطيف الذي لك قد
هيفاء في حبها قد صرت مفتتناً
إذا تبدّت بدا ذاك النفار فكم
وا حيرتي! بين عيني والفؤاد فذي
والحسن في وجهها الميمون قد طفحت
سقى العهد أديماً قد نعمت به
مضى الوصال ولم يترك سوى أرقٍ
كم وقفة لي على ربع الحبيب دجى
والبدْر في ظلمات الليل قد نشرت
فوا بكائي على طيب اللقا وعلى

وقال إلى صديق له مباركة بوظيفة ترجمان:

ودليلُ الهوى دموعي الهوامي
سبب أن الغرام سهل القيام
بالهوى لم تكن كثير الملام
وكساهُ الهوى ثياب السقام
وعيونُ حرمن طيب المنام

ترجمان الجوى بقلبي هيامي
عبرةُ العاشقين عبرة من يحا
يا عذولي لو كنت تعلم ما بي
قد تعرى من التجلد جسمي
جلدٌ راحلٌ ودمعٌ نزيلٌ

حب فهو المنى وجلُّ المرامِ
حبُّها قد جرى بكلِّ عظامي؟
غائب الصبر حاضر الوجد ظامي
من غمود الجفونِ عند السلامِ
يصرع الأسدُ وهي في الآجامِ
عتني بطعن القنا ورشق السهامِ
فهي بدرٌ بدا بجنح ظلامِ
من رداحِ تفري الحشا بقوامِ؟
بفؤادِ فنته نارُ الغرامِ
إنَّ قتل المحبِّ عين الحرامِ
العيون التي بها السحرُ نامِ!
بوداد الأجلِّ نجل الكرامِ
شاع فضلاً وعزة في الأنامِ
بباءِ تهدي أنواره للشامِ
وفداء المحبِّ للحب سامِ
إنما الود خصلة للكرامِ
ت فحزت السنا ونلت التسامي
ية روجي مباركاً للدوامِ
ما تمشت في الروض روحُ الخزامِ

ليس للصبِّ لذةٌ غيرَ مرأى الـ
ليت شعري! هل من سبيل إلى مَنْ
غادةٌ غادرت فؤادي عليلاً
قتلتني بصارمِ جرَّدتهُ
غازلتني فأسكرتني بطرفِ
مذ رنت واستهزها التيهُ را
إن تثننت فبانةٌ أو تجلَّت
يا لقومي من ذا يجير المعنى
يا حياة الفؤاد بالله رفقا
كيف حللتِ يا ضيا العين قتلي؟
الأمان الأمان من فتك هاتيك
إن تكوني رضىت موتي أحياء
الصديق الصدوق ذو الود من قد
علم كالشهاب أمسى على الشهد
يا فريد الصفات تفديك نفسي
زدت في الود فانتميئت إليه
ترجمائاً بكل حق لقد صر
جعل الله ذا عليك أيا بغ
وحماك الرحمن من كلِّ بؤس

يوم الوداع

وما لتشتت الشمل التَّام؟
بنور القرب لا كان الظلامُ
إليكم والتميمُ لا ينامُ
صبيبٌ والفؤادُ به اضطرأ
عليلاً لا يبارحه الغرامُ

أما لِعَرَى البعاد يرى انفصامُ
متى يجلى ظلامُ البعد عنا
أرقتُ الليلَ يا أحباب شوقاً
أبيت ومقلتي تصبو ودمعي
سلوا ريح الصبا عن حال صبِّ

أيا من قد شددتم مذ رحلتكم
 إذا كنتم بَعْدْتُمْ عن عيوني
 إليكم بالنوى قد ذُبْتُ شَوْقًا
 يخاصمني الهوى فيذيعُ سرِّي
 بفرقتكم بشاشتِي اعتراها
 رويدك يا زمان البين إني
 طوى هذا النوى جلابِ صبري
 وقفتُ على الحمى والقلبُ يُصلى
 أطلُّ على الطلولِ الدمعُ حتى
 وأرسلُ ناظرِي لكل شعبٍ
 هناك على المطيِّ سرت بدورُ
 لحا اللهُ البعادَ ففيه نومي
 سقى صوب العهادِ عهدَ قومٍ
 همُ الصحبُ الذين نأوا فحلتُ
 ولما شيعوا الأحداج شاعت
 يدُ البرحاءِ قد عبثت بقلبي
 على يوم الوداعِ نفقتُ صبري
 وحسنُ الصبرِ حصنٌ للفتى إذ
 وكيفَ يكونُ لي جَلْدُ وأهلي
 متى يومُ اللقا يروي فؤادًا
 عليكم سادتي مني سلامٌ
 سحابُ الفضل منكم راح يهمي
 على صفو المودَّةِ قد طبعتم
 ومنكم مسكَّةُ النعماءِ فاحت

رجالاً فوقها البدرُ التمامُ
 ففي قلب المحبِّ لكم مقامُ
 وصبري قد قضى لكم الدوامُ
 ويُظهر باطنَ المرءِ الخصامُ
 وجومُ، واعتري المُقلَّ انسجامُ
 أخو جَلَدٍ ولِلجَلَدِ التزامُ
 مذ انتشرت على السفح الخيامُ
 غرامًا كلما يشدو الحمامُ
 يُخَيِّلُ أَنَّ أجفاني غمامُ
 فتعتجب الجنادلُ والآكامُ
 توارت في سجوفٍ لا ترامُ
 نأى وعلا على جسمي السقامُ
 لهم مني المودَّةُ والذمامُ
 بي الأسقامُ وارتحل المنامُ
 صباباتي إليهم والهيامُ
 فَمَنْ لأخي شجون يا أنامُ
 فجاء عليَّ من كلِّ ملامُ
 غدا لمصائبِ الدَّهرِ ازدحامُ
 نأوا ولبعدهم وهتِ العظامُ؟
 به من لوعة البرحا أوامُ؟
 يفوح بطيبِ نفحته الخزامُ
 وفضلُ الغيرِ دونكم جهامُ
 وما لي غيرِ ودكم مرامُ
 بها الخيرُ ابتدى وهي الختامُ

وقال تاريخًا لمولود:

عليك قد أنعم الإلهُ بـمو لودِ سيربى براحة الكرم

به الأسى عن مؤرخيه مضى ونعمة الله أشرف النعم

سنة ١٨٥٩

الحق

إذا هذرَ الجهولُ وقال عني
ومن يكُ جاهلاً والجهلُ داءٌ
بهيماً يدعي بالعلم وهماً
إذا قال الفقيرُ: أنا غنيٌّ
أعجبنا هجومَ الكلبِ يوماً
وهل نصغي لذي حمقٍ وغمرٍ
إذا استوت الخصالُ وذا محالٌ
ضحكت وكان ذاك الضحك مني
وكم باكٍ بلا غمٍّ وكم من
إذا لبسَ الحريرَ الغمرُ يوماً
وما باللبس من شرفٍ ولكن

أخو جهلٍ وجدتُ أخا علومٍ
يظنُّ جهالةً قولَ الفهيمِ
وليس العلمُ من شيمِ البهيمِ
سألنا عنه أبوابَ الكريمِ
رأينا هجمة الأسدِ العظيمِ؟
إذا جلسَ الحكيمُ على الأديمِ
فما فرقُ الكريمِ عن اللئيمِ
على الجُهلِ في ثغرِ الوجومِ
ضحوكٍ وهو مجموعُ الغمومِ!
تفوق عليه أسمالُ الحكيمِ
بحسنِ العقلِ والخُلُقِ السليمِ

وقال موشحاً:

سبت الألباب أحداقُ الدمى
وغزت قلبي في الحبِّ كما
وأراقت بظبي السحر دمي
راح يغزو في لظى الحرب كمي

دور

من لصبٍّ كلما ناح الحمامُ
عاشقٌ يرمى عهوداً وذمامُ
عنده في الحبِّ للحبِّ كلامُ
بي غزالٌ فاق حسناً وسما
نافرٌ بالجميل يُلوي كلما

ذاب شوقاً وهو بالدمع حميمٌ
إنَّ نكتَ العهد من شأنِ الذميمِ
عذبٌ يُشقى به القلبُ الكليمِ
فغدا للشمسِ والبدرِ سمي
رمتُ أن أهديه درَّ الكلمِ

دور

قمرٌ يسفر عن وجهٍ صبيح	كلما لاح بدا نور الصباح
وإذا ما ماس بالقد المليح	أخجل القضبَ وأودى بالملاح
إن يملُ عني غدا جفنى قريح	فلكم أظماً والريق قراح
سال دمعى في جفاهُ عندما	ليتَه يرثى لدمعٍ عندى
أترى يجهل يوماً قد رما	بنبال اللحظ منهُ قد رُمى؟

دور

أهيفُ كالرمح إن ما خطرا	عاد قلبي هائماً في خطرٍ
أتلفُ الأحشاء منى وبرى	مهجتى خدُ عديم الوبرِ
إنَّ عمري في هواهُ عبرا	كم رأت عيني به من عبر
لحظه للقلب لما غنما	ساقه للذبح سوق الغنمِ
إن يكن هجرانهُ قد أَلَمَّا	كبدى فالوصل يشفى أَلَمي

دور

همت وجدًا بهوى ظبي رُبي	بفؤادي والحشا لا بالرُّبَا
خنثُ في عشقه عقلي سُبى	وبقلبي لعبت أيدي سبا
كيف جفنى لا يُرى كالسُحُبِ	وهو أذيال الجفا قد سحبا؟
ذو جمالٍ فاق أقمار السما	وأنا في حبه صرت سمي
وجهه للشمس يرقى سلما	فعليه يا ثريا سلمى

دور

حيَّرَ الأفكار لما وردا	لابس الحسن كثوب وردا
إن طلبت الوصل منه وعدا	واضطباري قد جفاني وعدا
ليت لي النصح عذولي ما هدى	فضلاى بالهوى عندي هدى
كل من يبغى ملامى ظلما	وهو عن نور الهوى في ظلم
كيف أسلو ذلك الريم فما	بسوى ذكراه يلتذ فمي؟

وقال:

وانطوت تحت جلابيب النعامي
عن معانيكم فكم تشفي السقام؟
وبكم ما زلت صبًا مستهاما
يشتهي قلب عليه الحب داما
فإلام أرقب الصبح إلام؟
فعلام ميلكم عني علام؟
رغم أجفان له أضحت غماما
إذ جعلتم يقظة الود مناما
ليت قلبي لم يكن يرمى الذماما
غلب الوجد على القلب فهاما
بهواكم والحشا تصلى اضطراما
لي أنادي الحي إذ باتوا نياما
والدجى يحتال أن يصغي الكلاما
بارق قابله الدمع انسجاما
لا، ولا الزفرة توليه مراما
يقتل الصبر وذي تحيي الغراما
ذاك يشفيني وذي تفني العظاما
علل النفس ولا تسمع ملاما
يطرد اللوم ويستبق الهياما
طلعت تسبي بمرأها الأناما
لعبتم كيف لم ألق الحماما!
مهجتي؛ فهي لكم أضحت مقاما
فارحموا بالله ذياك الغلاما!
وهواكم بطل يرمي السهاما
هاجني الشوق فناوحت الحماما!
نشر الحادي على السفح الخياما

نشرت أطيابكم ريح الخزامي
ونسيم الروض إذ هبت روت
أنتم غاية قصدي والمني
فأديروا خمرة الوصل عسى
سادتي طالت مواعيد اللقاء
ليس لي ميل إلى غيركم
عجبًا روض رضاكم ماحل
غدركم علمني حفظ الوفا
وأنا باقي على العهد فيا
كلما رمت سلوا عنكم
كيف أسلوكم وعقلي تائه
وعلى ناديك كم وقفة
أسأل الجدران عنكم والثرى
كلما أومض من أفق الحمى
لا يفيد الدمع مقتول الهوى
مقلتي والحسن ضدان فذا
واللقا والبين نار وندى
أيها الهائم في وادي الهوى
انظر الحسن الذي تعشقه
يا بدورًا من بروج الحسن إذ
لو علمتم ما بقلبي من جوى
فإذا رمت قتلي فاحفظوا
إنني صرت غلامًا لكم
هجركم سهم وقلبي هدف
كم وكم مذ غبتم عن نظري
ولكم ناجتني الأوصاف مذ

أفتشفون من الدمع الأواما؟
 فهي قد أورثت القلب ضراما
 كنت من حان اللقاء أسقى مداما
 كم لنا أينعت بردًا وسلاما
 كل ظبي يخجل البدر التماما
 بك حتى يكشف الصبح اللثاما
 جزعًا أن ينتضي الفجر الحساما
 حجب الليل فيفتر ابتساما
 خطرت حامله نشر الخزامى
 هاطل الطل نثارًا ونظاما
 رنحت ريح الصبا منه القواما
 فيسلُّ الهمُّ منا والسقاما
 فانهضوا للروض صبغًا يا كراما
 أكؤسٍ حيث انجلت تجلي الظلاما
 قتلت وهي التي تحيي الرماما
 بين غدرانٍ وغيد وندامى
 أحسب الصهباء بالمزج حراما
 فاجعل الريقَ مزاجًا وختامًا

إن أكن زودتكم من جلدي
 لا رعى الله أويقات النوى
 وسقى العارض أيامًا بها
 لا جفاك الغيث يا دار الهنا
 طالما بت على بسطك مع
 لم أزل ألثم بدري في الدجى
 وأرى الشهب توارت في الخبا
 حيث وجه الجو تنشق له
 ونسيم الصبح من ذاك الحمى
 في رياضٍ لطلاها قد حبا
 يعطف الأس على البان إذا
 والغدير العذب يجري سلسلًا
 حبذا وقت الصفا نغنمه
 ها دواعي اللهو تدعوكم إلى
 خندريس تقتل الأتراح إن
 فاسقنيها يا نديمي سحرًا
 وأدر كأسي صرفًا إنني
 وإذا ما شئت أن تمزجها

نسيان الغرام

من قد أضعت بحبها أيامي
 تدعو على العذال واللوام
 لكن أميلي الأذن نحو كلامي
 بل قد سلوتك مذ نقضت ذمامي
 فأنا جفوت صبابتي وهيامي
 لمع البروق وأعيني كغمامي
 يجري كجري الروح بين عظامي

جاءت تذكرني زمان غرامي
 فرأت فؤادي قد سلاها فانثنت
 بالله لا تدعي على أحد سدى
 لا تحسبي أني صغيت للائم
 إن كنتِ قابلت الوفاء بذا الجفا
 كم ليلة بهواك بت مراقبا
 والقلب يخفق ضمن صدري والهوى

فالجذبُ بعض خصائص الأجسامِ
عاملتني بالنكث والإبرامِ
نظفت أذيالي من الأوخامِ
بعد السلو فذاك فعل لئامِ
حالت ظبا هممي وسمر خصامي؟
قلب به لطف الشبيبة نامِ
نور الجمال يلوح فوق ظلامِ
قد صار عنه معرضاً متعامي؟
بسلوّه فخرٌ مدى الأيامِ
عفت الهوى أصبحت أنت غلامي
ما بيننا أبداً ليوم حمامي
أخفيته حتى عن الأوهامِ
فهواك طيفٌ مرّ في الأحلامِ
أن السلو جرى بكل مسامي
يا ليتّه ما كان من أعوامي
خلو الفؤاد عديم كل غرامِ
لكن قضاء الله جاء أمامي
عني فأشكره على الإنعامِ

لا بدع إن جذبت عيونك مهجتي
هيهات أرجع للمحبة بعدما
وإذا ندمت عليّ ويحك إنني
عارٌ على مثلي الرجوع إلى الهوى
وكيف يقحمني الغرام ودونه
بعداً له ما كان أكثفه على
لا تسفري ذاك اللثام فتحتّه
هل تخذعين به الخبير وطرفه
إن تفخري بجمالك الوقتي لي
وأنا غلامك كنت لكن بعدما
أنا لست أهتك حرمة الودّ التي
إن بحت بالسّر المصون فطالما
وكمزنة في الصيف ودك إن يكن
لا عدت أذكر أمر حبك فاعلمي
أسفي على عام بحبك قد مضى
لا راحةً للمرء إلا أن يكن
يا ليت قلبي لم يهم بمحبة
والآن قدرني على دفع الهوى

وقال تاريخاً ينقش على ضريح أحد الشبان في مدينة القدس قد قتله المكاري
بالطريق:

واندب فتى دمه قد حلّ في الحرم
أيدي الحداة به إن خطّ في القلم
لله يوم وقوف الخصم والحكم؟
عقاب خصمي عين الله لم تنم
غرست في جنة الفردوس فانتعم
للرب يصرخ من جوف الرديم دمي

يا زائر القدس، زر قبوري مع الأمم
أنا القتل الذي في الطرق قد عبثت
فما يقول الذي أجرى دمي طمعاً
إن كنت قد نمت في هذا الضريح فعن
يا غصن إن قصفتك الظالمون فقد
يديك لله في التاريخ مد وقل

وقال:

يا قلب حتام تذوب غراما
عبثت بك الأحداقُ وهي أليمة
قل للتي قد جئتها متصيبًا:
فلقد هجرت النور وهو به الهدى
كيف انثنيته إلى الدني محبةً
لا أعتبنَّ عليك بل عتبي على
أذلت روعي في هواك وما أنا
ما كنت عفت الحبَّ لو لم تنكثي
لكنَّ نكثك بالعهود محا الجوى
الله أكبر فالصبابة محنةٌ
ليت الجمال يقرَّ في العليا فلم

يقظة الحب

يقظ الحبُّ في فؤادي وقاما
والهوى في القلوب يضرمه القر
فسلوي حكي رماذًا على جم
ما ثناني عن حبكم إذ هجرتم
مذ أزدتم صدي تناقص وجدى
خلت ذاك الدلال منكم ملأً
وتوهمت أنكم خنتم الودَّ
أمثل ذاك الإعراض كان سلوي
أيها الصبُّ ويك دع عزة النفس
كم عزيز أذله الحب قهراً
إنَّ روعي فدئ لذات نفارٍ
من بنات الشهباء من نسل عربٍ
يا مهاة الخبا وبدر المغاني

بعدما أيقظ السلو وناما
بُ ولكن يخبو إذا البعد داما
رِ أناه ريحُ فشبَّ اضطراما
غير نفسٍ بالذلَّ تأبى الغراما
إنما بالوصال عاد تماماً
فتركت الهوى وعفت الهياما
وذو الحب يألف الأوهاما
ووجود الإثنين كان مناماً
س فإنَّ الهوى يذلُّ الكراما
والهوى محنةٌ تصيب الأناما
عشقها غادر العظام رماما
ضربت في فلاة قلبي الخياما
ونسيم الصبا ونشر الخزامى

منك بردًا على الحشا وسلاما
لك ذلّ الفؤاد مني وهاما
أخذت بالنهي وليست مُداما

خلت حرّ الهوى وحربَ التجافي
كلما حرّكت يدُ الدّلّ قَدًّا
حركاتُ بها بدا كل لطفٍ

ترك الذمام

فإلامَ القلب يريعاكم إلام؟
بهواكم حيث لم تبلغ مراما
فهو عند الكل قد أضحى حراما
بل على قلبٍ بكم ضجّ وهاما
تحرّسوا الملك، ولم ترعوا مقاما
ولكم قاسيت وجداً وهياما
ليت حسن الوجه لا يسبي الأناما
من كرامٍ يستحبون لئاما
ترككم إذ خنتم ذاك الذماما
رغم سلطان الهوى عفت الغراما
حين كنتم عروّةً تأبى انفصاما
هل تخذتم عوض النور ظلاما؟
لا سقاك الله من بعدي الغماما
للكلاب اليوم أصبحت مقاما
بنواحيها لئامًا لا كراما
ضربت فيها ذوو النخس الخياما
إذ رأى الأحياء قد صارت راما
نظرت عين حسودي ذا الختام

خنتمُ العهد ولم ترعوا ذماما
أسفت نفسي على دهرٍ مضى
إن غدا الغدر حلالاً عندكم
ما عليكم قط مني عتَبُ
إنني ملكتكم قلبي فلم
كم سهرت الليل أرعى حبكم
ليت ذاك الحب لا كان ويا
كم بدا الحسن على لومٍ فكم
عزة النفس دعت قلبي إلى
ففؤادي قد سلاكم وعلى
كانت النفس لكم عاشقةً
فبمن عوضتموني يا ترى
يا ربوعاً قد رعى غيري لها
كنتِ للآساد غاباتٍ وها
لا سقى الوسمي داراً جاورت
رحلت عنها مطايا السعد مذ
وقف الحاسد فيها شامتاً
ليت مبدا الحب لا كان ولا

الوفاء

وحسب قلبي ما يلقي من الألم
وكيف يصبر مطروحٌ على الضرْمِ؟

كفى لحاظك أن تسعى بهدر دمي
صبرت في الحب حتى لات مصطبري

أَلْيَّةٌ هِيَ عِنْدِي أَشْرَفُ الْقِسْمِ
 قَدْ أَتَهْمُونِي بِأَمْرِ لَيْسَ مِنْ شِيمِي
 فَوْدِي فَهَذَا بَيَاضُ الْوَجْهِ فِي التَّهْمِ
 صَبًّا بِحَبْكٍ يَدْعَى عَابِدُ الصَّنَمِ
 حَتَّى غَدَا فِي الْوَرَى كَالسَيْفِ وَالْقَلَمِ
 رَوْحًا بَلَا بَدَنٍ لَحْمًا عَلَى وَضْمِ
 يَسُدُّ جَوْعًا قَدْ اسْتَسَمَنْتَ ذَا وَرَمِ!
 مَوْدَةَ الشَّهْمِ جَرَجِي ثَابِتُ الْقَدَمِ
 أَثْمَارُهُ جِئْتُ مِنْ لَطْفٍ وَمِنْ كَرَمِ
 بَيِضٌ تَحَاكِي الدَّرَارِي فِي دَجَى الظُّلَمِ
 وَالْفَضْلُ مِنْهُ جَرَى كَالهَاطِلِ الْعَرَمِ
 فَعَادَ أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمِ
 فَجَلَّ فِي الْحَلَّتَيْنِ الْحَسَنُ وَالْهَمَمِ
 فَهُوَ الْوَفِيُّ حَفِيزُ الْعَهْدِ وَالذَّمَمِ

أَمَا وَعَيْنِيكَ إِنْ الْحُبِّ شَنْشَنْتِي
 بئسَ الوشاةُ فَإِنَّ الْمَيْنَ عَادَتَهُمْ
 شَكْرًا لَهْجَرِكَ إِذْ أَلْقَى الْمَشِيبَ عَلَى
 بِاللَّهِ يَا صَنَمَ الْحَسَنِ الْبَدِيعِ صَلِّي
 صَبًّا بَرْتَهُ النَّوَى وَالْدَهْرُ حَدْبُهُ
 وَغَادَرْتَهُ بَنَاتُ الدَّهْرِ مَقْرِيبُهُ
 إِلَيْكَ عَنِي وَحُوشُ الْخَطْبِ مَا أَنَا مِنْ
 مَهْمَا فَتَكَّتِ فَلَا أَلُو الثَّبَاتِ عَلَى
 فَرَعِ الْأَكَارِمِ غَصْنٌ بِالرِّيَاضِ نَشَا
 زَاكِي الْخِصَالِ، عَرِيقُ الْأَصْلِ، ذُو شَيْمِ
 لَهُ النَّبَاهَةُ دَانَتْ وَالنُّهَى خَضَعَتْ
 رَاحَتْ بِهِ أَلْسُنُ النِّعْمَاءِ مَنْشَدَةً
 فَاقِ الْغَزَالَهَ بَشْرًا وَالسَّهَاءَ هَمَمًا
 بِهِ اغْتَنَيْتَ عَنِ الْأَصْحَابِ قَاطِبَةً

وقال:

فَأَبْدَى لَنَا وَجْهًا مَحَا قَمَرَ السَّمَاءِ
 كَثُوسٌ بِهَا أُرْوَى وَفِيهَا أَرَى الظُّمَاءِ
 ضَلَلْتُ وَكَمْ نُورٍ عَلَى الطَّرْفِ خِيَمًا!
 فَيَا حَسَنَ مَنثورٍ يَضَاهِي الْمُنْظَمَاءِ
 بِحَرْبَتِهِ حَتَّى أَفَاضَ دَمًا وَمَا
 ثَبِيرًا لِأَضْحَى مَائِدًا مَتَّهَدَمًا
 وَمَنْ ذَا يَرَى حَسَنًا وَلَمْ يَكُ مَغْرَمًا؟
 وَسَاهَمَنَ طَرْفًا رَاشٍ بِالْهَدَبِ أُسْهَمًا
 فَصَدَّتْ وَقَالَتْ: رَاحَ يَشْكُو التَّتِيمَاءِ
 مَرَامًا سَوَى نَجْوَاكِ يَا دُمِيَّةَ الدَّمَى
 نَجُومًا وَقَلْبِي لَا يَزَالُ مَنْجَمًا

تَبَدَّتْ وَبَدَرَ اللَّيْلُ فِي أَوْجِهِ سَمَا
 بَدِيعَةٌ حَسَنٌ كُلُّ أَطْوَارٍ وَجْهَهَا
 هِيَ الصَّبْحُ إِلَّا أَنَّنِي فِي شِعَاعِهَا
 نَثَرْتُ لَأَلِي الدَّمْعَ حِينَ تَبَسَّمَتْ
 وَجَنْدِيَّ طَرْفَ رَاحٍ يَطْعَنُ خَدَهَا
 لَقِيَ الْقَلْبَ مَنِي لَوْعَةٍ لَوْ بَثَّتْهَا
 عَلَّقْتُ بِهَا غِيْدَاءً مَنذُ رَأَيْتَهَا
 مَهَاءً بِهَا أَسَدُ الشَّرَى هَمَنَ صَبُوءَةً
 شَكُوتٌ إِلَيْهَا مَا أَقَاسِي مِنَ الْجَفَاءِ
 رَوَيْدِكَ بِالصَّبِّ الَّذِي لَا يَرَى لَهُ
 عَلَيْكَ دُمُوعِي صَرَنَ يَا فَلَكَ الْهُوَى

الهيام

ويتلفني التشوق والهيام؟
 ولا غمض هناك ولا منام؟
 أصابت مهجتي منها سهام
 وها جسمي يذوب ولا سقام
 فلا أصحو ولو صحت المدام
 ولا لتحمل البلوى عظام
 وأشجان لها فيه ازدحام
 وحرّت وصار كالكرم الكلام
 وهل صبح يلوح ولا انسجام؟
 بطيف كان يحييه الظلام
 به من ذلك الطيف اضرام
 به جرح ولم يرهف حسام
 فيا ويلاه! هل يطفى الأوام؟
 يؤانس وحدتي إلا الغرام
 تظلم الروابي والآكام
 سوافر لا قناع ولا لثام
 فمن شجر الأراك لها خيام
 وثيقا ما لعروته انفصام
 به الأوهام تسبح لا الهوام
 يفوح كذا البنفسج والخزام
 نجومًا في السماء لها انتظام
 على رشيد وليس له زمام
 بمعصمها الفخيم له اعتصام
 فينتعش المشوق المستهام!
 فلا حزن يليه ولا حمام
 وليس يزول هذا الابتسام

إلام إلام يصرعني الغرام
 وحتام الخيال يجوب طرفي
 رمتني أعيني بهوى عيون
 فها دمعي يسيل ولا نكال
 وها قد طال سكري بالتصابي
 ولكن لم يعد قلب لي هو
 ومما ذاق من ألم فوادي
 تشرّد خاطري وغوى رشادي
 فهل ليل يروح ولا اضطراب
 وصبح ليله أحيا جفوني
 أفقت مودعا وسني وقلبي
 وأحشائي تذوب وكل عضو
 أوام في الجوانح مثل نار
 هرعت إلى الهضاب ولا رفيق
 هناك لوحشتي وإد أنيس
 تلوح عرائس الأفكار فيه
 ولا تخشى ذبولا من هجير
 هنا دوح تمد شراع ظل
 على جو زها وصفا أثيرا
 هنا النسرين تحت طرنجيبيل
 زهور فوق ذاك الأفق تحكي
 وسلسال يدور به ويجري
 حكى حول الكتيب سوار خود
 وما أحلى النسيم تهب صبحا
 هنا يحيا وينعم كل بال
 هنا وجه الطبيعة في ابتسام

أحاول فيه أن يخبو الضرامُ
 إذا ما عزَّ في قومي المقامُ
 بذا الوادي ولا خمر وجامُ
 أروم، ولست أدري ما المرامُ؟
 بحبر دمي فيقرؤها الحمامُ
 على الدنيا وحيثها الأنامُ
 وأخفى وجهه البدر التمامُ
 كزهر عنه تبتسم الكمامُ
 ويستعلي على القمم القمامُ
 فما هذا بشامُ أو ثمامُ
 وقال: عليك يا عبيد السلامُ
 وراح من الجوى يجف القوامُ
 وزاغ، وزاغ في فمي الكلامُ
 وضاع الحزم وانحل الحزامُ
 وكم هامت على الأهواء هامُ!
 ولجلجتي ووجدي والهيامُ
 وكررت السلام كما يرامُ
 جوابُ من فم فيه فدامُ
 شروءُ عن شهودي وانهزامُ؟
 أراك بعد هجري الالتظامُ؟
 فمك اليوم قد هتك الزمامُ
 ورُبَّ تفرُّدٍ فيه اغتنامُ
 وأين وكيف ذلك يا همامُ؟
 أقلَّ جفاً به قلبي يضامُ
 كلاماً في الفؤاد له كلامُ
 من الوسواس فيك فلا ألامُ
 لحكمتِه على نفسي احتكامُ

هنا لي في ضحى عشقي مقيلاً
 أقيم به مدى عمري فريداً
 وبيناً كنت في سكري صريعاً
 شريعداً ما لأفكاري قرار
 ويكتب في الثرى جفني شجوني
 إذا بنت الصباح بدت وحيث
 فغار النجم وأمحت الثريا
 ولاح من الظلام الكون يزهو
 وراح الظل يهبط في المهاوي
 عبيرٌ فاح قلت: من الموافي
 إذا صنم الجمال بدا أمامي
 فكدت أطيّر من فرحي شعاعاً
 وقد أطرقت زهلاً واندعاشاً
 وخلت القلب فرّ وطار عني
 مهاةٌ همت وجدداً في هواها
 وحين بدا لها ذهلي وبهتي
 عطت بالجد وابتسمت بلطفٍ
 وحاولت الجواب فكيف يحلو
 فقالت: هل يروقك بعد وصلي
 فقلت لها: جديرٌ أن تقولِي:
 نعم قد راقني بجفاك هتكي
 لذلك لذّ لي عنك انفرادي
 فقالت لي: متى صدي وهجري
 فقلت لها: أنا أعتدُّ هجرًا
 وأحسب كل لفظٍ منك يقسو
 ولا عجبٌ فذا مما بصدري
 فقالت: والذي أنشاك صباً

أنا ألقى الذي تلقى ولكن
فقمنا في اصطلاح بعد عتب
وسرنا والشجون على التصابي
هناك كسرت قوأت التجافي
فسيف العقل في الدنيا لسان
على أن الفتى بالنطق يحيا
فما وجدت طبيعته سلاحا
فلا ظفر ولا ناب طويل
أرى أن الهزيمة لا ترام
له في القلب قد فتح الصمام
يعالجها عناق وانضمام
بسيف ليس يعرفه انثلام
وسيف الجهل وأسفي حسام
وبالنطق الوفاق أو الخصام
سوى العقل الذي فيه السلام
ولا قرن ولا سم يسام

وقال راثيا سيادة المرحوم المطران إثناسيوس تنتجي:

ما للدموع من البرية تنسجم
لمن النحيب؟ لم البكاء؟ لم الأسى
هذا هو الحبر النبيل المتقى
شهدت على أفضاله أقلامه
فعلى ضريحك سيدي أبكي الدما
هذا مراد الله لا دفع له
ما دام كل بداية لنهاية
هذا حزين ذا طروب ذا له
ويلاه من جور الزمان فإنه
فعليك تبكي أعيني وجواني
من بعدك الحق أمحي والرشد قد
كم كنت أبسم إذ تراك نواظري
دعني عليك أبا قنوط باكيا
وعلام أضحي كل قلب مضطرم؟
بالله أي الفاضلين لقد عدم!
إثناسيوس يا دمع مقلتي انسجم
بمؤلفات قد حكمت أحلى الكلم
إذ إنني لك بالمدامع ملتزم
فالصبر أولى، والقضاء لقد حكم
فنهاية الإنسان أمر قد جزم
وجه عبوس ذاك وجه مبتسم
يحمي الجهول ويقتل النذب الشهم
تصلي بجمر في ضلوع قد ضرهم
ولى، وناموس العدالة قد هدم
والآن وجهي من ضنى حزني يجم
أسفا وكن في حضن ربك مرتحم

وقال يمدح صاحب الجلالة حضرة «فؤاد باشا» ناظر الخارجية حينما كان مدبرا
أحوال سوريا في أيام مصائبها سنة ١٨٦١:

للدهر أحكام عواقبها حكم
فاخضع لديه خضوع خصم للحكم

فيه تجلد فهو يقبل بالنعمة
يبدى لهم خيراً يجد مع السلم
عجبي إذا سلمت من الفتن الأمم
يعجب إذا ما الشر قام على قدم
يطوي على شرّ بجبهته ارتسم
عتب إذا ساء الفتى فله ندم
عذراً ولا عذر سوى نقص الشيم
قد شبّ جمر الخطب فيها واضطرم!
وتأججت بقلوبهم نار النقم
وغدا يلاطم سفحه موج الألم
وبناء ذياك الجمال قد انهدم
يحكي لجا بما تشيب به اللمم
هول الزمان وليس يعطبه الهرم
نظرت نواظره على دمن رمم!
وجرى به بردى لدى كل النسم
بأنينه وقويق جارته الغمم
دكت، فوا أسفا على ذاك الشمم!
وثارت النوح العظيم ذوو النعم
من كان مكتسباً بجلباب الكرم
أحلّ سفك دم بأبواب الحرم؟!
زلت بكم قدم ولا خنتم قسم
ليجر في البلوى فبينهما ذمم
فيض الغمام فكم تفرق وانسجم!
يبكي، وآخر راح يذبح كالغنم
فأتى فؤاد العدل يطفئ ذا الضرم
جيش المصاب يردّه بقوى الحكم
كأب بتربية البنين قد التزم

وإذا الزمان أتك بالنقم التي
زمن إذا ضرم الوغى بين الورى
لا أعجب لفتنة في الناس بل
من كان مطلعاً على التاريخ لم
هيهات أن يمضي زمان دون أن
كل على الأسواء منطبع فلا
والمرء يجهد أن يقيم لذنبه
ويح لسوريا بهذا العصر كم
وطئت رءوس الكل أخصاص الأسى
هبطت على لبنان صاعقة الردى
فارتجّ قطر الشام من زلزاله
لو كان للأرز القديم فم به
شيخ على لبنان قام مصادماً
كم أذنه سمعت عويل نسا وكم
صبغت دمشق ذيلها بدم الورى
حتى غدا العاصي مطيعاً للبكا
كانت جبال المجد عالية وقد
وغدا سرور الناس حزناً هائلاً
وقد اكتسى ثوب المذلة والضنا
ما جلق إلا كمكة بالتقى
رعياً لكم يا ساكني حلب فما
والجار ملتزم بإخلاص الوفا
نكت العهود أفاض دمعاً دونه
لم تلق غير مزمل بدمائه
ضمرت بأفئدة الورى نار البلى
حكم إذا ساق الزمان على الورى
أبدى لإصلاح الرعية جهده

تعنو وقد شهر المهند والقلم؟
من فاسد الاخلاق إذ لولاه لم
هذي الديار لعاث بالناس العدم
وجلا عن الشهباء هاتيك الظلم
كفر وصبح سنا النسيم قد ابتسم
وأعاد شأوهم إلى أعلى القمم
تبدو إذا سل الصوارم واحتكم
لولا مضاء السيف من يرعى الأمم
حارت بجوهره الأعراب والعجم
سدت عليه طرقه تلك الهمم
فشفى الصدى بنواله الحاكي الديم
وقع القضا لكن بحكمته انتظم
خوف على من بالفؤاد قد اعتصم
طرّاً، فأعطى القوس باريها فنم

فعنت لصولته البلاد، وكيف لا
والحكم ملح الأرض يصلح ما بها
لولا قدوم جلاله السامي إلى
مذ حلّ جلق كالشهاب أنارها
فانجاب ديجور الشقاء وكان ذا
نقل العباد من العناء إلى الهنا
فبكل قلب للمهابة رعدة
كتب القضاء على فرند حسامه
ولقد حباه الله عقلاً نيراً
رجع الوبال إلى الورا نكصاً فقد
والدهر أظماً كل ريان الحشا
نثرت يد البغضاء عقد العهد مذ
يا ساهر الأغلاس خوف الضيم لا
ملك الورى أعطاه تدبير الورى

وقال يرثي شاباً من أصدقائه:

ولم العيون شواخص وسواجم؟
فوق الرغام، وذو البشاشة واجم؟
صغر وهنّ جوامد وعظائم
والأفق يغشاه العجاج القائم
بتمامه وعلى صباه تائم
وجهه يضيء به الظلام الفاحم
زهو، فجازبه القضاء الظالم
أودى به نسر المنون الحائم
فاصطاده أسد الحتوف الهائم
فقضى ووسده التراب الكاظم
ناحت على أفنانهن حمائم

ما للوجوه غوائص وسواهم
ماذا جرى فأخو الفصاحة ساكت
ما لي أرى هذي النفوس تذوب في
ما لي أرى وجه الأثير معفراً
بدر هوى في الترب وهو مزين
بدر تحجب في الخسوف وكان ذا
غصن على دوح الشبيبة كان في
غصن ولكن بالمحاسن مفرع
ظبي يصيد بطرفه أسد الشرى
ظبي له الأكباد كانت مرتعاً
فلتندبنّ النادبات عليه ما

من رقةٍ منها تفوح نسائمُ
ومشت عليه دبائب وبهائمُ
نامي، فها تلك العيون نوائمُ
كيف الخدود خبت وفرَّ اللاثمُ؟
عنه وطورًا في الشباب يزاحمُ
ولذي الجهاد مباعدٌ ومصارمُ
ولذي الطلاح مصالحٌ ومسالِمُ
وصداقها خطبٌ وضميمٌ دائِمُ
يلهو عليها جاهلٌ أو عالمُ
راحت تحار خلائقٌ وعوالمُ
خضعت لديه غطارفٌ وضياعمُ
وله نفوس العالمين غنائمُ
بدر به كانت تضيء دياجمُ
ظبي له بين القلوب معالمُ
غنت به الأملاك وهي بواسمُ
تنعدُّ أعياد له ومواسمُ
كيف انقصفت وأنت غصن ناعم؟
كيف أمّحيت وأنت نورٌ باسمُ؟
وعلى صباك النذب أمر لازمُ
وبكت على زاكي ثراك غمائمُ

أسفًا على ذاك الشباب وما حوى
أسفًا على ذاك الشباب فقد ثوى
يا أعين الغيد التي افتتنت به
ولأنت يا خود الخدود تأملي
ولرب موتٍ شطٌّ في شيب الفتى
كالدهر فهو لذي الغيور مواصلُ
ولذي الصلاح مقاتلٌ ومحاربُ
نفس النفيس لدهرها مخطوبةُ
ماهذه الدنيا سوى مجموعةٍ
دنيا تعلمنا علومًا دونها
ما الموت إلا حاكم إن يحتكم
بطلٌ يكرُّ مدى الزمان مغازيًا
سحقًا لموتٍ في دجاءٍ قد أمّحى
أضحى له بين القبور معاهد
لما بكته الثاكلات عوابسًا
فعلى الثرى حزن عليه وفي السما
وا حسرتاه عليك يا غصن الصبا!
كيف انكسفت وأنت شمسٌ في الضحى
أسفًا عليك أيا غضيض وحسرةُ
ما طيبت مثواك أرواح الصبا

وقال موزعًا الأحرف الهجائية في أوائل كل كلمة من كل بيت بالاستقراء:

أذاب الحشا، أفنى الرقاد اضطرامها
بها بانَ بلبالي بمسكِ بشامها
ترائبها تسبي تسامى تمامها
ثمنٌ ثناياها ثوي ثمامها
جزيلة جورٍ جادَ جمراً جهامها

إلى الحب أشواقى استطال ازدحامها
بروحي بقلبي بالحياة بديعةُ
ترى تدري تعذبي ترقّ تعطفًا
ثداها ثريفٌ ثوّم ثم ثغرها
جوّى جلدي جزّاه جار جفاؤها

حشاي حذار حيث حال حسامها
 خصيبة خد خادعتني خيمها
 دمي دُعجها دَرَّتُهُ دَامَ دوامها
 ذمومي ذر ذمي ذواني ذمامها
 رقيقة روح راع روعي رعامها
 زواهر زهري زيد زهوا زحامها
 سناها سبي سري سلاني سلامها
 شريف شذاه شن شوقي شمامها
 صوارمها صالت صروفي صدامها
 ضعيتها ضدي ضناني ضرامها
 طلاها طريف طاب طعم طرامها
 ظفائرها ظل ظليل ظلامها
 على عشقها عذراء، علت عظامها
 غرتني غوازيها غواني غمامها
 فإن فتكت في فلذتي فمرامها
 قسيّة قلب قد قلبي قوامها
 كعوب كساني كل كرب كلامها
 لعمري لما لاح ليلاً لثامها
 مهاة مخدرة منيع مقامها
 نقيه نحر ند نظمي نظامها
 هناني هيامي، هل هناها هيامها؟
 ولوعي ووجدي واجتهادي وشامها
 لأنني لأعينها لأعشق لا مها
 يتيمني يومًا، ينوخ يمامها

حوت حدقا حامت حديقة حسنها
 خريدة خدر خصني خوط خصرها
 دعنتني دعوها دار دور دلالها
 ذروها ذروها، ذابلية ذابل
 رجيحة ردف، راق راح رضابها
 زها زمني، زالت زوابع زيغتي
 سمية سميت سادني سيف سعدا
 شمائلها شقت شمولاً شهودها
 صماني صلاني صادني صول صدها
 ضفائرها ضيعن ضوء ضمائري
 طوت طاقتي طراً طلائع طرفها
 ظلوم ظوامي ظلمها ظلمتهم
 عديمة عيب، عاهدتني عيونها
 غدائرها غادرني غير غانم
 فداها فوادي فهي فيه فريده
 قلاها قلاني قد قصتني قبابها
 كثيرة كبر كم كواني كفافها!
 لماها لذوقي لذ لما لثمتها
 مدامتها من مقلتيها مدارة
 نعيمة نار نعم نور نهودها
 هناك هواها هاجني، هد همتي
 وحق ولاها والهوى وعيونها
 لئن لامني لاح لأقصيه لاعنا
 يرنحني يومًا يبر يمينها

وقال تاريخاً ينقش على ضريح «روفائيل فتح الله كوبا»:

هذا رياض أم سماء أم ثرى فيه ثوى بدر وغصن أنعم؟

قافية الميم

غصن من الشرفاء زاك أصله بدر بنور كماله يتبسم
ما حلَّ «روفائيل» في هذا الحمى إلا ليحميه المحلُّ الأعظم
فليرعَ لحذك خير تاريخٍ أيا بدرًا قضى فبكت عليه الأنجم

سنة ١٨٧١

قافية النون

وقال يمدح غبطة «غوريغوريوس» البطريك الإسكندري والأورشليمي والأنطاكي وسائر المشرق:

من لا يفيه فليس بالإنسان
فالفضل ركن الخير والعمران
وجبت عليه قصائد الشكران
متكاثراً في السيد المنصان
عمت فضائله على البلدان
أرض الهدى، وغدت كروض جنان
ما حازها قبلاً سوى «لقمان»
زهو الزهور بعارض هتان
يسمو بسلك نتائج الأذهان
بحر تموّج فيه بحر ثاني
أكرم به من سيد منان
أوج العلا وزهت على الأقران
نفساً تحاكي النفس للأبدان
مثل الشهاب يلوح في الغدران
لمديحه فلذاك غار لساني
حقاً يفوق على قوى إمكاني
فكأنها صيغت من الريحان

مدح الأفاضل دين كل لسان
صرح الفلاح على الفضيل مشيد
ندر الفضيل، فمن يصادف فاضلاً
حسن الخلاق، قلّ لكن قد غدا
حبر الكنيسة «غوريغوريوس» الذي
حبر بهاطل علمه قد أحبرت
شهدت بحكمته الأنام شهادةً
هو بطريك الروم فيه قد زهوا
إن قال فالدر الجمان بلفظه
أوعى الحجا في صدره، يا حبذا
يسعى ليسدي قومه كل المنا
فرقت به الملكية العليا إلى
لا ريب فهو لجسم ملته غدا
يبدو تواضعه بقدر سموه
وجب المديح له وكل منشد
لكنني هيات أقدر أن أفي
كملت خلائقه وطابت عنصرًا

ورقت إلى أرقى من الدبران
 طبعاً من الأنوار والنيران
 منه حلول الشمس في الميزان
 كالنور يجلو ظلمة الأكوان
 بالقوتين: العقل والبرهان
 إكرامهم في أثقل الأوزان
 علم ومن لطف ومن إحسان
 خرت له طوعاً إلى الأذقان
 قالت: حماه الله من طغيان
 لأرى شفاي من العضال الجاني
 سرت الصبا وتعاقب الملوان
 دامت سنوك لأطول الأزمان

وسمت نباهته التي تهدي السنا
 فذكأؤه السامي وسالم حزمه
 حلت دراري الرشد في فلك النهى
 فجلى بحكمته دجى غسق الغوى
 أسر القلوب بأسرها فعنت له
 لطفت مكارمه فزان له الملا
 جلّ الذي أنشأه من عقل ومن
 لو تعلم الجوزاء شأواً مكانه
 أو لو درت شمس السماء رشاده
 آه على تقبيل طاهر ذيله
 وأروح في فرح بحسن السعد ما
 فأدم عليّ دعاك يا قدس التقى

هوى النفس

واشرحي فني على الفن
 نغمة العشق على أذني
 بأليف عنك لم يبين
 كلما جزت على الدمن
 بعد سير العيس بالسكن
 مفرقي أصبح كالقطن
 وغدت أنحل من بدني
 محنة من أعظم المحن
 تلك حقاً عادة الزمن
 وسهادي بدل الوسن
 مدمعي كالعارض الهتن
 في فؤادي سكنة الوطن
 لوعة أسكنتها سكني

حدثي يا ورق عن شجني
 وأنشدي ما هب ريح الصبا
 غردي ما دمت ظافرة
 واهطلي يا سحب عن غبرتي
 دمن بين ربوع عفت
 بقطين في فراقهم
 يا طولاً بعدهم درست
 آه من جور العباد، فذا
 زمن قاس أتاح النوى
 جعل البين بديل اللقا
 ذكر الله الألى بعدهم
 آثروا الغربية لكن لهم
 أودعوني حين ودعتهم

سَاءَ عِيشِي دُونَهُمْ فَهُوَ فِي
لَيْتَ شَعْرِي! هَلْ تَرَاهُمْ دَرُوا
لَسْتُ أَنْسَى الْعَهْدَ لَا وَالَّذِي
آهٍ وَاشْوَقي لِبَدْرٍ وَإِنْ
سَاكِنُ بَيْتِ فَوَّادِي وَذِي
ظَبْيٍ أَنْسِ فِي هَوَاهُ وَهَيَّ
إِنْ قَلْبِي لِلْهَوَى فَرَسُ
لِبَهْيٍ كُلِّ تَبْهِيَةٍ
وَإِذَا كَانَ الْبَهَا حَسَنًا
كَمْ غَبِيٍّ مَذْرُوعٍ ثَوْبُهُ
يَلْبَسُ الدِّيبَاجَ فَخْرًا عَلَى
إِنْ يَكُنْ ظَاهِرُهُ نَاعِمًا
نَدَرَ الْقَلْبُ الَّذِي جَلَّ عَنْ
أَيْنَ مَنْ تَتَمَرُّ فِي قَلْبِهِ
مِثْلَ الْكَلِمَةِ فِي أَحْمَقٍ

سَقَرِ لَوْ كُنْتُ فِي عَدْنٍ
أُنْنِي لِلْعَهْدِ لَمْ أُخِنْ؟
زَيْنَ الْإِنْسَانِ بِالْفُطْنِ
بَانَ عَنْ عَيْنِي لَمْ يَبْنِ!
مَنْعَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمَنْعِ
عَزَمَ صَبْرِي وَكَرَّاهِي فَنِي
شَدَّ بِالْأَشْوَاقِ كَالرَّسَنِ
دُونَهُ كَالشَّجِّ الْوَهْنِ
فَالْتَبَاهِي لَيْسَ بِالْحَسَنِ
عَنْ غَنَى أَتَهَمُ بِالزُّكْنِ!
جَسَدٍ أَلِيقَ لِلْكَفَنِ
فَهُوَ إِفْكُ الْبَاطِنِ الْخَشَنِ
وَضُرَّ التَّدْلِيسِ وَالْدَرَنِ
عِظَةُ الْحَقِّ وَلَمْ تَشَنْ؟
مِثْلَ الْمَطْرُوحِ فِي السَّحَنِ

وقال إلى «الخوري أنطونيوس قندلفت» جوابًا عن رسالة بعث بها إليه حين قدومه من باريس:

بِشْرَاكِ يَا قَلْبِي فَقَدْ نَلْتُ الْمَنَى
وَلَأَنْتِ يَا عَيْنِي، فَقْرِي وَابْشَرِي
وَالْبَيْنَ بَانَ وَعَادَ عَوْدَ سُرُورِهِ
لِلَّهِ مَا أَحْلَى الْإِلْقَا وَأَسْرُهُ
لَوْلَا النَّوَى مَا طَابَ قَلْبٌ بِاللِّقَا
لَوْ كَانَ يَدْرِي الدَّهْرُ مَا عَقَبَى النَّوَى
يَا أَيُّهَا الْأَحْبَابُ، إِنِّي لَمْ أَزَلْ
مَا غَيَّرْتُ غَيْرَ الزَّمَانِ قُلُوبَنَا
وَإِذَا الْقُلُوبُ تَقَلَّبَتْ فِي الْبَعْدِ مَا

بَلَقَا الْأَحْبَةَ، فَابْتَهِجْ فَلَكَ الْهَنَا
فَالدَّهْرُ بِالْإِقْبَالِ جَادَ وَأَحْسَنَا
فِينَا بِأَثْمَارِ الصِّفَا مَتَزِينَا
وَأَمْرٌ مَقْدُورُ الْفِرَاقِ وَأَحْزَنَا!
يَوْمًا، فَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا لَمَعَ السَّنَا
لَا رَيْبَ مَا شَرَعَ الْفِرَاقُ وَمَا اعْتَنَى
لَكُمْ الْوَفَى وَفِيَّ وَدَّ أَزْمَنَا
يَوْمًا، فَأَنْتُمْ أَنْتُمْ، وَأَنَا أَنَا
كَانَ الْوُدَادُ بِهَا سَوَى ظِلِّ الْقَنَا

في الحب حين دنا حكى جبلاً دنا
قد كان ذكركم لقلبي ديدنا
في أكؤس الذكرى براحت الضنا
فالذكر للأرواح يجمع بيننا
وبأضلع قاست لبعدكم العنا
إلا وهمت وملت سكرًا معلنا
لي في لقا الخوري أنطون منى
وأب يمد إلى البنين الأعينا
كوفاء دين والثنا يدعو السنا
تزري بأرباب المروءة والونا
فلكم بنى فضلًا على هذا البنا!
والجود في رب الغنى يحمي الغنى
تفضي به نحو المذلة والفنا
مال، ومال الجهل بئس المقتنى!
كل الأخلّة نعم ذياك الغنا
أضحت على سمع تدير الألسنا
نقصًا فقدح، أو كمالًا فالثنا
عي الود، محروس الهنا، داني الجنا
بالدر في الأجياد كانت أحسنا
فبسرّها السحر الحلال تبينا
وصفت فكانت كالزلال بها الهنا
بشراك يا قلبي فقد نلت المنى!

ودّ قديم في فؤادٍ راسخ
والله أقسم والألية حجة
فلكم مزجت بأدمعي راح الهوى
والبين إن يك للجسوم مفرقًا
قسماً بحبكم المقيم بأضلعي
ما مرّ في قلبي تذكر أنسكم
كلّ له عند اللقاء منى وكم
شهم على حفظ الشهامة ثابت
متسرّب حلّ الولا، راعي الوفا
ولكم له في الأمر نهضة كاسر
ما غال همته الحمية غائل
لما اغتنى بالعقل جاد بحقه
والشح في طبع الغني مصيبة
والناس هم صنفان: ذو عقل وذو
يا أيها الخلّ الذي غنت به
وكذا به الأسماع قد طربت وقد
والأذن توحى للسان فإن يكن
يا كامل الأوصاف، سامي الذات، را
أتحفتني بقصيدة لو قستها
يسطو على الألباب خمر بيانها
رقت فكانت كالنسيم إذا سرى
ناديت حين جلت لقلبي حسنّها

نبوة الماضي

هذا نبئٌ صادق لا يخون
لا بد أن يجري بمجرى القرون
لكن حد الوقت ليس يهون

ينبئ ما كان بما سيكون
وما يخال المرء مستبعدًا
يهون أن نقول: سوف يرى

هارت! وكم شعب طوته المنون!
 أين ثوى أولئك العاهلون؟
 أين هوت أسوار تلك الحصون؟
 وأين يونان الحجا محجمون؟
 وشأنها تبديل كل الشئون
 حزناً وكم سدت وأسدت عيون!
 تقلبات أحدثتها السنون
 وسوف يبلي الدهر كل المتون
 آثاره تظهر غير عيون
 طوفان نار بعد سوف يكون
 في الأرض آثار تراها العيون؟
 على اضطرام الأرض ضمن البطون؟
 وأصبحوا تحت القضا يرقدون
 تمدناً ما هو إلا جنون
 بألفة قد أورثته الشجون
 يصاحب الدهر العدو الخئون
 وكم غدا عالٍ أسيراً بدون!
 أسرى لأفراد بها يفتكون
 وقد أتوا من شرهم بفنون
 ليكبروا بها وهم صاغرون
 بغاتهم؟ فذاك سرٌ مصون
 منها على لذاتهم ينفقون
 مجزرة الغش ولا يشفقون
 لكن عن الفحشاء لا يغفلون
 وسوف يطوون ولا ينشرون
 فهذه غاية من يظلمون
 يا ويلهم إن نهض النائمون

كم قوة خارت! وكم دولة
 أين انطوت دولة مصر ترى
 وأين أثور وبابلهم
 وأين رومان الحروب مضوا
 ذي غيير الأيام غائرة
 كم رفعت سهلاً، وكم خفضت
 ما خط أشكال الأراضي سوى
 فسوف تفنى كل مملكة
 وسوف يخفى كل حيٍّ، ومن
 طوفان ماءٍ كان قدماً كذا
 فكم جرى هذا القضا وله
 فكيف قد شاد الورى مدناً
 قد كردسوا الصخر على هامهم
 تمدن الإنسان، يا ويله!
 قد جلب البلوى على نفسه
 ذي ألفة ساقته قهراً لأن
 فكم بها حرٌّ لعبدٍ عنا
 أما ترى ألوف هذا الملا
 قد ظلموا واستكبروا وبغوا
 وعظموا القاب أنفسهم
 لا علم لي كيف الورى عبدوا
 قد سلبوا أموالهم وغدوا
 ساقوهم سوق النعاج إلى
 قد غفلوا عن كل صالحة
 فسوف يمحو الدهر دولتهم
 وتقطع الأقدار دابرهم
 فالناس عن أطوارهم نومٌ

ولم يصبهم من قصاص هتون!
لكن على قوم له يسعدون
إطرائه الراوون والكاتبون!
والجائر القاسي رءوفاً حنون
وغير خسر الصيت لا يربحون
فسوف يبكون الذي يقتلون
يخادعوا الله، وما يخدعون
ليحسنوا في عين وإل خئون
أمتهم، فليتهم يعلمون
وتهتك الضوضاء ستر السكون
فكم له على الأنام ديون!
صبح فما قد كان سوف يكون

فأي قوم أمطروا ظلمهم
لا عتب على غبي بغى
كم فاسق مرتكب هام في
يدعون سفاك الدما بطلا
قوم يبيعون الله باله
هم يقتلون الحق وأسفي
قد لبسوا ثوب النفاق لكي
ومزقوا العدل، وخانوا التقى
يعزهم شخص وتزري بهم
سوف يقوم الحق من قبره
ويفتح الناموس دفتره
ما كان ليل قط إلا له

وقال:

وعيوننا إذا رنت قتلتنا
ووجوهاً بالحسن قد سلبتنا
كل قد يسبي القنا أن تثني
أكؤسا، طالما بها أسكرتنا
وبجيد تزري الغزال الأغنا
ح تقول العشاق: قد آمنا
بفؤادي، وذاك حساً ومعنى
ليس يفنى، فذات حسن وحسن
الحبيب الذي عليّ تجنّي!
يا خليلي يعين هذا المعنى؟
وهو في ذلك العذاب تهناً
لال حام الصبا عليه وغنى
وسهم منهن في القلب رناً

يا قدوداً إذا انثنت فتننا
وثغوراً تهدي فرائد در
دأبنا نعشق الجمال ونهوى
ومهاة تدير من مقلتيها
تخلج الغصن في النقا بقوام
آية الحسن وجهها فإذا لا
هي نور بمقلتي، وناز
ذات خد يفني القلوب وود
سبت القلب بالتجني وما أحلى
وأحلت بالهجر قتلي فمن ذا
عذبت بالدلال قلبي ظلماً
كلما هز غصن قامتها الإد
ما أدار الشباب أحدها إلا

كيف يسلو تلك المحاسن صبُّ
وإذا رمتُ أن أملَّ هواها
ومحال أني أروم سلوًا
أبعدتني فكيف أهنا بعيش؟
وأذاقت قلبي بذاك النوى كُلَّ
والهوى كالزمان ما أطعم المرءَ
جدت بالدمع للزمان عساهُ
سحرتُهُ سود العيون فجُنَّا؟
ضجَّ قلبي، وقالَ: كيف وأنى؟
عن كعوبٍ تشاكل البدر حسنًا
وجفتني فكيف أغمض جفنا؟
لَ عذابٍ، فهل كمثلي مضى؟
سرورًا إلا ويسقيه حزنًا
بلذيق اللقا وجود فضنًا

وقال:

يا قامة الغصن، بل يا ظبية البانِ
وكيف لا وهو من شمس ومن قمر
ما بين مقلتك الكحلا وثغرك قد
يا لذة السكر من حسن الحسان، ويا
يا ما يعاني فؤادي في محبة من
غزالةً لو رأتها الشمس ما طلعت
يا ليت شعري! متى تجفو الوشاة كما
كم أفسد الحب من وإش أخي حسدٍ
حتّامً ننسب للجني منكرنا
نحنُ الذين ابتدعنا كلَّ معصيةٍ
يقول جابي الخطا: «إليس» وسوس لي
كل الخلائق في الإنسان ناقصة

وقال:

أيُّ قلبٍ على الصباية ساكنُ
لي فؤادٌ على الغرام مقيمُ
ما احتيالي وقد زوى غصن صبري
مثل قلبي، وفي المحبة راكنُ
بين دمع وافٍ، وصبر خائنُ
وشجوني شواجر كالشواجر؟

بتلافِيَّ على هواهُ ولكن
ليس في القلب للسلوِّ مواطنُ
فلعينني جميعهنَّ محاسنُ
أه من أعين تصيب المعايِنُ
ملكٌ ناظرٌ بمقلة شادنُ
لقلوبِ العذالِ دونك طاعنُ
ظاهرًا وهو ذائب الروح باطنُ
كل ماءٍ سوى دموعي آسنُ
ما لها في سوى فؤادي مساكنُ
معدن الحبِّ، وهو خير المعادنُ
وغرامي للنوم والصبر طاحنُ
أو قرينُ، وما لحبي مقارنُ
قمرًا غيرُ ذا القوامِ الفاتنُ؟
واغرسيه في القلبِ لا في الجنائنُ

أه لو كان من أحبِّ عليماً
أيها العاذلون طيروا شعاعاً
عدّوا عدّوا عيوبَ حبيبي
غير سحر العيون لا عيبَ فيه
كلما لاح ناظرًا قلتُ: هذا
طاعنُ القلبِ رِقِّ وارحم محبًّا
وترفق بمغرم ليس يشكو
كل نار سوى زفيرِي تخبو
طالَ أمري في حبِّ ذاتِ نفار
قلبها معدن القساءِ وقلبي
قلبُ سلمى رَحَى ودمعي قناةُ
ظبية الأُنس، ما لحسنك ندُّ
أيُّ غصن يجزُّ دعصًا وتبدي
فأميليه نحو صدري، أميلي

وقال:

جذبتني إلى الهوى والهوانِ
وفي القلبِ رعدة الخفقانِ
قمرًا إذ تميس كالأغصانِ
ليس لي طاقةٌ على ذا الطعانِ
ارحمي ميتَ طرفكِ الفتانِ
لستُ أرجو منك سوى الرضوانِ
أحشائي مجرى الأرواح في الأبدانِ
إنما في هواكِ صبري فإنِ
سبتهُ صوارم الأجفانِ؟
غدا مثل شارِبِ نشوانِ
الدلال الذي أذاب جناني

كهرباءُ الفتور بالأجفانِ
وبروق الثغور ما أومضتُ إلّا
يا كعوبًا ترنو غزالًا وتبدو
لا تطيلي هزَّ القوامِ المفدَى
قتلتني العيون منك فبالله
عذبي القلبُ ما استطعتُ فإني
قد جرى حب ذِي المحاسن في
ليس في العاشقين مثلي صبورُ
يا لقومي! ما القول ما الرأي في صبِّ
علمتهُ العيون عريضةً حتى
يا حياتي، رويدكِ الله ما هذا

قد كساك الجمال حلة تيه
وأنا لم أرم سوى خلطة الأر
نحن خطان في الموازة لا
وكسا القلب حلة الأشجان
واح حبًا لا خلطة الأبدان
يلتقيان وليس يبتعدان

وقال:

مليحة الوجه زارت في الدجى وبدت
رأت عقيق دموعي سال فابتسمت
فأظهرت لؤلؤًا ما بين مرجان
فشمت شمسًا بديجور على بان

وقال:

يا طلعة البدر المنير، ترفقي
إن ترتضي موتي أسى بصابتي
فأنا الفداء لذلك الرضوان
بفؤاد صبّ ذاب بالهجران

وقال يمدح الشيخ «عبد القادر سلطان» مفتي مدينة حلب سابقًا رحمه الله:

سل عن فؤادي موقد النيران
وانظر تشم نار القرى بجوانحي
في حب من إن أسفرت خرت لها
هيفاء إن ماست فما غصن النقا
غزت الفؤاد بقدها وبطرفها
لما أمال قضيب قامتها الهوى
جيش الهوى بسيف مقلتها أتى
ولقد أرتني مذ بدت وتمايلت
الصبح والديجور تحت قناعها اجـ
لاحث عقود الحسن من ثغر لها
لما تجلت شمس طلعتها انجلت
لعب الغرام بعطفها لما انثنت
لما أنت والبرق يومض من مبا
واسأل نجوم الليل عن أجفاني
عبثت وحب النوم قد أجفاني
الأقمار من خجل إلى الأذقان
وإذا رنت ما أعين الغزلان؟
هذا لها رمح وذاك يمانني
خفقت عليه جناح طير جناني
نحوي فشتت جيش صبري الفاني
مرأى البدور وميلة الأغصان
ستمعا، وهل هذان يجتمعان؟
فعقودها ومدامعي سيان
عنا ليالي الغم والأحزان
لعب ابنة العنقود بالنشوان
سمها أزادت بالهوى أشجاني

ل، و نرجسًا من لحظها الفتان
 من فضة تعلو كثيب جمان
 خضراء تزهو فوق خدّ قان
 عقدًا من النوار والريحان
 وتزينت بشقائق النعمان
 وقت الصباح بأفخر التيجان
 طربًا، وغنى الطير بالألحان
 لما غدت بالورد خير جنان
 لينًا وتلفت لفتة الغزلان
 يا أيها العاني؟ فقلت: سباني
 فاخضع لدلي، واحتمل هجراني
 مولك عبد القادر السلطان
 حذب الأبر، الكامل الإحسان
 روحًا وشمسًا في سما الأذهان
 أضحى برأس الشعر تاج بيان
 بدر الكرام، وكوكب الأقران
 أغناك عن مغنى يضمّ مثاني
 غسق الضلال ضللت بالطغيان
 وفصاحة فاقت على حسان
 كم سلّ عند الكرّ بيض معان!
 يحتاج للتبيان والبرهان
 والصد ضاهى مشية السرطان
 إعلال، بل صحت من النقصان
 ويجرّ ذيل الدين والإيمان
 أضحى قياس نتائج الأذهان
 لولا القيام بمدحه المنصان
 وإذا قضيت فجوده أكفاني
 وغدا مكاني فيه خير مكان

فجنيت من وجناتها وردّ الجما
 قد أثمرت ليلاً وصباحًا بانه
 سود العيون حمت ببيض نقطة
 ما روضة نظم الربيع لجيدها
 وتسربت حللاً حلت من سندس
 والورد توجه النسيم من الندى
 وتصافحت أيدي الغصون بأيكها
 يومًا بأجمل من جمال خدودها
 خودّ ينال الغصن من أعطافها
 قالت: أقدي قد سباك بميله
 قالت: عمدت على مماتك يا فتى
 فأجبت: لا أخشى ولي غوثًا غدا
 العالم العلم الأغرّ الفاضل النذ
 ذو فطنة أضحت بأجسام النهى
 ذهب المعاني من معادن فكره
 بحر العلوم به بدا موج الذكا
 يا صاح، إن تسمع بذكر حديثه
 لولا مصابيح الهدى منه محت
 منه البلاغة لا يرام سموها
 مصدام فرسان الطروس يراعه
 علم قد استغنى عن التعريف لا
 قد أخجل الجوزاء في سبل الهدى
 أفعاله الغراء قد سلمت عن الـ
 يختال في ثوب الطهارة والتقى
 لا عيب فيه غير أن لسانه
 ما كنت ممن قال شعراً في الورى
 إن عشت كان وجوده لي نعمة
 حزت السن والفخر يوم قدومه

وخدمتُ عزتهُ بأنشطِ همّةٍ
يا من بأفق الفقه أمسى نجمه
خذاها إليك رقيقة لا تنثنى
واسبل ستار الحلم فوق عيوبها

ومن السعادة خدمة السلطانِ
غراء تجلو ظلمة الهذيانِ
عن مدحك الزاهي مدى الدورانِ
وانعم لها مولاي بالرضوانِ

وقال:

لما أتت ذات الملاحه والسنا
عاتبتهـا، فجنيت من وجناتها
قالت وقد لعب الدلال بخصرها:
درُّ بثغرك قد حكته مدامعي
يا طرفها الرامي سهامًا في الحشا
دع عنك عدلي يا عدولي واتئدْ
خودُ تريك بفرعها وبجيدها
ليلاً على صبحٍ على غصن على
قدْ وطرفُ فيهما سلب النهى
روض المحاسن وجهها الباهي وكم
ظنَّ العذولُ بأنني أسلو الهوى
ما أكثر العذال يالله في
لما أتى قلبي الغرامُ وجيشه

تزري بهز قوامها سمر القنا
ورد الحياءِ، فطاب لي هذا الجنا
يهنيك؟ قلت: بما فتكت لك الهنا
فكلاهما عقد المحبة بيننا
رفقاً، فلي كبِدْ سرى فيها الضنا
فالقلب غيرَ هوى المليحة ما اقتنى
وبعطفها وبردفعها العالي البنا
موج ترى حركاته لن تسكنا
فإذا انثنى هذا وذاك إذا رنا
راعي المحبة فيه يرعى الأعينا
وإلى السلو القلبُ مني ما انثنى
حبُّ الملاح وما أقلّ المذعنا!
فراه حصناً ثابتاً فتحصنا

المشتري

وجه سعدى البادي على النهدين
غادة إن بدت بدا الليل والصبح
ذات ثغر كلؤلؤ وشفات
شأنها تصحب النفار عن الصبِّ
إن تبدت فالبدر، أو لفتت فالظُّ
لعيانى إن تبدهمت كذا للـ

قمرٌ ينجلي على كوكبين
على خوط بانية عاكفين
كعقيق ووجنة كلجين
وتلوي بالجد والمعطفين
ظَّبِي، أو أقبلت فقد رَدَيْنِ
قلوب وا فتنتي من الطرفين

ها الذي راح يخجل النيرين
تلفت وانثنيت أرقب حيني
لأ، فروحي فدئ لتلك العين
ح إلى الموت حافظ الاثنين
بض يدي يا كحيلة المقلتين
بِ وخلق الكريم بسط اليدين
فالهوى والهوان ديني وديني
غير القلى وطول البين
لك يا شيب تالف الفودين
ونفارا والحب بالأمرين
عجيب ينجلي لذي العينين؟
شفق قد بدا على الوجنتين
ب كذا أنت فتنة القمرين
حى عديم المثال في كل أين
ذو التصابي يبيت في لوعتين
ترقب المشتري فيا سعد عيني
بار صدق ما شانها من مين
ر عمودا فصار في فصلين
ه غدا الشرق باسط الراحتين
ذيب فهو الآتي من النوعين
فإليه يشار بالكفين
وجميع الهنا لنا بالعين

طال شوقي إلى بديع محيا
بهواها قد ذاب قلبي وروحي
منيتي إن أكن بعينك مقتو
إن تضيعي عهدي وودي فلم أبر
وإذا ما طلبت روجي فلم أق
إن دأبي بذل النفائس بالحب
لست ممن يشكو بحبك ذلاً
كل شيء يحلو لدي من الحسناء
ساقني للهوى شبابي فما با
يا مهة تقصى وتدنو انعطافا
بمحيك ذي البها كم بدا من
لم تغب شمس ذا الجمال فإني
أنت والله فتنة العقل والقل
وأنا ذلك المحب الذي أض
كم من الشوق والصدود فؤادي
لي عين تظل جنح الدياجي
كوكب قد غدت أشعته أخ
وعلى محور البشائر قد دا
فمن الغرب قد بدا وللقيا
يرشد الناس للتمدن والته
فيه شمل الأخبار يحكي الثريا
منه تجري عين الهدى للبرايا

الهداية

فامسح بأذيال الهوى كحل الوسن
سرًا فطيب النوم يهجره علن
صبرًا فلست اليوم وحدك مفتتن

ليس الرقاد لذي الصبابة بالحسن
وإذا المحبة واصلت قلب امرئ
يا من بحسن الغيد مفتتنًا غدا

بنبالهنَّ وغادرتُهُ أخوا شجنُ
 قومٌ لهم جلدٌ على حمل المحنُ
 دررٌ لكان الدر صار بلا ثمنُ
 فأنا وإيمِ الله صبُّ ممتحنُ
 شیدن مغنى حبهنَّ به سكنُ
 مرح الشبيبة للدلال غدت وطنُ
 قضب النقا ويلحن عن قمر الدجنُ
 سود العيون قتلنني بيض البدنُ
 لما رنت وبه الفتور قد اقترنُ
 حلل الحيا للطف قد أضحت سكنُ
 وإذا انتثنت مَنْ يحمل الخطيَّ مَنْ؟
 ذا كاد أن يجري وذلك ما مرنُ
 إلا وللأحشاء مني قد طعنُ
 عن قوس حاجبها الذي في القلب رنُ
 نظرت عنا للمحاطها الظبي الأعنُ
 فيصيد أحشاء الفتى أنى اطمأنُ
 والسعي دون العقل يذهب كالدخنُ
 تثنون عني ذات حسنٍ لم يشنُ
 بذل النهى والروح للحسنا فمن؟
 لاغتال مني بالمحبة كل فن
 طرفي وفي قلبي التشوق مرتهنُ
 عين الرقيب فكم حبتني من مننُ
 ما فاز بالأوطار غير المؤتمنُ
 فنظرت ما عقلي بمنظره افتتنُ
 يغشاهما نورٌ من الوجه الحسنُ
 مني، وتسكرني بطرفٍ ذي فننُ
 برد الحلى والطير صاح على الفننُ

ولكم فتى رشقتُهُ ألحاظ المها
 يا أيها العشاق أنتم كلكم
 كم تسفحون مدامعًا لو أنها
 لا تحسبوا أني عديم صباية
 أفدي كواعبَ غانياتٍ في الحشا
 من كل ذات ملاحه تنساب في
 يبسمَن عن درر الطلا ويمسَن عن
 حمر الخدود سلبنني سمر اللمي
 ولربَّ خودٍ قد سباني جفنها
 هي في الحسان بديعةٌ تختال في
 يتألقُ البرق السني إذا بدت
 وا حيرتي من خصرها وفؤادها!
 ما هزَّ ذاك العجب رمح قوامها
 رمت الفؤاد بنبل طرف أدعج
 إن أسفرت سجد الهلال لها وإن
 والحسن ينصب في الوجوه شراكه
 وحواسدٍ يسعون جهلاً بالنوى
 ويحُّ لكم يا أيها الواشون هل
 إن لم أكن أنا ذلك الصبِّ الذي
 لو جاءني غيلان مية حائرًا
 كم بات يقطع سطح دائرة السما
 بي من أتتني والظلام مبرقعُ
 لمّا رأت أني أُميئٌ واصلت
 نضت الإزار عن النهود وقد بدت
 كرتا لجينٍ في سما عاج نق
 ما زلت أسكرها بأشعار الهوى
 حتى طوى الديجور رايتُهُ وقد

لتكون عالمة بما في استكن
سر الفتى عن قلبه لا يكتمن
لي منه ما يجلي المصائب والشجن
بدر فوا أسفي على ذاك الزمن!
لي بالأسى والمرء يهدى بالفطن
فليأخذن الحذر ممن قد كمن
وأخو الجبانة بالخديعة والخون
في الدهر كان زمان راحتِه محن
قد أبدل الأفراح منهم بالحزن
والصقر يقتنص الفراخ من الوكن
أبدًا ولو في ذروة العليا قطن
فليسع في خير الشعوب ير الحسن
لولا وجود الراس ما نفع البدن
يكفي لإظهار الصواب أخو الزكن
فالיום صار الصدق ميتًا في كفن
لا تمتحن إن كنت لست بممتحن
كان الحديث سدى فلا تسمع تُصن
فلسان كل في الأنام له رسن
كثروا، ولكن قل ذو الشعر الحسن
لفظ على مجرى التفاعيل اتزن
أضحى دليل مزاجه بلدًا قطن
حلبى أصل لي بأحسنها سكن
والمرء منطبع على حب الوطن
متأرجًا وبها السعادة والغدن
وكذا بها الغرباء صادفت المنن
وافتر ثغر هوائها فبكى الجنن
أبصارهن إلى الخنا لا تطمحن
حلبًا، وصان الله هاتيك الدمن

كم قد أبحت لها بسري في الهوى
لا أكتمن عن الحبيب سرائري
يا طيب وقت قد مضى فلكم بدا
زمن شربت به سلاف الوصل من
ما كنت أفطن أن دهري كامن
وإذا الكمي أصاب نصرًا في الوغى
ذو الباس يأخذ بالصوارم والقنا
لو دام فكر المرء بالمحن التي
والدهر يفتك بالرجال وطالما
والمرء لا يحميه من قدر حمى
لا خير في رجل يعادي قومه
وإذا المليك أراد يحسن ملكه
والجند لم تنشط بلا قوادها
وتزاحم الآراء يستبقي الخطا
يا صاح لا تركز لكل مخبر
وإذا سألت فتى فكن مستفهمًا
إن حدثوك بما يفيد اسمع وإن
واحفظ لسانك من وقوع في خطا
إني أرى الشعراء في ذا الجيل قد
والشعر ما طربت به الأبواب لا
ودليل عقل المرء كلمته كما
والحمد لله العظيم بأنني
وطني هي الشهباء وفيها مولدي
أضحى عبير الأنس في أرجائها
فيها الأهالي قد رأت كل الهنا
صحت عناصرها وعل نسيمها
ترعى الإخاء رجالها ونساؤها
فسقى هزيم الودق خصب ثراك يا

اللقا

جاء الزمان بهم وكان ضنينا
والقرب مذ قتل النوى بظبا للقا
يا أيها الأحباب ها أرواحنا
أنتم نعمتم بالجمال وإنما
عودوا المنازل يا نزولاً في الحشا
لا بأس إن قصر الدجى بوصالكم
لم ندر ما طيب المسرة والهنا
فتن النهى منا جمالكم الذي
والحسن كم تُسبى العقول به وكم
إني غدوت أليف كل محبة
بأبي وببي هيفاء هزّت قامة
نور الوضاعة لاح بين نهودها
بيضاء يفتننا احمرار خدودها
والنور يظهر أبيضاً وهو الذي
قابلتها فتبرقعت وجناتها
لما أمالت وجهها خجلاً حكت
كم قد قتلت أيا مهاة الحي من
ثبتت بحبك سكرتي فتلجلجي
والشيء يثبتته لنا معلوله

فنأى العنا عنا إلى الواشينا
حزنت حواسدنا ونحن هنيئا
فخذوا ولكن وصلكم فهبونا
في حبه نحن الذين شقينا
فالعود أحمد واللقا يشفينا
فطويل ليل شعوركم يغنينا
إن لم نكن بالوصل مسرورينا
أمسى به قمر السما مفتونا
قلب غدا بيد الغرام رهيئا!
أهوى طلاً ومباسماً وعيوننا
كالرمح صار بها الفؤاد طعيناً
وغدا البها بجبينها مقروننا
وسواد مقلتها غدا يسبيننا
يهدي لنا الألوان والتلوينا
بسنا الحيا ولوت معاطف لينا
قمرًا يلوح بليلة العشرينا
حيّ وكم بك قد أهجت شجوننا!
باٍ وطرفك يسكر الزرجونا
حيناً وعلته تثبت حيناً

شقيقة النسيم

إذا ما الصادح الدوحي غنى
وإن خطرت نسيم الحي صبحاً
فمهلاً يا حمام الدوح، مهلاً
ويا نسيمات ذاك الروض مرّي

أهاج الوجد في قلب المعنى
ذكرت من الأوبة كل معنى
فقد هيجت بي شجناً وحزناً
عليّ، فأنت للعشاق حسنى

أنا الصب العليل وأنت مثلي
ولكن بيننا فرقٌ عظيمٌ
أنا أقضي الدجى سهراً ونوحاً
أباتُ الليل والظلماء تحكي
فطار على جناح الشوق نومي
إذا لمعت بروق الحي أجرت
غرامٌ قد أذاب الروح وجداً
وشوقٌ قد أعاد القلب مني
تمنيت اللقاء فأصبت بيناً
فهمت إلى الفلا وجننت عشقاً
وتهت بكل نجمٍ إن تبدى
ولم أنظر ظباء القفر إلا
على قلبي أثار الحب حرباً
فؤادي لا تضق بالحب ذرعاً
تأنّ وكن على البلوى صبوراً
رياح العشق بين الناس تجري
وبي أفدي مهاة ذات وجه
كأن عيونها من كهرباءٍ
تجنّت بالدلال على فؤادي
رداحٌ إن بدت ورنّت وماست
فإن هزّت معاطفها دلالاً
وإن نظرت إليّ إخال سهماً
تزاحمت القلوب على هواها
فلا أبغي سواها وهي تأبى
فنيّت بها هوى وعلى نظيري
أنت لترى الذي فعل الهوى بي
فلم تنظر سوى شبح ضئيلٍ

فلم يبق سوى الأرواح منا
وهذا الفرق لي أشقى وأضنا
وأنت تقبلين فما ووجنا
رقيباً قد صغى وأمال أذنا
وأحرمني طروق الطيف وهنا
جفوني من غزير الدمع مزنا
وأسكرني وما دانيت دنأ
صريعاً نادباً طللأ ومعنى
وما كلٌ سيبلغ ما تمنى
كأنني في زماني قيس لبنى
وهمت بكل غصنٍ إن تثنى
وأذكر ذلك الظبي الأعنا
فأتلفه، فيا قلبي تهناً
وذّر عنك التضجر يا معنى
فقد يجد الأمانى من تأنى
على أعلى وأوسط ثم أدنى
له نورٌ من الأقمار أسمى
جذبن أخا الغرام وما دفعنا
وما أحلى الحبيب إذا تجنّى
حكّت قمرًا وهنديًا وغصنا
أذاقت مهجتي وخرأ وطعنا
من الأحداق في الأحشاء رنأ
ولكن غير قلبي ليس يهنا
سواي فبالدماء قد اتفقنا
لقد وجب التأسف حين يفنى
وقد سحبت من الإعجاب ردنا
غدا بيد الجوى والوجد رهنا

ومذ نظرت ضنائي بكت حنوًّا
وقد وضعت على صدري يديها
رويدك لم يجنَّ القلب لكن
بعيشك يا مهاة البان عودي
يراعي كلَّ نجم لاح ليلاً
فلو تدري عيونك كل سهدي
أضاع الشوق عقلي فانشديه
أغرَّك أن حسنك قد سباني
ظننت بأنني للحب أسلو
وهل يسلك من لك صار عبداً
فأنت لأعيني نور وناز

وقالت: ويح مثل صباح يضني
فظننت أن قلبي فيه جنا
راك فضجَّ عن طرب وغنى
مريض هوى بغيرك ما تعنى
وفي أحشائه الأشواق تبني
لما كانت مدى الأيام وسنى
مكان العقد حيث يروم سكني
وأن هواك في كبدي استكنَّا
فما أحسنت بي يا هند ظنا
وأصبح بالهوى ينمو ويفنى؟
لقلبي كلما أبديت حسنا

وقال راثياً «يوسف باشا شريف زاده» وقد بعث بها إلى ولده نعمان بك:

صلت المنية في قلوب العالمين
والدهر يجري بالخطوب على الورى
هيهات ينجو المرء من غزواته
ما الدهر إلا باسل بطل إذا
تبَّأ له من غادر متمرِد
دهر خئون ليس يرعى حرمة
لو كان يخشى الدهر ذا فضل لما
وأذاقه كأس المنية والفنا
آل الشريف أحسنَّ تصبراً
حزن طويل والتصبر دونه
الناس هالكه ويبقى وجهه
إن كان غاب عن الحمى أسد الحمى
بشرى لرمس ضم جوهَر جسمه
ضمَّ الدراية والنباهة والهدى

شرَّ المصاب وما لهم أبداً معين
ويذيقهم كأس البلية كل حين
أبداً وإن يك ساكناً برجاً حصين
طلب النزال يروع آساد العرين
تجري مكائده على مجرى السنين
وأب جهول طالما أردى البنين
أودى بمن هو كان خير الفاضلين
فأعاد في الأحزان كل المؤمنين
فالله ليس يضيع أجر المحسنين
أجر فبشر بالأجور الضامرين
وكذا الإله قضى بكل المرسلين
فيه نرى الأشبال أضحت راتعين
فيه ثوى من كان نخر الطالبين
وحوى الوزارة فالكمال به رهين

لو كان يدري الرمس أيّ فتى حوى
يا تربُ حزت من البرية يوسفًا
إن كنت ذا نطق سقاك الله قل
من للوزارة بعده هيهات أن
والموت ينتقد الرجال لأنه
هيهات أن نلقى فضيلًا مثله
كلّ إذا فشّت الجهالة مدع
يا قاتل الله المنية فهي قد
نهبت سريرته إلى دار البقا
والحور نادت أرخوا بحسابه
لجری یصفق صفقة المستبشرين
فانعم فإن الحسن فيك غدا دفين
جل الذي سواه من ماءٍ وطين
نلقى فتى يحكيه بين المسلمين
يختار قبل الكل أخذ الصالحين
يومًا وإن كثر ادعاء الجاهلين
فالجهل مصداق لدعوى المدعين
نهبت فريدًا ما له أبدًا قرين
حيث الحسان غدت به متمتعين
يا يوسفًا ولنعم دار المتقين

سنة ١٢٧٨

بركة الزفاف

أتى إليك الحظ مستعجلًا
من بعد أن أصبحت جوهرة
وهكذا كل أخي شرف
لا سيما والحسن فيك بدا
لطافة تفضح خمرة الطلا
وقامة كالغصن في دوحه
فليس في هذا القران نرى
فبارك الله به ودعا
وجاداك الدهر بما ترغبين
ترنو إليها أعين الطالبين
تصبو إليه أعين القاصدين
يسمو على الزنبق والياسمين
وطلعة تنعش قلب الحزين
ومقلّة تنفث سحرًا مبين
عيبًا سوى مزدهم الحاسدين
من عالم الذرّ إليه البنين

تاريخ وفاة المرحوم ابن خاله «عبد الله بن ميخائيل أنطاكي» لينقش على ضريحه
في الإسكندرونة:

على ذا القبر وا أسفي
ففيه قد ثوى غصن
يراق المدمع السخن!
على دوح الصبا حسن

يحقُّ لآل أنطاكي
فـ «مخائيل» يبكيه
وعبد الله بينهما
فكيف يقول تاريخُ
عليه النوحُ والحزنُ
و«مخائيل» يحتضنُ
لَهُ ضمن السما سكنُ
بقفرٍ يقبرُ الغصنُ

سنة ١٨٦٥

وقال:

لعينيَّ أمْ ثغرُ الحبيبة حيانِي
وهل غصن بانٍ راضهُ الشوق فأنثني
وهل ملت بالصهباء أم برضاها
رداحُ تصبَّأها الصبا وأمالها
فزارت وقد كاد الجفا يهتك الخفا
فعاهدتها أني ولو سفكت دمي
وصنت الذي أجرت يميني ولم أقل
ولما تلاثمنا فمًا لفمٍ وقد
ولم يكُ في المنجى رقيبٌ لنا سوى
حباني من نيرانه مالك الهوى
نعيمٌ وصالٍ لن يرى مثله ولا
وكانت عيون البين في غفلاتها

وقال:

غير بلوأي لم يعد لي مدانٍ
وما لي نجى غير حسن الذي إذا
ولكن زمانُ الرغد يأبى دوامه
فهمٌ عليَّ الدهر بالبين والنوى
وأجرى على رأسي سيولاً من العنا
كل خلٍّ جفوتهُ وجفاني
بدت غادرت كالقدم مقول سحبانٍ
وكل نعيم فوق هذ الثرى فانٍ
وبدلَ أفراحي بغمٍّ وأحزانٍ
فهبَّ نبات الصبر من قلبي العاني

فأوهج قيظ الغيظ حتى تيبست
لحا لله دهرًا خال أني عدوّه
وأبرق رأس العزم مني عنوةً
وأفرى بلا رفق دروع تجلدي
رغبت الهدى فاشتق منه لي الدها
جنيت على نفسي بكثر مروءتي
وإني خسرت الشوط مذ فزت بالهدى
يعيرني قومٌ بجدي وهمتي
فوا عجبني من قرطم شان لؤلؤًا
وليت ثيابي كنَّ سودًا فلم يبن
ولكنَّ ثوبي أبيض مثل جبهتي
ولم يلق إلا الصفح مني قادحي
وإذا لم يصارم المرء خطبُ
إن تحطك الأرزاء حطها وإلا
كل قرم يمسي جبانًا إذا لم
والشجاع الخميس بين الورى من
واللبيب الخبير من ظنَّ سوءًا
لم أجد في الزمان خلًا يوافي
أصدق الأصدقاء عيناهُ تندو
كم عدوٌ يسعى بزي صديقٍ
ليت شعري! ماذا فعلت مع النا
ليس لي جنحةٌ سوى أن فضلي
يا لقومٍ لم يكفهم أن ودي
منذ سلمتهم يمامة قلبي
خانهم كبرهم فخانوا ودادي
هم أذلاء يرفعون نفوسًا
رزقوا قدر حفة فأرادوا

يوانع صبرٍ شبَّ في قلب إنسانٍ
فأوقع بي لكنه لم يشن شاني
بعضبٍ له تعنو رءوس بتيجانٍ
بمرَّان جورٍ دونهُ كل مرانٍ
فما كان عن هذه اللبانة أغناني!
وهل أنا وحدي من على نفسه جانٍ؟
وقد يقبل الفوز الكبير بخسرانٍ
كما عير النعسان أعين يقظانٍ
ووا حيرتي من كل وإن وكسلانٍ!
بها دنسٌ يأتي علي ببرهانٍ
وما انسحبت إلا على الطهر أرداني
فإن جميع الناس أهلي وإخواني
فهو خير الخلان والإخوانٍ
فانطح الرأس منك بالحيطانٍ
يضح صخرًا أمام قرم الزمانٍ
عندهُ الدهر والهبا سيانٍ
بجميع الصحاب والخلانٍ
يوم تأتي الأيام بالحدثانٍ
فرحًا كلما رأى أحزاني
مثل سعي الثعبان والأفعوانٍ
س وماذا اجتרכת من عدوانٍ؟
قد رماهم بالخزي والخذلانٍ
ضاع فيهم حتى بغوا ضيعاني
لم أخل أنهم من العقبانٍ
ليتني لم أشن بهم عزَّ شانٍ
هنَّ أدنى من أصغر الديدانٍ
أن يفوقوا بها على بهرمانٍ

واقِعًا حال نهضة الطيرانِ	رَبِّ نَمْلِ حَوَى جَنَاحًا فَأَهْوَى
زَهْ فَهَمٌ مِنْ أَكْبَرِ الْبَعْرَانِ	يَقْبَلُونَ الْعَطَا وَلَوْ كَيْلَ تَبْنِ
إِنَّمَا الْجَهْلُ آفَةٌ الْإِنْسَانِ	لَمْ يَبَالُوا لَجْلَهُمْ بَعْضَاتِي
فَلْنَصْدُنْهُ عَنِ السَّرِيَانِ	حَسَبُوا مِنْطَقِي كَرِيحٍ وَقَالُوا
أَنْفَسًا فِي حَنَادِسِ الطَّغْيَانِ!	يَا لَهَا مِنْ جِهَالَةٍ كَمْ أَجْنَّتْ
تَسْقَى زَيْتَ الْحَجَا أَتَتْ بِالْدُخَانِ	إِنْ نَفَسَ الْفَتَى سَرَاجٌ إِذَا لَمْ

قافية الهاء

دعوى الجهل

هيهاتَ تدرك شيئًا لا تباشره
خير الأوائِل ما تمت أواخره
فلا فتى غير من تصفو ضمائرُه
ما بهجة الروض إن غابت نواضرُه
وفخرة الغمد عند الفتك باتره
ولا يدلُّ عن الإنسان ظاهرُه
بعد امتحان أليف الحق ناكِرُه
فابعد عن الناس واحذر من تعاشرُه
عند اللئيم ولا ودَّ يجاورُه
وللثرى والبلى بالموت آخرُه
لكن أخو العلم لا تفنى مآثرُه
ثم استحالت إلى فقر متاجرُه
لولا الجهول ولا تبدو بواهرُه
أنواره لا ولا ضاءت زواهرُه
لنا فبئس أبًا غاضت نواظرُه
إلا ويأتيه يوم فيه شاكرُه
والليث يحذر ما دامت أظافره

المرءُ خافٍ على من لا يعاشرُه
وإن شرعت بأمرٍ كن متممه
ولا تكدر بما تدري ضمير فتى
لا فخرة للفتى إذ قيل كان له
من يفتخر فيما يحويه من حسن
لا يعرف الشيء إلا بعد خبرته
ألفتُ خلًّا وفيًّا خلته فغدا
كم من عدوٍّ صديقًا كان منتدبًا
غاض الوفاء فلا عهد ولا ذمم
يسعى التي طالبًا جمع الثراء له
ذو المال يفنى ولا يبقى له أثر
كم تاجرٍ عمت الدنيا تجارتُه
ذو العقل والعلم لا يزهو له عمل
والبدر لولا اعتكار الليل ما ظهرت
نحن بنو الدهر لكن خبزه حجر
ما مرَّ يومٌ به الإنسان ذمَّ أسى
إن لم يخنك زمانٌ كن على حذرٍ

ما كنتُ أحسبُ أن الدهر يفجعني
الناس للناس في عسرٍ وفي يُسرٍ
وربَّ غمرٍ جهولٍ ظنَّ أنه لا
كلُّ لمن دونه يحتاج من قدم
ما حيلة الملك المرهوب جانبه
لولا الأساس الذي في الترب مركزه
يا قاتل الله دهرًا مزجه نكد
يا من يعيرني بالعلم وا عجبى!
يا نفس يا نفس ما طيب الشبيبة في
سحت مصائبه شحت أطائبه

حتى على مهجتي سلت بواتره
والدهر ما بينهم دارت دوائرهُ
يحتاج للغير إن الله قاهرهُ
ولو مليكًا علت فيه منابرهُ
عند القتال إذا خانت عساكرهُ
ما شيد قصرٌ ولا قامت قناطرهُ
فيه الأصاغر وا غمّي أكابرهُ
زدني لك الله شيئًا أنت خاسره
هذا الزمان الذي شابت غدائره
ماتت أكابرهُ عاشت فواجره

وقال:

نظرت مقلتي إلى وجهك الباهي
إنما العين راحة تدفع الحب
وفد العشق نحو قلبي لذا أو
بجنان الهوى تمشّى جناني

فراح الفؤاد يصحب وجده
بَ إلى القلب وهو يرفض رده
قد نار القرى ليكرم وفده
ورعاها فما جنى غير ورده

وقال:

دارٌ لنا قد حاز ساكنها
أتون «بختنصر» في صيفها

أجر شهيد وهو في المعصية
وفي الشتا بركة «سبسطيه»

وقال مخمّسًا:

خودٌ حسبتُ البدر من أشكالها
رخ أيها الساعي بقطع وصالها
وطرحتُ فكري في بديع جمالها
قد أخذت إلى الصباح أضمه

بعدت وكان القرب من أشغالها
قد زارني في الليل طيف خيالها
والثغر يحكي المسك إذ هو ختمه

فلثمتُ طرفاً في فؤادي سهمهُ ورشفتُ ريقاً سكرياً طعمهُ
 وطفيت نارَ صبابتي بوصالها
 لما رأَت قلبي أليف حريقهُ أومتُ لشهبٍ في المغيب خفوقهُ
 ومُذ ارتضت بيناً بلطف طريقهُ قامت تميمس بقامةٍ ممشوقهُ
 والساق منها قد ملا خلخالها
 مالت تودعني وأرخت شعرها فرأت ظلاماً لا يغيب فسرهما
 عادت وعاد الوهم يعلن بشرها فضممتها حتى أقبل ثغرها
 لفت عليَّ يمينها وشمالها
 واستبشرت طرباً بكل ظرافهُ بنوالٍ قطف لقا ورشف سلافهُ
 وزهت بنيل سعادةٍ وطرافهُ وبدت تقول برقهُ ولطافهُ:
 ما كل من طلب السعادة نالها

وقال يعزي صديقاً له بوفاة أبيه:

الدهر ليثٌ والخطوب مخالِبهُ إن يبتسم فالحتف تحت نيايه
 لا يخدعك من زمانك غفلهُ والغدر من خلق الزمان فريثما
 لا يسلمن المرء من سطواته ولرب ليلٍ طال جلباب الهنا
 هجمَ المصابُ به كضرغام وقد هجمَ المصابُ به كضرغام وقد
 لا خلد في الدنيا فكلُّ راحلٌ والمرء شمس حياته تجري على
 كلِّ سيرمسٍ تحت أطباق الثرى كن عاذر الباكي على عمرٍ مضى
 صبراً بني الأخيار حيث فقدتم ذو سيرةٍ للناس كانت عبرةً
 بالأمس كان على الثرى فوق الذرى أفهل بغير الصبر أنت تحاربهُ؟
 بادِ فكم تطغي الآنام ملاعبهُ فلبما انتبهت إليك نوائبهُ
 نغدو على أمنٍ تسلُّ قواضبهُ والموت أعظم ما تتيح شوائبهُ
 فيه وقد جلت الظلام كواكبهُ ونشبت بذياك الهناءِ مخالِبهُ
 وتهون إن عمَّ المصابُ مصائبهُ خطُّ الزوالِ ولا تزول مآربهُ
 ويغيب رونقهُ ويدرس جانبهُ فالبرق تبكي إذ يزول سحائبهُ
 ذاك العزيز الصالحات عواقبهُ فكم ازدهت بالطيبات مناقبهُ
 واليوم قد علت السمك مراتبهُ

والموت مكتوبٌ على جبهاتنا منذ الولادة والمهيمن كاتبه
فتدروعوا الصبر الجميل فإنه درعٌ غداة الروع يسلم صاحبه
لكم البقاء فلم يمت من ذكره للبعث باقي لا تموت أطائبه
قف يا معزٌ على الثرى سحرًا وقل: سقيًا لتربٍ لامسته جوانبه
وعلى المقابر إن تقف أرخ بها كلٌ ستدنو للتراب ترائبه

سنة ١٨٥٩

وقال يمدح الخواجا «نصر الله حكيم الطبيب»:

تحفة الصداقة

نظر السقام أضالعي فرثاها
يا قلب مالك في الصبابة هائما
ما أنت وحدك من سبته بالهوى
كم من عزيز ذل في حب المها
ماذا ترى في الحب يا مضنى الجوى
القلب في نار الغرام مقره
ويلاه من ظلم الحبيب وظلمه
أفدي بروحي غادة إن أسفرت
حسانه حوت الجمال بديعة
سلبت بهاتيک المحاسن مهجتي
قتلت بسيف الغنج صبري مذ رنت
غرس الجمال بخدها روضا وقد
وإذا المتيم رام يحني ورده
لولا ظبا تلك العيون النجل لم
لثم اللثام خدودها فحسدته
كتب الجمال على صفيحة خدها
قد لطفت وجناتها نار الحيا

ورأى الغمام مدامعي فبكاهها
هذي المحبة فاحتمل بلواها
حدق الأطباء وأتلفتها ظباها
رغما وكم من ذي رشاد تاهها!
إلا العذاب فشاهد الأشباها
والعين في روض البها مرعاها
هذا برى كبدي وذاك براها
أزرى بأقمار السما مرآها
عذراء يغتال النهار بهاها
وسبت فؤادي وهو عبد هواها
فترى بهذا القتل من أفاتها
أبدت طيور الحب فيه غناها
حالت سيوف اللحظة دون جناها
يخفق فؤادي عند لثمي فاها
والورد غار فعاره رياها
من يدن من نار يصبه لظاها
حتى إذا مر الصبا أدماها

لفتت فعن ذا الجيد ينفع الهوى
فوحقّ ذلي بالغرام وعزها
لا أنثني عنها ولو أدرجت في
غفل الرقيب فهل لعيني نظرة
زارت عقيب الهجر وهي ضئيلة
وضعت على صدري يداً لترى الذي
فرجفت فالأشواق أم يدها غدت
قد أنحلت جسدي فكان لمدمعي
بي غصن بانٍ في كتيب ينثني
إني رأيت الصبح من شفق بدا
وقطفت ورداً لاح فوق جواهر
لكن قتلت بأبيض وبأسمر
قد أثخت كبدي جراحاً عينها
أفدي عيوناً قد أثرن على الحشا
من قد غدا للطف حدّاً أكبر
فطن كسأه الله ثوب نباهة
أفكاره اتقدت ذكاً فيكاد أن
إن سل سيف الرأي من غمد الهوى
لا بدع إن تك لؤلؤاً ألفاظه
يغني المريض عن الدواء حديثه
وعرائس الطب ارتدت من شرحه
يجني القناعة بالنهى فهو الذي
إن يقنع الإنسان يكسب راحة
من قاسه بالغير من أقرانه
ما العقل إلا قوة التمييز إذ
وإذا امرؤ حسداً تمنى قدوة
إن النفوس إذا ابتغت كل المنى

لفتت أجياد الأطباء حلاها
قسماً وضعف تجلدي وقواها
كفني وقلبي لا يحب سواها
من وجهها الوضاح فهو منها
فاستبشرت روعي براح لماها
فعل النوى وبدت تدم جفاها
جسماً يوصل كهرباء هواها
سلماً فبي جيد الهوى يتباهى
يعلوه شمس في الظلام سناها
هذا محياها وذاك حياها
هذي ثناياها وذا خداه
هذا رشاقتها وذا عينها
وبلثم هاتيك الشفاة شفاها
حرباً يبيد ابن الحكيم لظاه
تخذت رسوم الظرف منه جلاها
وحباه عقلاً بالذكاء تناهى
يدري الغوامض قبل أن يصغاه
مدت إليه المشكلات طلاها
إن اللآلئ في البحور نراها
والطب للأمراض ما أشفاه
أبهى نسيج فازدهت برداه
يسمو على من لا يسوم جناها
وغنى، وأطماع النفوس عناها
ما ميز الأفعال من أسماها
لا شيء يصطحب الهدى إلها
بخصاله أيقنت لا يلقاها
لا تبلغن إلى المنون منهاها

شل منزلي فالأرض لا أرضاها
صون العفيفة عرضها وحيها
تك بالشمول وقد سرت مسراها
مذ غال حبك مهجتي غلاها
والودُّ أبهى حلة أكساها
قطب الوفاء ولولا ذاك لتاها
بالأفق لابتلع الفضا أجزاها

لو كلما أرجو أصبت جعلت هر
أفديه من خلّ يصون عهوده
أخذت شمائله بعقلي وهي لم
يا أيها الخلّ الحبيب أنا الذي
إنني اتخذت وداكم لي ديدنا
جذبت قوى أخلاقكم قلبي إلى
ولا وجود الجذب في الكرر التي

وقال:

يوم اللقا وبروحي راح ريقته
فهل لعيني أن تحظى بطلعته؟
عبدٌ له وأسيرٌ منذ نشأته
رعى عذولاً هجاني في محبته
وأعشق الصبح إجلالاً لغرته
يضني بنفرتي يشقي بعطفته
حيًا فأحيا فؤادي في تحيته
خدوده وزها عتبي برقته
خطُّ العذار محيطاً حول نقطته
ولم أفه باسمه صوناً لحرمة

أفدي بنور عيوني نار وجنته
بدرٌ تحجب عني وهو في كبدي
ما جاور القلب إلا حبه فأنا
لا صانني الله إن أعشق سواه ولا
أصبو إلى الليل إكراماً لطرته
يدمي بمقلته يحيي بريقته
مذ زارني بعد ذاك الهجر وا طربي!
عاتبته فبدا ورد الحياء على
فخذه مركزٌ للحسن مرٌّ به
هذا حبيبي وما لي عنه من عوض

وقال:

حكى البدر وإش غاب عن رشد عقله
وقد نظر الواشي بها سوء فعله

أعاب سفاهاً وجهك البهج الذي
فوجهك مرآة الجمال صفيّة

وقال:

ليرفدني بشيء من جداه

أنا لا أمدحن فتى كغيري

فما للمرء من خلٍّ معينٍ بضيقٍ غير ما كسبت يداهُ

وقال:

ومن ينحُ رفع الذات تخفض مقاصدهُ
ينالُ ويلقى كلَّ ما هو رائدهُ
ولا كل من يرجو العلا طالَ ساعده
فقيدها الدهر الذي الله قائدهُ
فكم قد سقت صاب المصاب مواردَه
فما برحت تطغي الأنام مكائدهُ
بنوهُ طعام الغم تحوي موائدهُ
أألخير آتيه أم الشر قاصدهُ؟
يساعدهُ يرضى بمن لا يساعده
وكم دنفٍ يشفى ويدنف عائده!
يدوم وهل عيشُ ترى دام راغده
سحابٌ بجوِّ والرياح تطارده
إلى الجهل لكن عيبهُ لا يشاهده
لك الله، ما هذا الذي أنت عابدهُ؟
ومن ليس يدري نفسه لا نؤاخذه
فعال الفتى بين الأنام شواهدُه
ومن لا يراعي الأصل لا شك فاقدهُ

فتى بات ينوي العزَّ، والذلَّ راصدهُ
ومن أجهل الجهال من ظن أنه
يميل الفتى طبعًا إلى طلب العلا
لقد أطلق الله الإرادة للفتى
خذ الحذر من دهر إذا طاب موردًا
يريك الهناءَ اليوم والموت في غدٍ
أبُ ظالمٌ ذا الدهر والناس كلهم
ولا يعرف الإنسان طولَ حياته
إذا المرء لم يرضَ بمحتته الذي
وكم سيدًا قد صار عبدًا لعبده
بليت بغمر ظنٍّ راغد عيشه
ألا كل حالٍ في الزمان كأنها
يشاهد فضل الشهم عيبًا من انتمى
فيا من غدا للجهل والبخل عابدًا
إذا كنت لا تدري بك الجهل فاعتذر
فعالك قد جاءت عليك شواهدًا
وكل امرئٍ من فعله بان أصله

وقال متخلصًا باسم صديق له:

وشرد عقلي غمزها وازورارها
لها مقلّة يسبي القلوب احورارها
بوجنتها والقلب أفنته نارها
لآلي الهوى ضمن الثغور قرارها

نفى الرشد عني أنسها ونفارها
مليحة وجه كالصباح صباحة
ومن عجبني أني أرى لي جنة
أهيم بدر الثغر في بحر حبها

تجنى على الطبي الغرير التفاتها
رنت جؤزراً، ماست قضيباً، تلفتت
ولما ثناها الشوقُ عن ذلك الجفا
فعانقتها عند اللقا شغفاً كما
أيا راجياً منها الدنو ابتعد فقد
بروحي منها إن حظيت بنظرةٍ
ذللت لذيالك الجمال وإنني
ولكنها اضطرتُ إلى الذلِّ بالهوى
يحارب جيش الحب والوجد مهجتي
وتاه على البدر المنير اسفراها
غزلاً، بدت شمساً بقلبي مدارها
أنت وهي تستحيي ويبدو افتقارها
يعانق تلك الزند منها سوارها
تبوأَت «الجوزاء» والشهب دارها
بها مهجتي تحيا ويُطفا شرارها
عزيزٌ ونفسي قد تسامى فخارها
ونفس الفتى يجني عليها اضطرارها
ولكن بفتح الله جاء انتصارها

وقال مؤرخاً بناءً دار «نعمة الله مارون» في حلب:

ديارُ لآح نورِ الأنسِ فيها
أشادتها يمين الله فانعم
بها لطفٌ بتاريخٍ خفيٍّ
وضاءَ البشرُ حيث بدا بناها
بدارٍ قد سمت عما سواها
وكان بنعمة الله انتهاها

سنة ١٨٥٨

وقال:

ومن يهو علم النحو يقلق ضميره
كذلك من بالصرف يصرف عمره
به ويعد في جمع أرزاقه قلّة
يموت ويبقى منه في قلبه علّة

ندبة الوحشة

قفا نندب الدار التي غاب بدرها
ولا تبخلا بالدمع إذ شمتما الحمى
ربوعُ نأت عنها الحبايب فانثنى
رمتها الليالي بالكآبة والأسى
ونبكٍ طلولاً قد تعاضم أمرها
فما نفحُ سحبٍ ليس ينزل قطرها
من الشوق يشكو للكواكب قفرها
وليس سوى قرب الحبيب يسرها

وكان إلى الجوزاء يبلغ قدرها
لظى، وغيوني قد تناثر درها
كروب، ونفسي راح يرحل صبرها
يعانق إخفاف الرواحل صدرها
بكيث وعيني بالظلام مقرها
نجوم غشاها الليل مذ غاب بدرها
هلال الحمى حتى ينجيه فجرها!
وبئس الليالي الجافيات وغدرها
أحب وأياماً تزاحم شرها
وعني تغض الطرف ماذا يضرها
فيخمد من تلك الجوانح جمرها
وكل يلاقيها فلا طال عمرها
فعاداتها فعل الردى وهو عذرها
ودائرة الدهر التقلب قطرها
يضل، وإن النفس يخطئ فكرها
فهل أنت بالعقل الزكي تجرّها؟

وقد لبست بالبين ثوب مذلة
وقفت على أكنافها والفؤاد في
تذكرت من أهوى فحلت بمهجتي
يمر عليها الضاعنون وطالما
على منزل قد فارق البدر أفقه
وما أهله الباكون في وحشة سوى
فكم ليلة فيها أظل مناجياً
فنعم الليالي الوافيات وعهدا
لحا الله دهرًا حال بيني وبين من
فلو كانت الأيام تبقى على الصفا
عسى لسلام العود تأتي وبرده
تقصّر عمر المرء طارقة النوى
إذا جنت الأيام يوماً على الفتى
يدور علينا الدهر بالضيم والهنا
ومن ظن أن العقل في الخطب مسعف
إذا رفعت عنك السعادة والعلا

حسرة الوداع

فيا ويح نفس بان عنها حبيبها
زفيري وما الأجناد إلا خطوبها
وغادر أجفاني يصب صبيبها
وروحى راحت حين سار ربيبها
يهزك يا غصن الغرام هبوبها
بها فتولت والفؤاد صبيبها
بكت فأذاب القلب مني نحيبها
إلى الدهر، لا والله يطفئ لهيبها
ولا عجب فهي الحياة وطيبها

بقلبي مطي البين دبّ دبيبها
وحاربت الأيام صبري، فاللظى
بعاد كساني حلة الضيم والضنا
تبوأ الأترأح متن حشاشتي
تهب نسيم الحي صباحاً فكم وكم
ونهداء قد ألوى الفراق عنانه
ولما بدا الحادي ينادي على السرى
فودعتها إذ أودعتني حسرة
نأت فنأى طيب الحياة عن الفتى

نقابُ فسلطان النهار نقيبها
فيا أيها المفتون كم تستطيبها!

فتاةٌ لها من ذلك الحسن والبها
نمت نفحات اللطف من حركاتها

بلوى البعد

أو تقتلوه فرشف الثغر يحييه
على فراش الهوى لا شيء يشفيه
أبدى الحمام فنوناً من أغانيه
ذكرتم العهد إن الذكر يكفيه
فما احتيالي وقلبي النار تفنيه
جمر سوى قربكم لا شيء يطفئه
هذا البعاد الذي كل البلا فيه
يشهدنكم خندس قد بت أطويه
فإن سألتكم نسيم الروض ترويه
أصابني في هواكم يا ذوي التيه
وجدي ودمعي قد زادت مجاريه
منكم علي؟ وهل عطف أرجيه؟
عيونكم بسيوف السحر تدميه؟
والموت لي بالهوى تحلو تواليه
أحلى عذاباً غدا قلبي يقاسيه!
إن جاء ملتمساً وصلأ يقويه
إن القناعة كنز لا فناء فيه
صب سوى ذكركم لم يرص في فيه

إن تبعده وإن الحب يدنيه
من غادرت العيون السود منطرحاً
يصبو إليكم ما هبّ النسيم وما
ما كان ضرکم بالله لو كرمًا
يا سادتي لم يدع لي حبكم جلدًا
كفى النوى أنه أبقى الفؤاد على
آها ووا أسفي! قد ضاع عمري في
وجدي أنيني دموعي حرقتي لهفي
أرجو العتاب وخفق القلب يمنعني
شوق هيام سهاد لوعة تلف
قل اصطباري وقد غاب النهى وبدا
فهل حنو وإسعاف ومكرمة
أسرتم القلب أن يهوى فطاع فلم
إن كان يرضيكم موتي فوا طربي!
ما أعذب الذل في هذا الغرام وما
فلا تميلوا صدوداً عن ضعيفكم
قنعت بالطيف منكم حيث لا وسن
إذا رضيتكم سواي بالهوى فأنا

وقال:

فعلى القلب يا بديعة تيهي
هي، فجوّد الخلاق لا تخفيه
له اليوم في الورى من شبیه

حار في ذا الجمال فكر النبیه
وأزيحي الخمار عن وجهك البا
قد سباني هذا المحيا الذي ليس

وغير العيون لا تقتليه
وحرامٌ عليك أن تتلفيه
لعياني وتارة تخفيه
ودلال الحبيب، كم أشتهيه!
البين واللقا يحييه
فانجديه بعطفة فانجديه
يفضح السمهرى إن تثنيه
بلظاء، فبالرضاب اسعفيه
القلب مني جوى ولا يشفيه
كثير الظما ولا يرويه
بع سلمى هناك قلبي أنشديه
ذو نفار عن المحب وتيه
يتجنى ظلمًا على عاشقيه
هـ فهل للعيون أن تجتنيه؟
كن بسيف السيف إذ ينتضيه
ففؤاد المحب كم يسبويه!
فأنا لم أسمع ملام سفيه
ل إلى الحسن وهو كم يدهيه
م فهل لم يصدق على جزئيه؟
يكُ فرق بين الغبي والفقيه
لتساوى النهار والليل فيه
م بجدٌ والغير لا يبتغيه
م ويبدو النسيان من تنبيه
حت، فكل من وجهه ندريه
قصيرٍ والله لا أصطفيه
س؛ فكم خان صاحبٌ تُصفيه!
صاحبًا لا صفاء في خافيه

غازلي إن أردت قتلَ فؤادي
يا مهةً في البان أتلفت قلبي
تارة تظهرين نور المحيا
ليس ذاك النفار إلا دلالاً
كم وكم تبعدين عن مغرمٍ يقتله
كاد في ذا الإعراض مضناك يقضي
لك طرفٌ يسبي العقول وقد
أوشك الحب أن يذيب فؤادي
وارتشاف الرضاب منك يزيد
فندى الصبح يجعل الروض في الصيف
يا نسيماً إن سرت صبحاً إلى مر
لي بذاك الحمى غزال ربيب
أفتديه من أغيد ذي دلال
لاخ ورد الجمال في روض خدي
لم أقايس بالقوس حاجبه لـ
ينجلي بالأنوار حيث تجلّى
عازلي لا تلم غرامى جهلاً
إن قلب الإنسان من طبعه المي
وعلى الكل إن يكن صدق الحك
وعقول الأنام لو تستوي لم
محور الأرض لو غدا مستقيماً
كم فتى قام يبتغي طلب العل
ربما تصدر الجهالة عن عل
شيم الناس من وجوههم لا
جائل الطرف، أسمر الوجه، ذو قد
صاحب الحذر قبل أن تصحب النا
ومصاب على الفتى أن يصابي

عهد ودّ فنكثه يلويه
قد يضلّ الساري ولا يهديه
لَ ودهري اختبرته وذويه
عضدٍ غير أمه وأبيه
مرآة عقلي رأيت لا خير فيه
أصل ذاك الوجود من يدريه
كون يحترق فيه عقل النبيه
دام كلُّ عشيره يثنيه
مستقيماً وكم قوَى تلويه

لا يغرّنك امرؤ حيث يبدي
واقتباس الأنوار في الليل بعداً
قد حوى اليوم عمري الكاف والدا
ما رأت قط مقلتي للفتى من
مذ تأملت صورة الدهر في
صوّر الموجودات تعرف لكن
إنّ جزءاً من ذرّة وجدت في الـ
لا يدوم الفتى على شأنه ما
يطلبُ الجسم إذ يحرك خطأ

وقال وقد بعث بها إلى المرحوم الشيخ «ناصر اليازجي»:

يا ليت أضحى كذا توعدها!
والشهب بالأوج بتُ أرصدها
وبالتحيات لم تجذّ يدها
يوم اللقا جيدها يقلدها
فرحت بين السيوف أنشدها
تسلُّ بيضاً حشايّ موردها
شمسٍ فؤاد المحب يعبدها
لاحت لنا، أو بدا مجردها
أو انثنت، فالغصون تحسدها
من خمر عينٍ يسود أسودها
سلوانها فالجمال يقعدها
إلا وحرّ الصبا يمددها
وشرطها ردّ من يقيدها
عنها القوى إذ وهى تجلدها
صحت فليس الجدال يفسدها
وفي لسان اللبيب معدها

هلاً نجازُ فطال موعدها
أبدت لي الصد فاخفتني وسني
يجود بالازورار حاجبها
متى ترى مقلتي لآلئها
أضعت في حبّ عينها كبدي
عيونها السود بالتغازل كم
إن ترفع الستر والنقاب فعن
يا كوكب الصبح، غطّ وجهك إن
تصبو إليها الظباء إن لفتت
أعطافها الهيف تنثني ثملاً
إن ينهض النفس من يلوم الى
لا يضغط العذل صبوتي طبعاً
قضيتي بالغرام مطلقة
جيش الهوى حلّ مهجتي فناً
أروي أحاديث بالمحبة قد
وصحة القول للفتى شرف

من صدق الناس كلهم طلبت
 كم من أقاويل تكتسي صدقاً
 وكلما النور راح منعكساً
 قد قلّ صدق الورى فحقّ لنا
 لا يستوي الناس بالعقول فذا
 للجهل بين الآنام مملكة
 بئس الزمان الخئون كم خبثت
 كم منح قد غدت لنا محناً
 والدهر لا يحذر سطوته
 كم يورث المرء علمه نكدًا!
 والدهر إن يهدم العلوم فهل
 الذائع الصيت في البلاد ومن
 علامة الدهر هامة الأدبا
 ولا تضلّ المطي في سفر
 يسلّ من ذهنه سيوف هدى
 صفات كل العلوم قد قصرت
 إن قال يوماً قصيدة غنيت
 تأتي إليه الضروب خاضعة
 آيات تصنيفه يقرّ بها
 إن كلت الناس عن مدائحه
 أراؤه بالصواب ثاقبة
 يبيض العلم وجهه بسوا
 وما عدو العلوم غير فتى
 من يطلب الفهم والعلا فعلى
 يا أيها الجهبذ الشهير ومن
 قد جئتكَ اليوم بالمديح ولم
 ومدحة الشهم لا ختام لها

منه الأباطيل ما يؤيدها
 وكثرة النقل كم تجردها!
 قلت قواه وبعد يفقدها
 أقوال كل امرئ نفندها
 يذمّ حالاً، وذاك يحمدها
 وطيدة الزمان يعضدها
 أفعاله فالقبيح أجودها
 وكم ليالٍ يسوء أرغدها!
 إلا أخو العقل فهو يعهدها
 وقد يضر العيون مرودها
 فتى سوى «اليازجي» يشيدها؟
 إن ضاعت المعارف يوجدها
 شهاب بيروت ظل يرشدها
 ما دام يهدي المسير مجدها
 وفي رقاب الضلال يغمدها
 عليه فاحترار من يعددها
 نشأدها والزمان ينشدها
 مع الأعارض حيث يقصدها
 عرب وعجم ومن يجحدها؟!
 قامت جميع العلوم تسردها
 والشهب والفرقدان حسدها
 د حبره والعدى يسودها
 يقضي الليالي هنا ويرقدها
 طيب الكرى العين لا يعودها
 لا زال سبل الهدى يمهدها
 أصب حقوقاً فمن يحددها
 نعم اللسان الذي يرددها

سر العشق

لا تسأل الصب كيف العشق يشقيه؟
 رأى بعين الصبا غيداء قد خطرت
 فراح في لجج الأوصاب مضطرباً
 أضله الحسن في وادي العنا فإذا
 وكيف يرجع عن حبّ الجمال فتى
 إن الغرام على غصن الصبا ثمر
 فيا فؤادي لك النعمى بغانية
 هيفاء تخطر كالظبي الغرير لها
 أذلت روجي لها ذلّ الغريب عسى
 وكم يذلّ محبّ للحبيب ولم
 أفدي التي غادرتني في الهوى مثلاً
 قد صاغها الله من حسنٍ وقال لها:
 فما جنى نظرة من وجهها نظري
 جوازب الحسن منها قد جذبن على
 وللجمال قوى تدعو المحب إلى
 عجباً تبعث من أحداقها رسلاً
 جلت عليّ شمولاً من شمائلها
 أنا أحب جمال اللطف أعشقه
 فهي التي استغرقت كل الجمال فمن
 أبيت ليلي ولي في حبها كبذ
 فما اكفهراً الدجى إلا وأودعني
 كم غيهب بت والأشواق تجذبني
 لا يبرح الليل يغريني بظلمته
 والصبح مرتفعاً والشرق ينشره
 كأن قلبي قطب للغرام فكم
 أروم كتم الهوى والدمع يشهره

فللصبا سرّ لست تدريه
 في عالم الحسن بين الدلّ والتهيه
 إذ جاء رامي الهوى بالهول يرميه
 رام الهدى راحت الأشواق تطغيه
 يرى الجمال فيغدو هائماً فيه؟
 يحلو لمن راح قبل الفوت يجنيه
 تبدي الدلال فيحلو حين تبديه
 قد إذا قابل الخطار يزريه
 تشفي فؤادي وعهدي ليس تشفيه
 يصبّ سوى كل هول من تجنيه!
 قد أصبحت ألسن الأيام تجريه
 جوري على الصب بالإدلال والتهيه
 إلا وألقى بقلبي ما يعنيه
 رغم فؤادي لعشق كاد يفنيه
 حمل العذاب، وفي الأهوال تلقيه
 للقلب نحو الهوى والوجد تهديه
 فأسكرتني وأعيا الناس تنبيهيه
 ولا الجمال الذي الأصنام تحويه
 حسنٍ ولطفٍ أبت تحصي معانيه
 حرّى ودمع قد انهلت مجاريه
 شوقاً غدت ألسن النيران ترويه
 إلى الهلال كأنني هائم فيه!
 حتى أرى الفجر يبدى النور من فيه
 والليل منخفضاً والغرب يطويه
 عليه دار ودور الحب أبغيه!
 إن كان سري بجفني كيف أخفيه؟

إطراق العاشق

فقد تملك قلبي ثم أفناه
كالعبد حين يلاقي وجه مولاه
يبدو الجمال وقلبي عاد يخشاه
قلبي تجلد وإلا مت ببلواه
عشق على القلب مني الطرف ألقاه؟
تشرّفا كنت قبل الحب أرعاه
نو جانب لا يزال العز يرعاه
منازل الأوج تستجلي محياه
ولاعج الشوق قد فاضت ركياه
والشوق أودت بأحشائي بلياه
وكم وكم كهرباء الشوق أحياء!
لاحت فذات جمال راق مرأه
فجل من لقيام العشق أنشاه!
تدعو المحب ليعطى ما تمناه!
به لدى كل واش طال مسعاه
ذريعة لعتاب رق معناه
نجوى الغرام وخوف الصد ينهاه
تمثالها فأرى حظاً بنجواه
وكل شخص له حظٌ بدنياه
كفاك أن فؤادي الوجد أرداه
يرعى القطوب وعاد السخط يغشاه
كالبدر يزداد في الظلماء لاله
بالحب يا من هواها لست أنساه؟
كل العذاب الذي في الحب ألقاه
والحسن ما أرغم الرائي ليهواه
زهر السماء، ونعط الأنس مجراه

ويلاه من جور هذا الحسن ويلاه
حسن لديه لحاظ الصب مطرقة
وكيف لا يآلف الأطراف طرفي إذ
قلب به عبثت أيدي الغرام فيا
يا ويح نفسي فكم في الذل أوقعها
فكم رعيت غراماً قد خسرت به
مهما ذلت لدى حكم الهوى فأنا
كالبدر إذ حلّ في غور الحضيض يرى
من لي بحمل الهوى والوجد برح بي
سام الجوى مهجتي خسفاً لذا خسفت
فكم ببحر الهوى قلبي قضى غرقاً
أصبو لغيداء تسبي الناظرين إذا
تحلو لنا منظرًا قام البهاء به
فكم أميل إليها والمحبة كم
وأطلب الوصل حيث الشوق يطمعني
بئس الوشاة ونعم الوشي فهو لنا
والحب يأمر قلبي أن يطارحها
فيستشير الجوى ذهني فيسفر عن
كل له طمع يقضي الحياة به
يا ربة الخدر ما هذا النفار أما
ما لي أرى ذلك الوجه البشوش غدا
مهما قطبت تزيدين الجمال سناً
فهل نسيت عهداً بيننا عقدت
نظرت عينيك فاستعذبت عن شغف
لواحظ أرغمتني أن أهيم بها
قومي بنا نقتطف زهر الوصال لدى

هار النهار وشمس الكون قد غربت في العين والبدر قد أبدى محياه
وقد حكى شفق الظلماء حين بدا لسان صلّ وثغر الغرب أبداه
فالعرب شاكل أفواه الأراقم إذ رام ابتلاع الدراري فاعرا فاه

وقال:

وربّ بخيلٍ يؤدّ لبخلٍ لو أنّ الرجع يعود إليه
إذا ما القذى حل في العين منه بغى قفل جفنيه حرصاً عليه

وقال:

كيف بالله هان بدلي عليها بعد عهد جرى بعقد يديها
كيف خانت تلك العهود ورامت ودّ غيري؟ وكيف يحلو لديها؟
غازلته في حضرتي فلهذا كان عتبي يجري على عينيها
وتصبته وهو خالٍ ومالت عن شجّي ما مال إلا إليها
ثم أخفت هواه عني لكن بلقاء يبدو على شفتيها
أين تخفي عشق الذي إذ تراه أحرقت ذمتي على وجنتيها؟
كيف ويلاه تطرح اليوم صباً وضعته بالأمس في مقلتيها؟
ولماذا خانت ومانت فجاءت بكبار الذنوب من أصغريها؟
لم تخن غير نفسها فهي لولا سبقها ما وقعت في راحتها
قلت: أنى كلفت بالغير؟ قالت: ما أنا، بل حشاي فاعتب عليها
ليس ودّ الحسنة من قلبها بل جاء من خصرها ومن مقلتيها
والذي زقزقت غراماً عليه سوف يمضي ولا يعود إليها

وقال يهنئ أحد أصحابه في الإسكندرية لقدوم علامة الشرف له:

شرف ينطح النجوم سناه ومقام فوق الثريا علاه
وازدهار يمحو الضناء وزهو تحسد الزهر في الربا معناه
ونوال يزري البحور وفوز يترك الدهر قائلًا: ويلاه!

وأعاد العدو يقضي عزاهُ	وسرورُ أبقى الصديق بعرسِ
والنبيل الذي تسامى ذراهُ	لك يا أيها الشريف المفدى
كلها في حماك عزُّ وجاهُ	جوهرُ يحتوي جواهر فضلِ
كوكبًا في الميزان لاح سناهُ	شرفُ فوق صدرك العدل يحكي
وكذا الاستحقاق فيك تراهُ	أنت أهلٌ لكل عزٍّ وفخر
حين نادى الحسود ما أسماهُ	فقت قدرًا بذاء، وزدت سموًا
والأعادي على الشطوط حصاهُ	أنت درٌّ في بحر فضلك بادِ
راق حتى النسيم عني رواهُ	فأهنيك بالفخار هناءَ
ل مديراً في راحتك رحاهُ	لا عداك الصفاء والسعد لا زا
فيك كالعبد في حمى مولاهُ	والليالي لا زلن معتنياتِ
وبدا الشرق ساطعاً في ضياهُ	كلما الصبح هزم الليل قهراً

قافية الواو

وقال:

وحشاشةً عبثت بها نار الجوى
وأميل نشواناً بكاسات الهوى؟
منها وأعدمت التجلد والقوى
مني الفؤاد حليف أوصاب النوى
صادٍ على ماء الخدود قد التوى
يحيي النفوس وليس لي منه روا
ورنت فهيجت الجوانح والجوى
رفقاً بصبٍ حزنٍ «يعقوب» حوى
وحشى على نار الغرام قد انطوى
عقد الهوى فهما على حدٍّ سوى
شمس الجمال عليه يا شمس السوى

قلبٌ على عرش الغرام قد استوى
حتامٌ أهفو للجمال صبابه
سبت النهى ذات الدلال بنظرة
يا نظرةً نفت الرقاد وغادرت
لذغ الجوانح عقربٌ من صدغها
ولقد صدئت إلى مقبلها الذي
حيث فأحيت مهجتي بسلامها
يا من حوت بالحسن صورة «يوسف»
عطفاً عليّ فإن لي كبداً وهت
دمعي وثغرك ينظمان تشابهها
ما اسودَّ منك الطرف إلا مذ سطت

لوعة النوى

وتركتني ميت القوى حيّ الهوى
أفهل لدائي غير قربك من دوا؟
عيني تراقب بدر ذياك اللوى
يترك فراقك لي سوى نار الجوى

حملتني ما لا أطيق من النوى
أفنى بعبادك أعظمي وتجلدي
لما لوت عني الركائب أصبحت
عطفاً على رمقي ورفقاً بي فلم

يا قاتل الله الفراق فإنه
كم سال دمعي حين أورثني الهوى
قتل التجلد والتصبر والقوى
لطفًا، ويهمي الغيث إن لطف الهوا

جور الهوى

كفى الصب ما قاسى من البين والبلوى
معذبتي ما شأن هذا الجفا؟ فهل
صدئت إلى رشف اللمي منك فانغشى
قضى النوم مني بالجفاء لك البقا
لك الله كم حملت قلبي بالهوى
فيا من على قلبي جنت بدلالها
لمثلك قد حق الدلال فنعم ما
وحق الهوى لم يخل قلبي من الهوى
عذولي لا أسلو عدمتك عادةً
تجور على القلب الشجي ببينها
وأحسن أهل الحب من كان صابراً
وكم بت أرعى الصبر في حب من أرى
رداح يلوح الصبح من فرقها كما
إذا ما تبدت أوزت البدر في السما
غدا في هواها القلب مني حائراً
وإن كان هذا الحب داءً يضيمني

وحسبك أن القلب غيرك لا يهوى
سلوت محباً ما له عنك من سلوى؟
به صادئاً من غير ذلك لا يروى
وأجفانك الوسنى له قد غدت مثوى
صدوداً وما قلبي ثبيراً ولا رضوى
فديتك تيهي ما على الحسن من دعوى
جنيت وبئس العاذلون ذوو العدوى
وما لخلو في الطبيعة من مأوى
لها مبسم أحلى لقلبي من السلوى
فيا بين ما أقوى ويا قلب ما أهوى
على جور من يهوى ولا يألّف الشكوى
جميع البها والحسن في وجهها يحوى
يجن اعتكار الليل من فرعها الأحوى
فيا بدر قل: يالله، جلّ الذي سوى!
كأنّ به مع طبع ألحاضها عدوى
فإن بحسن الصبر أدوية الأدوا

وقال:

ظبي بأحشائي ثوى
ناديت والقلب انكوى:
وقد بغى عني النوى
يا للهوى يا للهوى!

دور

بدر عن العين احتجب
فثار في قلبي اللهب

ببعده ذقت النكب يا للهوى يا للهوى!

دور

أذاق قلبي الشجنا وقد أطار الوسنا
والصب في الحب عنا يا للهوى يا للهوى!

دور

الربرب الريم الغزال القمر الشمس الغزال
بين ثناياه الزلال يا للهوى يا للهوى!

دور

على هواه غلتي ومن جفاه علتي
ومن سناه فتنتي يا للهوى يا للهوى!

دور

أطال عطفًا ونفار كذا احتجابًا واسفرار
وما لقلبي من قرار يا للهوى يا للهوى!

دور

إن يبتسم فالبرق لاح وإن يمل أزرى الرماح
فوق خديه الأقاح يا للهوى يا للهوى!

دور

الشهد يحكي ظلمه والقلب يشكو ظلمه
أرى شقيقًا عمه يا للهوى يا للهوى!

دور

أروح فيه هائما والدمع منه ساجما
قاس يجافي راحما يا للهوى يا للهوى!

دور

ظبي سبا الباب حور بنحره أزرى النحور

أجرى دموعي كالبحور يا للهوى يا للهوى!

دور

أفديه مليوناً رشا غصناً بقلبي قد نشأ
بلهفتي حار الوشا يا للهوى يا للهوى!

دور

بغضت عيشي إن جفا وإن وفا رمت الصفا
من هجره نومي انتفا يا للهوى يا للهوى!

دور

وهكذا الدنيا غرور تجبي شرواً من سرور
أكثرها قدمٌ أو غدور يا للهوى يا للهوى!

قافية اللام ألف

غلبة الصباية

فصعبٌ على ذي العز يوماً إذا ذلاً
عليّ إذا لم أفقد الشرف الأعلى
كذا الحسن نحو الحبّ يستاقه قبلاً
فإن الهوى ذو العقل يحسبه جهلاً
على كل صعلوكٍ لها طلعةٌ تجلى
هواناً فلا أهوى الهوان أنا أصلاً
يهيم بوادي الحبّ قلت له: مهلاً
لك الويل إن العشق يورثك القتلاً
بحبّ التي تلو على البدر تستحلى
وجادت بأنواع الدلال فما أحلى
فلا عجبٌ إذ تصحب الجبن والبخلا
رنت غادرت قلبي بنار الهوى يصلى
تميل فكم أسرى وترنو فكم قتيلاً
رمت كبدي الحراء مقلتها الكحلاً
بأنواره يهدي المحب إذا ضلاً
لديها فإنني لم أعاين لها مثلاً
أرتني كيف الجزء يستغرق الكلاً

أنا من كئوس الذل لا أرتضي نهلاً
أرى كل شيءٍ فقدّه سهلاً غداً
يسوقُ الفتى حب الحسان إلى البلى
فلا أشغل النفس النفيسة بالهوى
ولا أتجلي في حلة العشق للتي
إذا كان غرس الحبّ يفرع للفتى
ولما رأيت القلب مني كاد أن
إذا كنت ممن يعشق الغيد والدمى
ولكن مرارات الصباية والهوى
محجبةٌ ضنّت عليّ بوصلها
إذا لم تجذّ بالقرب خيفة راقبٍ
لها أعينٌ سكرى بخمر الصبا فإن
بروحى أفديها مهاةً وبانةً
سبت مني الأحشاء قامتها وقد
تجلي على طور النهى حسننها الذي
يحقّ انكساري بالغرام وذلتني
أحاطت بكل الحسن طلعتها فقد

جلت قمرًا في برج قلبي قد حلا
لها الشمس والأقمار قد أصبحت أهلا
تحمل هذا الحب؟ قلت لها: كلا
على حملي الأوصاب لم أستطع حملا
به أن ينال الفوز والعون قد ولّى

أتتني بذيل التيه رافلةً وقد
فقلت لها: أهلاً وسهلاً بغادة
فقلت: وهل يا صب قلبك كلٌّ عن
إذا لم يكن لي من وصالك مسعفٌ
وما ذلك الشيء الذي يقدر الفتى

وقال من الجناس المهمل:

وكل وداع كل دمع له سالا
معلل روح عود آمالها مالا

أودعهم والدمع هام كهاطلٍ
أساهر أحوال السما لرواحهم

وقال وهي أول قصيدة قالها:

وانثنى معرضاً وماس دلالا
د بذاك الجفا يصير خيالا
فجرى الدمع من عيوني وسالا
شام طرفي غزالهً وغزالا
يا مليحاً حوى الجمال فصالا
باءٍ إذ كان ميل وجهك مالا
ك القوام الذي زرى الأسالا!
كلما رمت منك بدري وصالا
مثل ما زدت في هواك انتحالا
ليتني مذ هجرتني متٌ حالا
وسهادٌ وما ألفت احتمالا
ت فدمع العيون ردّ السوالا
أن ماء الحياة في فيك جالا
والجفا منك قد يدك الجبالا
إنما العشق قد يذل الرجالا

يا قضيباً قضى بقتلي ومالا
حاول الرفق بالمحب الذي كا
رشق الطرف منك قلبي بسهم
إن تبدّيت أو تلفت يوماً
عذبٌ في هواك كل عذاب
أنت شمسٌ والقلب مني كالحر
كم لك الله تطعن القلب من ذا
أحرقتنى الخدود منك بنار
زادك الله يا حبيبي حسناً
قد عفا القلب حين عفت وصالي
فصدودٌ ولوعةٌ وبكاءٌ
سألوني عما اعترانى فأنكر
إن تكن راضياً بموتي فحسبي
إن صبري مثل الجبال متين
ليس عيبٌ إذا تذلل عشقا

يا غزالاً غزا المحب وطالا
أرتضيه ولو يكون مقالا
ني بما ضاع من حياتي وصالا
يا حبيبي تزيد أنت جمالا
قلبي فأثمرت قسوةً ودلالا
يا قضيباً قضى بقتلي ومالا

إن زلي بالحب عزي وفخري
عد محباً يهواك بالوصل إنني
ضاع عمري في الحب ليتك تعطي
كلما ينقص التصبر مني
أنت غصنٌ وقد غرستك في
فاجلُ ليل الجفا وراعِ ذمامي

وقال:

فكيف لذات الخدر أعنو تذلاً؟
بنيت على ظهر المجرة منزلاً
فهل أنا للحسناء أهدي تغزلاً
بعثت له من دولة العقل جحلاً
نظيري يرى أن الهوى مركز البلاء
جمال التي تسبي الفؤاد تدلاً
سوى وجهك الباهي لعينيه ما حلاً
تعشقت منك الخد والنهد والطلا
فذقت الذي قد ذقته أنت أولاً
أصابك وقاك الله قلباً ومفتلاً!

أنخت مطايا العز مني على العلا
سموت فلا أَرْضى الدنوّ لأنني
وقد غازلتني أعين المجد والسنا
إذا ما أثار الحب حرباً على الحشا
وهيهات أن تسطو العيون على فتى
فما اقتاد قلبي للهوى والجوى سوى
معذبتي بالله عودي متيماً
وجدتك أعلى الناس في مقلتي لذا
هويتك مذ أبدت لحاظك لي هوى
فحسبك ما تغزو لحاظك فهي كم

وقال:

وحدهُ كان يعشقُ التمثالا
ففؤادي يهوى الحيا والدلالا
بلحاظ ترمي بقلبي نبألاً
كلما هزَّه الشبابُ فمالا
حين يرنو لو لم يكن غزّالاً
للمحبين والسكون ملالا
قِ لِقْلِي هَذَا النَّفَارَ احْتِمَالاً

لو يكون المحب يهوى الجمالا
إن تكن مقلتي إلى الحسن تصبو
فبروحي أفدي مهاةً سبتني
وقوامٍ يهدُّ درع اصطباري
ذات طرف كأنه لغزال
حركات الأحداق تجدي ثبوتاً
يا سُلَيْمَى كُفِّي النَّفَارَ فَلَمْ يُبْ

قد حَوَيْتِ الحُسْنَ العَجِيبَ لهذا
 واتخذتِ الدَّلَالَ يا نورَ عَيْنِي
 فَنَفَيْتِ الكَرَى عن الجَفْنِ حَتَّى
 كيف يسلو هوكَ قَلْبِي وَلِي عَيْنُ
 حَاوِلَ العاذِلونَ عَنكَ سلوي
 بضلوعي جَرَى هوكَ وجالا
 دَيْدَنَا إِذْ قَطَعْتَ عَنِي الوَصَالَ
 عُدْتُ أَرْجو ولا أَنَالُ الحَيَالَ
 لمَرَكَ لَمْ تُشَاهِدْ مِثْلًا
 وا عُنَائِي مِمَّنْ يَرُومُ المَحَالَ!

وقال:

سلامٌ يودُ الطيبُ لو كان طيبه
 على معشرٍ لو يعلمونَ محبَّتِي
 يروحُ بأرواحِ الهوى مُتَعَلِّلا
 لما قَطَعُوا وصلاً وما وصلوا فلا

وقال جواباً لرسالة بعث بها إليه بعض الشعراء:

أَطْرَقَ البدرُ إِذْ تَجَلَّتْ وَقَالَ
 عَادَةُ لو بَدَتْ لِحَوَاءِ قَدَمًا
 ذات وجهه حَلَا لآلِ نعيم
 أنشد القِرط وهو يخفقُ وجداً
 ليسَ عيبٌ فيها سوى أنها ذا
 أقسمت أن تصدَّ طولَ المدى لا
 أيها الصب لا تملَّ الهوى إن
 ولحبِل الودادِ إن قطعت كن
 فهو قطعٌ يضيفُ للوصلِ أما
 ليسَ للمرءِ في وقوعِ الردى من
 في فؤادي نارُ الصبابةِ ثارت
 وأقامت بين الجوانحِ من شوقٍ
 واضطرامِ النيرانِ في الأرضِ كم ير
 كان عندي الهوى هوانًا ولما
 رب ليلٍ أجنني الشوقُ فيه
 واتخذتِ الرجا معينًا على حمل
 هَكَذَا هَكَذَا وإلا فلا لا
 تحت رمزٍ لأحرمتها الكمالا
 وَجَبِينَ جلا لبدرٍ هللا
 وا بعادي عن عقدٍ جيدٍ تلالا!
 تُ نَفارٍ لم يبقَ فيَّ احتمالا
 وأخذ الله من على البينِ آلا
 نفرت عنك فهي تحكي الغزالا
 صابراً فالحسناءُ تجفو دلالا
 لا بهنَّ الأشواقُ تنصبُ حالاً
 عضدٍ غيرِ رصده الأمالا
 فأراقت من الأماقي سجالا
 جبلاً تحمي الجوى وتلالا
 فع من مستوي السهولِ جبالا
 نقتُهُ صار فخرةً وجلالا
 ودهاني فهمت أرجو الوصالا
 الشقا والرجا يعين الرجالا

كل وادٍ وأقحم الأموالا
 قَ شجونٍ كانت له أبالا
 ولبعض المني عسى أن ينالا
 رامياتٌ من الشعاع نبالا
 ن ابتلاع الدجى فحامى وحالا
 ت صفوفاً كالقاصدين نزالا
 يستثيرُ الوغى فرمى القتالا
 ألفت الشقا وذقت الوبالا
 وهو يبني عليهما الأعمالا
 فيبكي غداً لضيم نوالا
 كلنا دائرون نرعى الزوالا
 قوّة، والقوى ترى الأفعالا
 دف حظاً فراخ ينعمُ بالا
 مٌ وباقي الحياة يحكي الخيالا
 ن إلا إذا المشيب تلالا
 نقماً إذ يدافع الإقبالا
 إن يكن فيه راح يرجو المحالا
 وكثيرٌ من يعشق الأموالا
 لٍ مما يصغاه والأقوى لا
 هكذا الدهر يقهر الأبطالا
 بابل الفضل فاكتست بلبالا
 من ودادي له سوى أن أعالا؟
 ويضنُّ الغنيُّ ما زاد مالا
 قد هويت الجمال والإجمالا
 واسترد البغاة والجهالا
 إنما الصخرُ يحقر الأوعالا
 قَع فيّ الأزاء والأرزالا

لم أزل أقطع البوادي وأعدو
 وفؤادي يفري فلاة الهوى فو
 علني أن أرى مواقع سعدي
 خضت بحر الظلماء والشهب فوقي
 فكأنني حوتٌ يروم من الكو
 يا نجوم السماء مالك قد صر
 هل ظننت الأنين مني بوقاً
 ليس لي طاقةً على الحرب إذ إني
 للفتى حالتانٍ ضيرٌ وخيرٌ
 إن غدا اليوم ضاحكاً لها ولّى
 هكذا الكون دائرٌ وعليه
 وجميع الورى على الخطب تحيا
 فوبالٌ على الخبير إذا صا
 وحياة الإنسان أكثرها نو
 ولقدر الشباب لا يدرك الإنسا
 نعمٌ تغمر الفتى فيراها
 لا يفوز الفتى بلذة عيشٍ
 قلٌ من في الورى يحب علوماً
 وأخو الجهل ينتقي أضعف الأقوا
 أبطل الدهر دولة العلم قهراً
 ورمت بالأركاس فرس المعاصي
 إن وددت الثراء يوماً فهل لي
 ويصمُّ الإناء ما زاد ملاً
 فإذا ما هويت علماً فإني
 دفع الدهر كل صاحب عقلٍ
 لا أبالي إذا الجهول علاني
 هل أقاوي قرم القضاء إذا أو

ض ارتياعاً وزلزلت زلزلا
يَـامِ نَبلاً نضت عليه صقلا
ومرامي نبلٍ تتيح النكالا
قط لكن لذى الجهالة هالا
الحماقي فأضحك العقالا
بالموت ثم يدري المآلا
ل وألا يؤذيك فالروق طالا
جسمُ الوفاءٍ منهم خلا
لصديقٍ ولم تذر مفضالا
ذو ثباتٍ سوى فتى قد تغالى
تاج صدقٍ فكم سما وتعالى؟
للصوادي مشمولاً وزلالا
كلّ نقدٍ عسى يصيب اعتلالا
خائبٌ يشتكي العنا والكلالا
نعم بحرّاً أجرى لنا أفضالا!
ل قريضاً يستغرقُ الأقوالا
لا ولا للإقواء نلقى مجالا
ك معانٍ تشاكل السلسالا
إنه لا يبوح بي إجلالا
أعظم الشوق ما يدك الجبالا
ض وأرقى من ابنة الكرم حالا
دون قربٍ فللّولا ما أحالا
لرأينا حدوثَ بعدٍ محالا

ولدى سطوة القضا ماجت الأر
وإذا ما الفتى تحاشى من الأي
والملا للبلبل موارد بيض
لم يهمل طارقُ الردى ذا رشاد
فإذا الدهر سل صارمه أبكى
كل شيءٍ يبدو حقيراً لمن يفكر
قابل الغمر فهو هيلة بالهو
أين أهل الوفاء؟ هيهات قد أصبح
ريبُ الدهر لم تدع من صديق
لم يعد لي بين الأخلاء خل
من على هامة المودة أضحى
ذو صفاتٍ صفت وصحت فكانت
فلو الدهر راح يجري عليها
لانتنى وهو ضاربٌ أسدرية
هو بحرٌ تموّج الفضل فيه
ولهُ الشعر قد عنا فإذا قا
لا نرى للإيطاء وطناً عليه
كلّم كالجمان تسلك في سل
فاضلٌ لا أبوح باسمٍ له إذ
لي إليه رسائلٌ حملت من
وسلامٌ أرقّ من نسمة الرو
إن يكن حال بيننا البعد رغماً
لو يذوقُ الزمان مرّاً بعادٍ

وقال:

مديح أناسٍ يدعون لهم نبلا
أرى صون ماءٍ الوجه من رفدهم أولى

تهافت أهل الشعر — وا عجيبي! — على
وما القصد إلا الرفد منهم وإنني

قافية اللام ألف

وهل يستحق المدح عيرٌ بعسجدٍ تبردعَ أو تيسُ بتيسٍ قد استعلَى؟
فما رفعةٌ أو دولةٌ أو سيادةٌ سوى لقبٍ لم يعطَ إلا لمن ضلَّ
أنا لا أود المدح إلا لصابرٍ على الدهر مثلي أو لشهمٍ سما فعلا

قافية الياء

وقال:

فذلك داءُ الموت أعيَا المداويا
وكم من أخي عقلٌ به صار عاريا
تدعك على جمر الصبابة ساليا
رنت أو تثنت أعدمتني فؤاديا
وقد إذا ما ماس يذري العواليا
له بنبال الغنج قد جاء حاميا
تراه لوردِ الثغر يهدي الصواديا
ووجهُ غدا للنيّرين محاكيا
فأصبحت غير الشوقِ والوجد ما بيا
فيا ليت لي أخرى فأبذل ثانيا
ومن ذكر ليلي والسوى خليانيا
فما للسلوى من مدخل فدعانيا
فتلوي حياءً ثم تولي تدانيا
هبوط الثريا إن أزحت لثاميا؟
ومن خالها أضحى شذا الند ناميا
بتحريمه قومٌ أحلوا مماتيا
مليحًا وليس المرءُ يدري الخوافيا

حذارِ الهوى يا من غدا عنه خاليا
إذا حل في قلب امرئٍ رحل النهى
وما الحب إلا نظرةٌ إن تعاقبت
وفتانة العينين ممشوقةٌ إذا
لها لفتاتٌ تورث الريم فتنةً
زها ورد خديها النضير وطرفها
إذا ضاع عطر الورد من وجناتها
جبينُ لها يحكي الصباح صباحةً
تمكن من قلبي هواها فديتها
بذلت لها روحي وما كنت منصفًا
خليليّ بالله أنعشاني بذكرها
لجسم هواها القلب قد صار حيزًا
أنت وهي تبدي لي نفاًراً تدللاً
فقلت: اسفري، قالت: أتكفل يا فتى
سرت نفحات المسك من نفساتها
بلثم ثناياها حياتي فإن أتى
وقد يفعل المرءُ القبيح بزعمه

ومما ازدهاني عطفها وانعطافها
لقد قطعت عهدي بصارم صدها
سلوها سلوها هل درت ما أذاقني
أهميم إذا ما مثل الشوق طيفها
رجوت الكرى حتى أرى طيفها به
إذا احتجبت عن أعيني خوف راقب
حلا ظلمها لي بالهوى مثل ظلمها
وقد عودتني السهد في غسق الدجى
تخالف نومي في هواها ومدمعي
ترى يشتري مني المدامع جيدها
إذا جرحت قلبي فتقبيل خدها
عذولي ذر عذلي فلست بسامع
ترى هل يلوم العاذل العاشق الذي
ألا إنني قد صرت دائرة الهوى
إذا هلت الأنواء من سحب أعيني
فيا قلب، كم قد بت حيران بالنوى!
أهيج غراماً كلما لاح بارق
معذبتي لا تذكرني الهجر والقلبي
إذا ما نسيت العهد والودَّ عامداً
هواك كساني السقم والضميم إنما
لأنتِ إله الحسن يا زهرة البها
فيا سعدَ مراكٍ ويا نحس مقلتي
وعينيك لا أسلو الهوى وهو قاتلي
بلي جسدي والبال بلبله الهوى
إذا لم تشي أني أراك بيقظتي
وما كنت ممن ينظم الشعر إنما
جريح الهوى يشكو إليك مصابه

وإعراضها والصد مما دهانيا
فيا ليتها بالوصل ترعى ذماميا
هواها وهل لاقت كمثلي عانيا؟
لعيني فبي أفدي خيالاً تجاهيا
وهل خطرات الطيف تشفي هياميا؟
فتمثالها ما زال في الذهن باديا
وتعذيبها مستعذباً قد غدا ليا
فعدت بلا نوم أراها أماميا
فذا نازلاً أضحى وذلك نائيا
وهل لسوى هذا أبيع الجواريا
أراه لجرح القلب بالحب شافيا
وكن راثياً، فالحب أوهى عظاميا
تتيم لو يدري المحبة ما هيا؟
فأضحى انتهائي بالغرام ابتدائيا
تساقطت النيران من نفثاتيا
ويا طرف، كم قد بت للأوج راعيا!
وأصبو اشتياقاً ما بدا الطير شاديا
فذكرهما والله يفني حشائيا
فلست أنا للعهد والودَّ ناسيا
به صرت من حسن التصبر عاريا
وبدر السما أضحى لوجهك جاثيا
ويا حسنَ ملقاكٍ ويا سوءَ حاليا
ولو أنني أصبحت في الرسم ثاويا
فهلا رحمت اليوم بالله باليا
جفاءً فمن جفنيك ردي رقاديا
بحبك صرت اليوم أحصي القوافيا
فلا تعرضني عن أتى اليوم شاكيا

وقال:

وأعادت عظامهنَّ شظايا
دي وفيض اللظى ونضب الركاي
والغدايا تكدها والعشايا
في حشاها له قلايا شوايا
بكئوس اللظى فتحسو المنايا
ففي كرههنَّ كُرُّ المنايا
سر أمانًا لا طوحتك الغوايا
في جبينٍ وطلعةٍ وثنايا
بعيونٍ مغرورقات الزوايا
في هواهنَّ يستطيب البلايا
دي وهال النوى وراع المطايا
أنا قيسٌ وتلكم ليلايا
بالتلاقي على ظعون الغدايا
ببید تدوي وما لذهل البرايا؟
خلبَ البين قلبه إلیا؟
بين ليلايا قد أذاب حشايا
وبرى أعظمي وهُدَّ صبايا
وضحايا القلوب خير الضحايا
وهي لي قد أهدت قبول الهدايا
فصمتها بالقطع أيدي الرزايا
كدرتها الدنيا بسود النوايا
من زوايا الأقدار شر الخبايا
ملكٌ ظالم وهنَّ الرعايا
صدقاتٍ تصدقت بالأسايا
فنعم الآباءُ بئس العطايا!

ني البوادي أودت بتلك المطايا
قد براها بري المدى نغم الحا
تترامى والوخد يوري صداها
ذلك الصحصحان يقدح زندًا
وهجير الرمضاء يسعى عليها
لا أذمُّ الحادي ولا أرحم العيس
أيها الهودج المشيع ليلاً
فيك برقٌ وكوكبٌ وهلالٌ
تلك ليلى ترنو إليّ وداعاً
نافثاتٍ سحر الغرام بقلبٍ
أيها الموقف الذي أذعر الحا
موقف البين بين قيسٍ وليلى
يا عشايا الفراق بالله عودي
ما لشهب السماء تسهى وما للـ
أترى الكونَ كله لم يجد من
بين ليلى يا ذا الملا بين ليلى
وفنى مهجتي وأتلف جسمي
في هواها ضحيت قلبي طوعاً
ولها قد أهديت روحي ولبي
عروةً في الوصال وثقى ولكن
لي نوايا في الشمل بيضٌ وها قد
حسدتني الأيام فاستبرزت لي
والليالي قامت عليّ كأني
أفقرتني الدنيا ومذ رمت منها
ونوال العطا إذا كان بالذلِّ

خاتمة الإقرار

علم الله وهو ربُّ البرية هفواتي كثيرةٌ ليس تحصي
لم أقصّر عن مطلب العلم لكن طالما رمت أن أجود نفسي
كل شيءٍ حصلته فيه نقصٌ وارتكبت الأغلاط في كل أمر
غلطي فاضحٌ فإن سترته وإذا رام كشفه ذو كمالٍ
ليس لي حاسدٌ فيهلك صيتي وأنا حاسدٌ لكل فضيلٍ
ها أقرت بالعجز نفسي ولكن ما أبت أن تقر بالضعف نفسٌ
تأنفُ الرفد والجوائز مهما وتمجّ التمداح إلا لمن كا
لا ترى أن تطري غنيًّا لنيل أيها الناس، حسبكم أن تطيعوا
فاعدلوا تصبحوا لدى الحقِّ أحرًا

أن نفسي من الصواب بريّة ومن الفضل ليس لي من مزيّة
ليس لي قوةٌ ولا قابليّة وبعيدٌ تجويد نفسٍ رديّة
فأنا ناقصٌ بكلّ قضية يا لضعف الطبيعة البشرية!
فئة الفضل قلت: نعم السجية! كان شكري له أقل هديّة
من ترى يحسدُ النفوس الغبية؟ حسدًا زانه بياض الطويّة
قد أبى الله أن تكون دنيّة هي عن غير ما أقرت أبيع
كنّ فالذلُّ كله في العطية نَ فضيلًا ذا غيرةٍ وطنيّة
إن نفسي عن الغني غنيّة ظلمكم ذلكم عليكم بليّة
رًا وبنت العدالة الحريّة

وإذ نال هذا الديوان حظًّا في أعين بعض الشعراء قرظوه بما سيأتي:
قال جناب «أحمد أفندي وهبي الحلبي»:

هذا كتابٌ جاء في عنوانه يا صاح متع ناظريك بطرسه
واشهد لمنشئه الأديب بأنّه بسنائه قد راح يرشدنا إلى
إن قال شعراً لم نرى منه سوى بكر المعاني من بديع بيانه
وانظر رعاك الله في إتقانه قد لاح بدر العلم في أفنانه
روح التمدن في هدى تبيانه حسن البلاغة من فصيح لسانه

ونظيّمهُ قد راح يفعل بالنهى	فعل الشمول بمغرمٍ في حانهِ
لله درك يا ابن مراش إذا	شيّدت بيت الشعر في أركانهِ
منهُ القضايا قد أتت بنتائج	أغنت قياس العلم عن برهانهِ
حسان في عصر القديم وأنت قد	أغنيت هذا العصر عن حسانهِ
لو كنت في نجران قدماً لم يكن	قس الفصاحة ساد في أقرانهِ
دونت شعراً ما رأينا مثله	نظماً ونثراً من بديع زمانهِ
من حسنهِ أرخت جاد بطبعهِ	مرآة حسنٍ أعلنت عن شأنهِ

سنة ١٨٧٢

[جاد = ٨، بطبعه = ٨٨، مرآة = ٦٤١، حسن = ١١٨، أعلنت = ٥٤١، عن = ١٢٠، شأنه = ٣٥٦]

وقال جناب الشيخ «بكري أفندي زهري»:

أشروق بدر الشرق في اللألاء	أم ذا سناء الغيد في الشهباء؟
أم ظبي أنس زار يوماً صبه	أم ذا سعود مطالع الظرفاء؟
أم تلك أنوار التي من جيدها	طلع الصباح بغرة بيضاء؟
هي بكر فكر الشاعر الشهم الذي	بالفضل أفحم زمرة البلغاء
هو بحر علم والمعارف موجه	والدر منه فرائد الإنشاء
هو بدر فضل والمكارم نجمه	من يحص عد النجم في الأضواء
هو ابن مراش الذي ساد الملا	ورقى العلا بمنازل السعداء
هل من يرى الشمس المنيرة قائلاً:	ما مثل تلك الليلة الظلماء
إلا الذي عميت بصيرة قلبه	حسداً يكابد خبطة العشواء؟!
شهدت له الأعداء بالفضل الذي	بلغ العلا فيه على النظراء
هو شاعر الدنيا بديع زمانها	إنسان عين خلاصة الفصحاء
فله من الشعر الحلال قصائد	كقلائد نظمت من الجوزاء
وله التصانيف التي طويت لها	كتب الفحول السادة العلماء
وله المقاطيع التي من سجعها	سجعت لها الورقاء بالورقاء
وله الروايات التي كانت لنا	أصفى مساعاً من زلال الماء

ولهُ من الأمثال والحكم التي
لا عيب فيه غير أن لسانهُ
مذوّن الديوان دان لشعره
عجباً فأزخ كلما سطع البها
كانت لنا كحدائق الأدباء
ينبوع كل بديعة غراء
دان وقاص من أولي الآراء
هذا جمال المرأة الحسناء

سنة ١٨٧٢

[كلما = ٩١، سطع = ١٣٩، البها = ٦٤١، هذا = ٧٠٦، جمال = ٧٤، المرأة = ٦٧٢،
الحسناء = ١٥١]

وقال جناب الشيخ «أحمد أفندي محبوب المكناسي»:

أبدر تمّ بدا من بعد إخفاء؟
أم التآليف تروي عن مؤلفها
ذاك ابن مرّاش ذو الآداب من شهدت
ديوانهُ لأولي الآداب دونه
سحراً حلاًلاً غدا يحلو لسامعه
فنزّه الطرف في روضاته عجباً
أبياته الراح تشتاق النفوس لها
ونورها مذ بدا طبعاً مورخها
أم غصن بان زها في ثوب هيفاء
بأنه في الوري كالنقط للياء
له تصانيفه في حسن إنشاء
فلا تكن يا أديباً عنه بالناء
بشرى لقارئه والحظ للرأي
تغنيك أبقاره عن كل عذراء
تغني المعاني بها عن كاس صهباء
يهدي به فزهت مرآة حسناء

سنة ١٢٨٨

[يهدي = ٢٩، به = ٧، فزهت = ٤٩٢، مرآة = ٦٤١، حسناء = ١١٩]
وقال جناب الخواجا «ميخائيل أنطون صقال»:

لقد فصّح ابن مرّاش فأربت
إذا ما قال: أمّا بعد، قلنا:
بدا ديوانهُ مرآة حسن
سبت منه المعاني كل عقل
ولا عجب فصاحبه بليغ
فصاحته على سحبان وائل
غدا قسّ لديه اليوم باقل
ترى به حسنهما الحسناء كامل
فكانت للمطالع سحر بابل
يساجل بالبراعة من يساجل

تراهُ فاضلاً في الشعر يسمو وفي التاريخ أفضل كل فاضلُ

سنة ١٨٧٢

[أفضل = ٩١١، كل = ٥٠، فاضلُ = ٩١١]

وقال جناب الخواجا «حبيب جرجي عديني»:

إني لأعلم صاحب الديوان ذا الـ	حمراش لم يهوى إلى الإطراءِ
من رام يدرك قدره ينظر إلى	ما قال في مرآته الحسناءِ
فهناك يحكم بعدما يلقاهُ في	تاريخه: ذا أشعر الشعراءِ

سنة ١٨٧٤

[ذا = ٧٠١، أشعر = ٥٧١، الشعراءِ = ٦٠٢]

وقالت أخت المؤلف حضرة الست «مريانا مراش»:

هذا كتابٌ جليلٌ جاءَ ناظمُهُ	بكلِّ معنًى جميلٍ خطٌّ بالقلمِ
إذا تأملُهُ ذو العقل يسحرُهُ	كسحر «هاروت» في قولٍ وفي كلمِ
فإن تحكَّم قال الدهر: وا عجبي!	قد بان سري وجازاني على ظلمي
وإن تغزَّل قال الريم: واخجلي!	والشمس غارت وغاصت في دجى الظلمِ
فقد أحاط علومًا لا عداد لها	فيا لنوع غدا جنسًا لكل سمي!
فهاك عقدًا على جيد الزمان زها	وكان أشهر من نارٍ على علمِ

تنبيه

إنه لما كان الأمر العالي لا يسوغ لأحد طبع كتاب ولا ترجمته إلا بالحصول على الرخصة من مؤلفه؛ فقد استأذنت من ناظم هذا الديوان، وأخذت منه سندًا تطبيقيًا لنظام قانون المطبوعات وطبعته على نفقتي. وإنني أعلن لحضرة الجمهور أنه لا يسوغ لأحد طبعه مرة ثانية ولا ترجمته من دون أن يحصل على رخصة مني، وقد حررت ذلك تنبيهًا للبيان. ثمنه ستة فرنكات.

كاتبه: أحمد وهبي الحلبي

